

المنظمة العربية

للتربية والثقافة والعلوم

المركز العربي

للتعريب والترجمة والتأليف والنشر

في قضايا التعريب

إعداد

الأستاذ الدكتور محمود أحمد السيّد

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

إذا كانت سورية منذ مطلع القرن الماضي قد حسمت موضوع التعريب، فقررت التعليم باللغة العربية، اللغة القومية، في جميع مراحل التعليم إن في التعليم العام ما قبل الجامعي أو في التعليم الجامعي أسوة بالأمم الحية التي تدرس بلغتها الوطنية فإن ثمة صيحات تنطلق في بعض جامعات وطننا العربي ترى أن تدرس مواد المعرفة وخاصة العلمية منها ينبغي له أن يكون باللغة الأجنبية، وتعارض تدريسها باللغة الأم.

وإذا كانت اللغة الإنجليزية تحتاج العالم، وتحتل المرتبة الأولى بين اللغات التي تدرس لغة ثانية في مختلف بلاد العالم، ولكننا لا نعرف بلداً واحداً في غير وطننا العربي أقدم أو حتى فكّر، أو عمل على تدريس مواد العلوم والرياضيات بغير لغة القومية من فرنسا إلى الصين واليابان والبرازيل وكوريا وألبانيا والمجر وفيتنام.. الخ.

ولم تحل صعوبة الكتابة في اللغة اليابانية أو الصينية أو الفيتنامية، ولم يحل صغر حجم بعض الدول الأوربية ولا فقر بعض دول آسيا ولا موات اللغة العربية على مدى عشرين قرناً، لم يحل ذلك كله دون أن تكون اللغة القومية هي لغة التدريس في هذه الأماكن كافة.

وفي هذا الكتاب ثمة تسليط للأضواء على موضوع التعريب على أنه قضية تقدم الأمة ونهوضها، فهو قضية قومية ودينية وتربوية ومجتمعية وقضية أمن ثقافي وإبداع وابتكار، وقد عاجلت فصول الكتاب مستلزمات التعريب وإشكالاته والمعوقات التي تحول دون تنفيذه.

ولما كانت التجربة السورية في التعريب متميزة على نطاق الساحة القومية وتقدم البرهان الساطع والدليل القاطع على عراقية لغتنا العربية ومواكبتها للتطور المعرفي وروح العصر، وها هم أولاء خريجو هذه التجربة في الجامعات يحتلون أرقى المناصب العلمية الأكاديمية في بعض الجامعات الغربية، كان ثمة وقفة على بعض مناحي هذه التجربة في وضع المصطلحات وتوليدها.

ولما كان نجاح التعريب يتوقف على المعلمين إذ إن لهم دوراً أساسياً في تحقيق الأهداف المرسومة له كان إعداد المدرس وتأهيله للتدريس بالعربية أمراً على درجة كبيرة من الأهمية، وهذا ما تم الوقوف عليه في أحد فصول هذا الكتاب بعد أن عولج موضوع اللغة العربية بين نقل المعرفة واكتساب المهارات. وكلنا أمل في أن يسد هذا الكتاب فراغاً في مجاله، وأن يكون ثمة فائدة منه والله الموفق.

المؤلف

دمشق في ١٥ آذار ٢٠١٠

المحتويات

- الفصل الأول: تعريب التعليم العالي قضية ومستلزمات.
- الفصل الثاني: إشكالية تعريب التعليم العالي.
- الفصل الثالث: التعريب في جامعة دمشق تاريخاً وإنجازات.
- الفصل الرابع: من معوقات التعريب في الوطن العربي وسبل تذليلها.
- الفصل الخامس: المبادئ الأساسية في وضع المصطلح وتوليده.
- الفصل السادس: التجربة السورية في وضع المصطلحات.
- الفصل السابع: من جهود مجمع اللغة العربية بدمشق في وضع المصطلحات.
- الفصل الثامن: اللغة العربية بين نقل المعرفة واكتساب المهارات.
- الفصل التاسع: المدرس إعداداً وتأهيلاً للتدريس بالعربية.

الفصل الأول

تعريب التعليم العالي قضية ومستلزمات

محتويات الفصل:

أولاً- مفهوم التعريب

ثانياً- التعريب قضية:

- ١ - التعريب قضية قومية
- ٢ - التعريب قضية دينية
- ٣ - التعريب قضية تربوية
- ٤ - التعريب قضية مجتمعية
- ٥ - التعريب قضية أمن ثقافي
- ٦ - التعريب قضية إبداع وابتكار

ثالثاً- مستلزمات التعريب:

- ١ - الإحساس العميق بالانتماء
- ٢ - القرار السياسي
- ٣ - إعداد المدرسين الأكفاء
- ٤ - تقوية الدارسين باللغتين العربية والأجنبية
- ٥ - توفير الكتب والمراجع والمجلات العلمية المتخصصة
- ٦ - تعزيز التنسيق بين العاملين في توحيد المصطلحات
- ٧ - تعزيز الترجمة
- ٨ - برمجة مشكلات التعريب ووضع حلول لها
- ٩ - الإرادة والإقدام

الفصل الأول

تعريب التعليم العالي - قضية ومستلزمات

نحاول في هذا البحث الموجز أن نتعرف المقصود بالتعريب أولاً، وأن نوضح أبعاد قضيته ثانياً، وأن نبين مستلزماته أخيراً.

أولاً - مفهوم التعريب

إن التعريب هو استعمال اللغة العربية لغة قومية في الوطن العربي للتعبير عن المفاهيم واستخدامها في التعليم بجميع مراحله والبحث العلمي بمختلف فروعهِ وتخصصاته، واستخدامها لغة عمل في مؤسسات المجتمع العربي ومرافقه كافة^(١).

وهو بهذا المعنى يعني كل ما يستوعبه المجتمع العربي ويحتويه في نسج حياته مما يتلقاه بأي صورة من صور التلقي الفكري والمادي والاجتماعي من أهداف وقيم ووسائل، والانطلاق من ذلك كله واقعاً جديداً للتفاعل الجدلي إنتاجاً وعلاقات، أخذاً وعطاء، تأثيراً وتأثراً، من رؤية متكاملة للحياة وقدرة ذاتية على ممارستها.

والتعريب في المستوى المباشر يعني سيادة اللغة العربية على ساحة الوطن العربي بما يوحد المشاعر العربية ويجمعها حول تاريخها وواقعها ومصيرها، مما يجعله عاملاً جوهرياً في الخروج من دائرة التخلف السياسي المتمثل في التجزئة إلى حرية الوحدة العربية في الصورة التي تؤصل دور الأمة العربية التاريخي والمصيري.

ولا يعني التعريب الانغلاق وتمجيد الماضي، بل هو تأكيد للهوية في عصر التفاعل العالمي على مختلف المستويات وتنوع الوسائل، ذلك لأن الدعوة إلى الانغلاق منافية لجوهر الحضارة العربية الإسلامية^(٢).

إنه حفاظ على الذاتية الثقافية لأمتنا في عصر العولمة الذي يهدد ثقافات الشعوب بالامحاء أمام هيمنة القوة وسيطرة القوي على الضعيف.

ولئن كان التعريب ينظر إليه النظرة الشمولية المتكاملة فإن تعريب التعليم العالي هو أكثر

ما يثير الإشكالات على نطاق الساحة العربية، ذلك لأن نفعاً من أعضاء الهيئة التدريسية ومن يدهم القرار لا يزالون مترددين في تنفيذ قرارات التعريب التي تمخضت عنها المؤتمرات والندوات التي عقدت على النطاق العربي منذ ما يقرب من نصف قرن، لا بل إن بعضهم في الآونة الأخيرة أخذ يجهر بمناصرته لاستخدام الإنجليزية في التدريس ضد العربية، مما أضحى معه التعريب مشكلة من مشكلات حياتنا القومية، وغدا يشكل قضية من قضايانا المعاصرة، فما أبعاد هذه القضية؟ وكيف ينظر إليها؟

ثانياً- التعريب قضية

إن التعريب قضية متعددة الوجوه والمستويات والأبعاد، فهو قضية قومية وهو قضية دينية، وهو قضية مجتمعية، وهو قضية تربوية، وهو قضية أمن ثقافي، وهو قضية إبداع وابتكار، وفيما يأتي وقفة على كل بعد من هذه الأبعاد الستة.

١- التعريب قضية قومية:

غني عن البيان أن اللغة الأهمية الكبرى في نشوء الأمم، فهي أداة التفاعل بين أفراد المجتمع والرابطة التي تصهر أبنائه في بوتقة المحبة واللقاء والتفاهم، وهي مستودع تراث الأمة وجسرهما للعبور من الماضي إلى الحاضر، ومن الحاضر إلى المستقبل، فهي الخيط الذي ينقل تراث الآباء والأجداد إلى الأبناء والأحفاد، وإلى هذا أشار «ماكس مورو» قائلاً: «باللغة وباللغة وحدها يندمج الفرد في المجتمع، ويتلقى تراث الأمة الفكري والشعوري والأخلاقي والاجتماعي كله، التراث المنحدر من قرائح الكتاب والشعراء والمفكرين السالفين منهم والمعاصرين».

ولقد أدرك بعض مفكري الغرب الأهمية التي تقوم عليها اللغة، فعرف «فيخته» الألماني الأمة الألمانية بأنها جميع الذين يتكلمون اللغة الألمانية، وعدّها أساس القومية، فها هو ذا يقول: «إن الذين يتكلمون بلغة واحدة يكونون كلاً موحداً ربطته الطبيعة بروابط متينة وإن كانت غير مرئية».

وفي ضوء ذلك يعد «فيخته» اللغة والأمن أمرين متلازمين ومتعادلين، كما أشار «هردر» الألماني أيضاً إلى أن اللغة القومية بمنزلة الوعاء الذي تتشكل به، وتحفظ فيه، وتنقل بوساطته أفكار الشعب، فقال: «إن لغة الآباء والأجداد مخزن لكل ما للشعب من ذخائر الفكر والتقاليد

والتاريخ والفلسفة والدين، ولكن قلب الشعب ينبض في لغته، وروحه يكمن في لغة الآباء والأجداد»^(٣).

ومن الملاحظ أن الأمم التي وحدت كلمتها وبنّت قوميتها، وأظهرت كيانها وشخصيتها لجأت إلى اللغة وسيلة لذلك التوحيد وهذا البناء، فالوحدة الألمانية ومن بعدها الوحدة الإيطالية قامت على أساس وحدة اللغة، وعلى أساسها قامت القومية البولونية والبلغارية واليونانية. ولقد أدركت الثورة الفرنسية في أواخر القرن الثامن عشر أهمية اللغة القومية الفصيحة في بناء الأمة، وأنه لا حرية حقيقية من رواسب الإقطاع ولا كيان للشخصية الفرنسية إلا بتمثل اللغة القومية ومعرفتها. فلقد قدّم الراهب «غريغوار» إلى مجلس الثورة تقريراً عن حال اللغة الفرنسية جاء فيه: «إننا نستطيع أن نؤكد دون مغالاة أن نحواً من ستة ملايين من الفرنسيين ولاسيما في الأرياف لا يعرفون شيئاً عن اللغة القومية، وعدداً لا يقل عن ذلك إذا عرفوا شيئاً منها فإنهم لا يستطيعون أن يواصلوا التحدث بها، والذين يحسنون التكلم بها بفصاحة لا يتجاوزون ثلاثة ملايين. أما الذين يستطيعون كتابتها على وجه الصحة فهم أقل من ذلك بكثير».

واقترح «غريغوار» حلاً لهذه المشكلة تمثل في محاربة اللهجات المحلية ونشر اللغة الفرنسية الفصيحة بين المواطنين جميعاً. وكان من أول القرارات التي اتخذها «لينين» عقب الثورة الروسية قرار يقضي بضرورة إتقان المسؤولين كافة لغة الشعب^(٤).

تلك هي نماذج من أمم حية، أدركت الإدراك كله، ووعت الوعي كله أن روح الأمة وسر كيانها وعنوان وجودها، إنما يكمن في اللغة، ولذلك عندما سئل «بسمارك» عن أفضع الأحداث التي حدثت في القرن الثامن عشر أجاب: «إن المستعمرات الألمانية في شمال أمريكا اتخذت اللغة الإنجليزية لغة رسمية لها»، وهو يعني أنه كان في شمال أمريكا جاليات ألمانية كبيرة، وعند حصول هذه المستعمرات على استقلالها اتخذت اللغة الإنجليزية لغة رسمية لها، وكان يأمل أن تتخذ هذه المستعمرات اللغة الألمانية بدلاً من الإنجليزية كي يضمن ولاءها لألمانيا.

وقد أثبت التاريخ صدق نظرة «بسمارك»، ففي الحربين العالميتين الأولى والثانية كان ولاء

الولايات المتحدة الأمريكية لإنجلترا على الرغم من كل خلاف بين أمريكا وإنجلترا. ومن مصادر هذا الولاء اللغة المشتركة التي تجمع بين الأمتين، إذ إن لوحدة اللغة أبلغ الأثر في تقريب الاتجاه الثقافي.

ومن هنا ندرك لم اتخذ المستعمرون من بين أساليب محاربة الأمة العربية القضاء على اللغة العربية الفصيحة لأنها الرباط الذي يوحد بين أبناء الأمة العربية، وحدت بينهم في مواضي الحقب بطريق القرآن الكريم، إذ لولا ذلك الكتاب العربي المبين الذي نزل به الروح الأمين على قلب الرسول العربي الكريم ﷺ آية لنبوته وتأيداً لدعوته ودستوراً لأمته، لكان العرب بددا. وما تزال هذه اللغة توحد بين أبناء الأمة العربية في مشرقهم ومغربهم. ولما أخفق المستعمرون في فرض لغاتهم في أثناء احتلالهم للوطن العربي راحوا يصفون لغتنا العربية بالتخلف وعدم مواكبة روح العصر، وأنه إذا أراد أبناء العربية اللحاق بروح العصر فما عليهم إلا أن يتخلوا عن الأحرف العربية، ويكتبوا بالأحرف اللاتينية ويستخدموا العامية مكان الفصيحة.

ويجد المتتبع للأمر أن الدعوة إلى الكتابة بالأحرف اللاتينية قد اقترنت بالدعوة إلى تبني العامية وهجران الفصيحة. وقد ظهرت هذه الدعوة في مصر على يد المستشرق الألماني الدكتور «سبيتا» الذي ألف كتاباً في صرف العامية المصرية وفي أمثالها مستخدماً الحروف اللاتينية في هذا التأليف، وجاء من بعده المهندس البريطاني «ويلكوكس»، وتبنى الدعوة إلى العامية، وسار المستشرق البريطاني القاضي «ويلمور» على منهج الدكتور «سبيتا» في تبني العامية المصرية على أن تكتب بالأحرف اللاتينية^(٥).

وفي مطلع الثلاثينيات دعا المستشرق الفرنسي «لويس ماسينيون» إلى الكتابة بالأحرف اللاتينية وبث دعوته في المغرب وفي مصر ولبنان.

وقد حمل نفر من أبناء العروبة ألوية هذه الدعوة في مصر ولبنان، فها هو ذا «سلامة موسى» في مصر يقول: «لست أحمل على اللغة العربية الفصيحة إلا لسبيين: أولهما صعوبة تعليمها، وثانيهما عجزها عن تأدية أغراضنا الأدبية والعلمية، ولذلك فإن من مصلحة أبناء الأمة المصرية أن يكتب أبناؤها باللهجة المحلية وبالحروف اللاتينية، وفي ذلك حفاظ على وطنيتهم المصرية». ويقول «عبد العزيز فهمي» عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة سابقاً: «لقد فكرت في

تجاوز موضوع تأخرنا منذ زمن طويل، فلم يهديني التفكير إلا إلى طريقة واحدة هي اتخاذ الحروف اللاتينية بدلاً عن حروفنا العربية كما فعلت تركيا».

ويقول الدكتور أنيس فريحة في لبنان: «ونحن من المؤمنين بهذه النظرية، ولا نرى حلاً للكتابة إلا بتبني الحرف اللاتيني وضبط الكلمات فيه مرة واحدة»^(٦).

الواقع لم تكن محاربة الفصحى من بعض الأجانب ومن سار تحت رايتهم من العرب إلا لكونها الرابطة القومية التي تربط بين أبناء الأمة الواحدة في أصقاعهم كلها، إذ إن الهدف من تبني الأحرف اللاتينية والكتابة بالعامية يتمثل في إبعاد العرب عن حضارتهم وتراثهم، إذ إن هذا التراث الغني الضخم مكتوب بالأحرف العربية وباللغة العربية الفصحى، فإذا هجر أبناء العربية حروفهم إلى الأحرف اللاتينية انقطعوا بذلك عن تراث آبائهم وأجدادهم، وهذا ما يتوخاه أعداء أمتنا، إذ إنهم ينشدون خلق فجوة بين ماضي هذه الأمة وحاضرها لأن هذا الماضي عامل حفز إلى الأمام، كما أن الهدف من العامية يتمثل في تثبيت التجزئة والانفصال بين أفكار العروبة نظراً لاختلاف لهجة كل قطر عن الآخر، فإذا اعتمدت العامية كان في ذلك هدم للفصحى وابتعاد عن تراث العربية. ومتى هدم صرح الفصحى تفتتت الأمة وثبت الانفصال بين أجزائها، وسهل بعد ذلك ابتلاعها والسيطرة عليها.

ومن هنا كان التعريب قضية قومية يجمع أبناء الأمة ويوحد الفكر بينهم وأن في عدم التعريب ذوباناً للهوية وقطعاً للعلاقة الأفقية بين العرب وقطعاً للصلة العمودية مع تراث الأمة وما خلفه لنا الآباء والأجداد في ميادين المعرفة^(٧). وها هي ذي الأمم صغيرها وكبيرها تترجم وتقدم لأبنائها الأفكار والعلوم الحديثة بلغاتها القومية ولا تستعير تعبير غيرها، فهذا هي ذي فنلندا تدرس الطب باللغة الفنلندية على حين ندرسه في أغلب جامعاتنا بالإنجليزية وأين الفنلندية من العربية؟ وهل لها الرصيد الثقافي الحضاري العريق كما هو عليه الحال للعربية؟ وها هو ذا القائد الفيتنامي «هو شي مينه» يرى أنه لا انتصار على العدو إلا بالعودة إلى اللغة والثقافة القومية؟ وها هي ذي إسرائيل تقيم كيائها على إحياء اللغة العبرية، إذ كانت لأغلبية المهاجرين اليهود إلى أرض فلسطين لغة في ألمانيا والنمسا وروسيا وبولونيا وأوروبا الشرقية عامة، وكانت لهذه اللغة آدابها، ولكنهم تركوها وآدابها ليحيوا لغة أخرى ماتت عملياً منذ ألفي سنة ألا

وهي العبرية وشتان بين اللغتين العبرية والعربية في مسيرة الحضارة الإنسانية^(٨).

٢ - التعريب قضية دينية:

من المعروف أن ثمة لهجات متعددة كانت لدى العرب في جاهليتهم، وأن هناك الكشكشة والعجعة.. الخ. وعندما توافر للعرب لغة مشتركة متمثلة في القرآن الكريم فهموها وعرفوا مدلولات ألفاظها فتوحدت كلمتهم والتأم شملهم وأصبحوا بناءً مدنية ورواد حضارة. وعلى الرغم من أن القرآن الكريم توجه للناس كافة، إلا أنه وصف نفسه بكونه عربياً في أكثر من آية:

- ﴿إنا جعلناه قرآناً عربياً﴾ «الزخرف ٣/٣٤».
- ﴿إنا أنزلناه قرآناً عربياً﴾ «يوسف ٢/١٢».
- ﴿قرآناً عربياً لقوم يعلمون﴾ «فصلت ٣/٤١».
- ﴿بلسان عربي مبين﴾ «الشعراء ٢٦/١٩٥».
- ﴿فإنما يسرناه بلسانك﴾ «مریم ١٩/٩٧».

ولئن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن العرب ليسوا بقوم متعصبين، وأن قوميتهم إنما هي قومية إنسانية، وأن لغة هذه القومية هي لغة تحمل رسالة إنسانية، فقد استطاعت أن تحمل مبادئ الدعوة الجديدة، وأن تبشر بها بين أقوام مختلفين، كما نقلت واستوعبت وصهرت في بوتقتها حضارات إنسانية متعددة من فرس وهند ورومان.

وعلى الرغم من الكوارث التي اجتاحت الأمة العربية، ومن الهجمات التي ابتليت بها عبر العصور، ظلت هذه اللغة صامدة في وجه كل التحديات العنيفة والهجمات الشرسة والمؤامرات الدنيئة، ويرجع السبب في هذا الصمود إلى القرآن الكريم الذي يعد سياجاً للغتنا يحفظها من الضياع، ويصونها من الاضمحلال والزوال، فإذا كنا حريصين على ديننا وفهمه فلا بد في الوقت نفسه من حرصنا على لغتنا والعمل على سيورتها وانتشارها لأنها لغة عقيدتنا، ولا يمكن فهم هذه العقيدة على النحو الأفضل والسليم إلا بفهم لغتنا وسماتها، ففي الآية الكريمة: ﴿وإنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ لا بد من ضبط العلماء بالرفع حتى يستقيم المعنى. وفي قوله تعالى: ﴿إن الله بريء من المشركين ورسوله﴾ لا بد من ضبط رسوله بالضم حتى يستقيم

المعنى...وهكذا..

إن أعداء أمتنا يدركون ارتباط اللغة العربية بالقرآن الكريم، وأن صمود هذه اللغة إنما مرده إلى ذلك الارتباط الوثيق بينها وبين القرآن الكريم، وهذه حقيقة نطق بها بعض الأجانب فها هو ذا الكاتب القاص الفرنسي «جول فرن» يكتب قصة خيالية، بناها على أن سياحاً اخترقوا باطن الكرة الأرضية، ولما وصلوا إلى مكان ما في باطنها خطر لهم أن يتركوا هنالك أثراً يدل على مبلغ وصولهم، فتركوا هناك حجراً نقشت عليه عبارة باللغة العربية، فلما سُئل «جون فرن»: «لم اخترت اللغة العربية من بين اللغات العالمية؟» أجاب: «لأنها لغة المستقبل، ولاشك أنه سيموت غيرها في حين تبقى هي حية حتى يرفع القرآن نفسه»^(٩).

وكان ممن تخوفوا من صمود اللغة العربية وقوتها لارتباطها بالقرآن الكريم «غلاستون» رئيس وزراء بريطانيا الذي قال منذ أكثر من تسعين عاماً: «ما دام هذا القرآن في يد العرب فلن يتمكنوا منهم»، كما أشار إلى ذلك أيضاً المستشرق الألماني «بيكر» قائلاً: «لا سبيل إلى الوصول إلى الشرق ما دام هذا القرآن موجوداً».

وتجدر الإشارة إلى أن بعض الأجانب من المستشرقين كانوا يتسمون بالموضوعية تجاه الحفاظ على الحروف العربية لارتباطها بالقرآن فها هو ذا المستشرق الإنجليزي: «إدوارد نيسون روس» يقول: «أما فيما يتعلق باستبدال الحروف اللاتينية بالعربية فإياكم وهذا الأمر». إني أفهم اقتباس الحروف اللاتينية في بلاد مثل تركيا. أما في مصر فالخذر من هذه لأن الحروف العربية هي حروف لغة القرآن، وإذا مسستم الحروف العربية مسستم القرآن بل هدمتم صرح وحدة العرب والإسلام.

وكان رد المستشرق الإيطالي «جويدي» على سلامة موسى: «رأيت أن اللغة العربية آية للتعبير عن الأفكار، وأنا لا أرغب في أن ينسى الكتاب الحاليون العلاقة بالماضي، لأن في الماضي العربي مجداً كبيراً، وهذه اللغة العربية أدت دوراً كبيراً في التاريخ العربي»^(١٠).

٣- التعريب قضية تربوية:

إن من يدرس بلغته الأم يتمكن من الفهم والاستيعاب أكثر ممن يدرس بلغة أجنبية،

وهذا ما أكدته التجارب التربوية، إذ إن التدريس باللغة العربية يسهل عملية التحصيل العلمي، فيشارك الطلاب أساتذتهم في فهم المسموع وسرعة التدوين مما يوفر الكثير من الوقت للطرفين، إضافة إلى أن الطالب لا يتهيب المادة كما هي عليه الحال باللغة الإنجليزية، إذ إن من مقاييس التهيب للطلاب مقدرة ذهنه واستعداده النفسي في فهم المادة في حد ذاتها، ولقد أدى عدم استيعاب الطلبة للمصطلحات والمفاهيم العلمية المقدمة إليهم باللغة الأجنبية إلى تسرب الطلبة من الكليات العلمية إلى كليات أخرى كما تبدى ذلك في دراسة تمت في جامعة الكويت، إذ لوحظ أن العامل الأساسي وراء هذا التسرب هو عدم قدرة الطلبة على فهم اللغة الإنجليزية. وها هي ذي إحصائية تبين عدد الطلاب المحولين من كلية العلوم إلى كليات أخرى في الجامعة ما عدا كليتي الطب والهندسة، وقد بلغت نسبة عدد الطلبة المحولين ٤٤٪ من مجموع الطلبة^(١) (الجدول رقم ١).

الجدول رقم (١): عدد الطلبة المحولين من كلية العلوم إلى كليات أخرى في جامعة الكويت ما عدا كليتي الطب والهندسة

الرقم	التخصص العلمي	العام الجامعي ٨٢/٨١	العام الجامعي ٨٣/٨٢	العام الجامعي ٨٤/٨٣	العام الجامعي ٨٥/٨٤	المجموع
١	رياضيات	١٤	٣٣	٢٩	٢٦	١٠٢
٢	كيمياء	١٤	١٩	٢٢	٢١	٧٦
٣	كيمياء حيوية	٥	١٢	٨	١٨	٤٣
٤	فيزياء	٦	١٢	١٢	١٩	٤٩
٥	حيوان	٩	٢٧	٢٦	٢٣	٨٥
٦	نبات وميكروبيولوجيا	١٢	١١	١٨	٢٧	٦٨
٧	جيولوجيا	٩	٩	١١	١٤	٤٣
	المجموع	٦٩	١٢٣	١٣٦	١٤٨	٤٦٦

(*) المصدر: جامعة الكويت - إدارة التسجيل، قسم متطلبات التخرج، نماذج تغيير الكلية والتخصص الرئيسي، تاريخ ١٩٨٥/٦/٢.

وفي دراسة علمية أجريت في كلية العلوم بجامعة الكويت تبين أن استخدام اللغة الإنجليزية

وسيلة اتصال تعليمية يسبب مشكلة لدى عدد كبير من الطلبة إذ أشار حوالي ٨٣٪ من عينة أعضاء هيئة التدريس العرب في كلية العلوم و ٨٤٪ من عينة طلبة كلية العلوم و ٨٩٪ من عينة طلبة كلية التربية إلى أن الطلبة المستجدين يواجهون صعوبة في استيعاب المفاهيم التي تدرس لهم باللغة الإنجليزية.

وقد دعم هذه الآراء ما ذكره أعضاء هيئة التدريس غير العرب من أن طلبة العلوم بصورة عامة يعانون من مشكلات لغوية لا تمكنهم من فهم المحاضرات التي تقدم لهم باللغة الإنجليزية، إذ إن لديهم مشكلات في الكتابة والتعبير الشفهي، ويفتقرون إلى المصطلحات العلمية والقدرة على التلخيص لأنهم يفكرون بالعربية^(١٢).

وفي دراسة أجريت في صفاقس بالجمهورية التونسية شملت أساتذة التعليم الثانوي المتخصصين بالعلوم الفيزيائية والعلوم الطبيعية والرياضيات والمواد التقنية، كما شملت عينات من التلامذة في المدينة وفي الريف ومن الجنسين، إضافة إلى شمولها المحيط الذي يتعامل معه في التعليم أي المؤسسات والإدارات بمختلف أنواعها، توصلت الدراسة إلى أن ٩٤٪ من الأساتذة يعملون إلى تدريس العلوم بالعربية فوراً، أو بعد فترة تدريب لا تزيد عند أغلبهم على عامين، كما أوضحت الدراسة أن التلاميذ الذين يتعلمون بالفرنسية من سن ١٢ و ١٩ سنة لا يحفظون مما تعلموه في نهاية كل سنة إلا بنسبة ٢٢٪، وأن ٨٤٪ من هؤلاء يرغبون في تفسير ما تعلموه بالعربية لا بالفرنسية التي تعلموه بها. وعندما سُئل الطلاب عن شرح بعض المفردات العلمية أو المصطلحات ووجه إليهم السؤال بالفرنسية أجابوا عنه بالعربية وقد أعطي لهم الخيار في الإجابة بإحدى اللغتين^(١٣).

وفي صفاقس نفسها تم تقويم خطة تعريب علم التشريح عبر سير آراء الطلبة السنة الأولى من كلية الطب بصفاقس، وقد طبقت التجربة بعد توزيع استبانة على الطلبة سئلوا فيها عن فهم المصطلحات ومجال فهمهم للمواد الأخرى والمستوى العلمي واللغوي. وتبين أن الطلبة أصبحوا يفهمون المفردات دون الاستعانة بقواميس أو مراجع، وأن مستوى تعليم علم التشريح تحسّن قياساً لما كان عليه المستوى بالفرنسية^(١٤).

وفي دروس الطب النفسي بالجمهورية الفرنسية يذكر الدكتور سليم عمار أن الطلبة كانوا

يتجاوبون بصفة تلقائية مع الأمثلة المحسوسة التي كانت تقدم لهم باللهجة التونسية المهذبة تارة، وتارة أخرى بلغة عربية سهلة المنال، فكان الطلبة يفهمون دروس الطب النفسي بكل وضوح، بينما كانوا يجدون صعوبة في فهم المعاني والمصطلحات الفرنسية المعقدة التي كانت تقدم لهم في صلب المادة الدقيقة المتشعبة في نظرياتها وكلماتها ومعانيها. وقد أجمع المستمعون على أن الدرس العربي كان سهل المنال بفضل التذكير بالمصطلحات الفرنسية المقابلة للمصطلحات العربية، والتي كثيراً ما كانت واضحة المفاهيم بالرغم من أنها تقدم للطلبة لأول مرة^(١٥).

وقد نسج على هذا المنوال بعض الأساتذة في كلية الطب ممن كانوا يلقون دروساً في جراحة الأعصاب وفي طب العيون باللغة العربية دون استخدام الفرنسية، وكان التقبل إيجابياً والنتائج جيدة.

وثمة دراسات أجريت في المملكة الأردنية الهاشمية أشارت إلى أن الطلبة الذين درسوا بلغتهم الأم في الكليات العلمية قد تفوقوا على أقرانهم الذين درسوا باللغة الإنجليزية من حيث استيعاب المفاهيم العلمية وتمثلها.

ومن هنا كانت الدعوة إلى استخدام اللغة الأم في التدريس الجامعي ليست بدعاً في العالم، ولا هي أمر عجيب، بل العكس فيها هو الأمر العجيب، إذ ليست هناك دولة في العالم إلا اتخذت من لغتها القومية لغة التعليم العالي في جامعاتها، ففي جمهوريات الاتحاد السوفيتي سابقاً تدرس كل جمهورية بلغتها المحلية في جامعاتها حرصاً منها على أن يطلع كل مواطن مثقف على ميادين العلم والمعرفة باللغة التي يتقنها، وكان قادة الاتحاد السوفيتي سابقاً قادرين على فرض اللغة الروسية الواحدة في جميع الجمهوريات، ولكنهم أدركوا الألفة بين اللغة التي يتقنها الطالب والعلوم التي يجب عليه الإلمام بها، كما أدركوا الضرر الذي سيعود على العلم والثقافة لو أبعادوا اللغة المحلية عن التعليم العالي^(١٦).

ولقد أبدى مدير منظمة الصحة العالمية استغرابه من تدريس الطب في الجامعات العربية باللغات الأجنبية وليس باللغة الأم، وهو يرى أن التعليم بغير العربية في جامعات الوطن العربي ظاهرة تخلف ليس لها أي مبرر، وتتنافى مع قرارات منظمة الصحة العالمية الداعية إلى تعليم الطب باللغة العربية. وها هي ذي تجربة الجامعات السورية تبقى الرد العلمي الموضوعي على كل

حملات التشكيك في صلاحية اللغة العربية وعدم قدرتها على الإيفاء بمتطلبات تدريس العلوم والطب بالعربية، إذ إن الطلبة المتخرجين يفوقون أقرانهم ممن درسوا باللغة الأجنبية في جامعات أُنخر.

٤ - التعريب قضية مجتمعية:

إن عملية التفاعل بين المتخرجين في الجامعات وأبناء مجتمعهم تكون ميسرة باستخدام اللغة الأم، فالطبيب الذي درس في الجامعة باللغة الإنجليزية، يمارس اللغة العربية لغة تواصل مع مرضاه ولا يمارس الأجنبية.

وعلى الجامعات ومعاهد التعليم العالي أن تعزز الصلة بينها وبين مجتمعها وما تعلمه لأبنائها وما تعددهم من أجله. والتعريب في هذا المجال يحقق ديمقراطية التعليم، إذ ما معنى ديمقراطية التعليم إذا لم يكن هذا التعليم باللغة التي يفهمها أبناء الأمة. إن ديمقراطية التعليم ما لم يكن هذا التعليم باللغة القومية تغدو شعاراً لا مضمون له وصورة لا واقع لها، وإن ديمقراطية التعليم وكونه باللغة الأم طرفان متلازمان لا بد أن يؤدي أحدهما بالتحتمية إلى الآخر. وما إصرار بعض الجامعيين على استخدام لغة لا يتقنها غيرهم إلا تعبير عن شعور بالتمييز والطبقية وترفع عن المجتمعات التي ما أنشئت الجامعات إلا لخدمتها.

وإن على القيادات الجامعية أن تجعل من الجامعات ومعاهد التعليم العالي العربي مصالِح لتخريج الرجال الذين استنارت بصائرهم وتأصلت شخصياتهم وتركزت دعائم انتمائهم على أمتهم، ولن يتحقق ذلك بإبعاد اللغة القومية، وإنه لتناقض عجيب أن نعلم طلابنا شرف لغتنا وكونها دعامة قوميتنا، ونتحدث لهم عن مزاياها وسعة تراثها، ثم نباعد بينهم وبينها فنعزلها عنهم ونعزلهم عنها.

٥ - التعريب قضية أمن ثقافي:

يعد الأمن الثقافي لأي أمة من الأمم في مقدمات أولوياتها، ذلك لأن الثقافة هي الحصن الأخير للأمة، فإذا سقط هذا الحصن أصيبت الأمة بالاضمحلال والزوال والاحياء.

واللغة هي رمز للكيان القومي وأمانة على شخصية الأمة وذاتيتها الثقافية، ذلك لأن الذاتية الثقافية تتمثل في التراث الفكري وفي الرؤى الحضارية عبر اللغة القومية كما يرى الدكتور

محي الدين صابر إذ يقول: «على التعليم العالي أن يقوم على أنه محور أساسي لرسالته، على عملية تنمية الذاتية الثقافية التي تمثل الخصوصية الحضارية للمجتمع والتي هي مناط سائر أنواع التنميات الأخرى، والتي هي بصفة خاصة سبيل الأمة في العطاء الحضاري للمجتمعات الأخرى وأسلوب التبادل الخلاق مع الآخرين، ويتمثل ذلك في الذاتية الثقافية، في خصائص المجتمع الأساسية وفي تراثه الحضاري وفي مقدمته اللغة القومية التي ليست شكلاً ولا رمزاً، ولكنها مضمون وطريقة تفكير ومستودع حضارة^(١٧)».

ويرى بعض الباحثين أننا ابتلينا بإهمالنا للعربية، بغرورنا أن سواها أعف وأبهى وأفتى وأقرب إلى مقومات الحضارة الحديثة، أسمعنا هذه المعزوفات فابتلينا بعقدة التكابر حيال لساننا والنتيجة أننا صغرنا في أنفسنا دون أن نكبر في أنفس الحاكمين حتى صرنا لا نتحى لبيان عربي ولا لبلاغة عربية^(١٨).

ومعظم مشكلاتنا الاجتماعية سببه التنازل عن واحدنا الأحد، عن تاريخنا الواحد، عن لساننا الواحد، عن أرضنا الواحدة، عن تراثنا الواحد، عن إرادتنا الواحدة، وليس في العالم شعب يريد إدخال عفاف على عفافه. إن كل أمة عزيزة الجانب أبية الخلق، ثابتة الإرادة تقدم لغتها على لغة سواها، ولا تتناول أشياء الآخرين إلا من بعد أشياءها القومية أي من وراء حدودها الوطنية^(١٩).

وتدلنا الملاحظة العابرة على أن الوطن العربي منكشف أمام الغزو الثقافي الأجنبي الذي يمضي كالسيل العارم. وإذا كانت أمتنا قد استطاعت في كثير من الفترات العصبية التي مرت بها عبر تاريخها أن تصمد أمام الغزوات العسكرية الأجنبية وأن تحافظ على هويتها وكيانها في نهاية الأمر بفضل عمق جذورها الثقافية وحرصها على حمايتها فإننا نلاحظ اليوم أن الغزوات تصيب جوهرها والقلب منها ألا وهو وجودها الثقافي وكيانها بوصفها أمة واحدة لها دورها وإسهامها المتميز في مسيرة الحضارة الإنسانية.

ولعلنا لا نضيف جديداً إذا ذكرنا بأن جوهر أمتنا العربية الإسلامية إنما يقوم على الانفتاح الحضاري الإنساني. من أرضها قامت الفتوحات، وعبرها مرت، وتعرضت لمحن واجتياحات، ومع ذلك بقيت تقدم للعالم نموذجاً اجتماعياً إنسانياً يؤكد انفتاح الإنسان على

الإنسان، إذ ظلت تحمل راية الحياة المعطاء، راية الأخوة الإنسانية.

وأمتنا العربية الإسلامية التي ترفض العصبية والتعصب لا تقبل ذوبان هويتها الثقافية على الرغم من حرصها على الاغتذاء بعطاء سواها. وهي تفهم التعاون الإنساني عملاً مشتركاً بين الأمم في إطار من الندية والتكافؤ تدلي منه كل أمة بدلوها من خلال اغتذائها بعطاء تربتها الثقافية وهوائها الذاتي بحيث يتولد من هذا كله مجتمع إنساني متكافئ لا فضل فيه لأحد على أحد إلا بمقدار ما يقدم للإنسانية من خير انطلاقاً من قول الله عز وجل: ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتِّقَاكُمْ﴾ ومن حديث نبيه المصطفى ﷺ: «خير الناس أنفعهم للناس».

على أن حال الانبهار التي تعيشها أمتنا العربية الإسلامية لا بل حال الاستلاب للثقافة الغازية تستلزم تعزيز عملية التعريب وحسن الاختيار من الثقافات الأخرى، إذ إن عملية الحفاظ على الهوية الثقافية لا تنفي أهمية الانفتاح على المواد الثقافية الإيجابية في الحضارات الأخرى إغناء للثقافة العربية في إطار من التوازن، كما أن الحفاظ على الهوية لا يعني الجمود في إطار من الموروث القديم، بل هو عملية تتيح للمجتمع أن يتغير ويتطور دون أن يفقد هويته الأصلية، وأن يتقبل التغيير دون أن يغترب فيه. إنه التفاعل بين الأصالة والمعاصرة، وإنه التفاعل بين الإيجابي البناء من الثقافات الأخرى وما يتفق مع مناخنا وأرضنا وتربنا.

إننا في أمس الحاجة إلى برامج عربية تؤكد الهوية الثقافية العربية لمواجهة هذا السيل العارم من التيارات الفكرية التي تتصارع على خريطة العالم والتي تنقلها إلينا القنوات الفضائية ووسائل الإعلان والدعاية، على أن تستند هذه البرامج إلى القيم الروحية والتراث الحضاري العربي الإسلامي.

وإن الحرص على تعزيز القيم الروحية والمثل الأخلاقية وتمجيد قيم العمل في البرامج البديلة يتأتى من الحرص على التصدي للآثار السلبية للبرامج المبتوثة الزاخرة بالتيارات المادية والتحديات والتناقضات التي تهدد العافية الروحية للأمة العربية الإسلامية وللمجتمع الإنساني بأسره.

ولغتنا العربية لغة حية متطورة، ولديها القدرة على استيعاب مقتضيات العصر ومستلزماته بكل سهولة ومن هنا كان الحفاظ على سلامتها يعد من الضرورات القومية وأحد مستلزمات

صيانة الذاتية الثقافية بما يتطلبه هذا من الحفاظ على التراث والاعتزاز به من ناحية ومسايرة عوامل التطور والتحديث من ناحية أخرى.

فالتعريب إذن من زاوية الأمن الثقافي ضرورة لإيقاف الغزو الفكري والتبعية الأجنبية المتزايدة، فالسيل جارف من المنبع إلى المصب، ويشمل جميع مرافق الحياة. ويبقى الفكر العربي ناقصاً وغريباً إذا لم يقرأ أو يكتب ويفكر فيه بالعربية ليقف على أرض صلبة في مواجهة الاستلاب والهيمنة والتبعية الأجنبية، إذ إن الفكر لا ينهض ويقوى إلا عن طريق لغة ذاتية لهذا الفكر.

٦- التعريب قضية إبداع وابتكار:

من الأمور المعروفة أن أمتنا العربية الإسلامية إبان عصورها الزاهية قد اطلعت على ثقافات الأمم الأخرى ونقلتها إلى العربية وأعطتها الطابع العربي، لا بل إن كثيراً من مفكري حضارتنا قد أبدعوا بعد أن استوعبوا وتمثلوا ثقافات الآخرين، فكان إبداعهم عربي الطابع، وإن كان بعضهم ليس من أصل عربي، ويقول محمد العمروسي التونسي في هذا الصدد: «إذا علمت شخصاً بلغة قومه فقد نقلت العلم إلى تلك اللغة. إما إذا علمته بلغة أخرى فلم تزد على أنك نقلت ذلك الشخص إلينا».

ومن هنا كانت قضية التعريب ترمي إلى تكوين شخصية إبداعية عربية تمتلك القدرة الذاتية على إنتاج العلم وصناعة التقانة «التكنولوجيا»، وهذه القدرة ليس مناطها المعرفة العلمية وحدها، ولكن المناخ العلمي الذي يستدعي عدداً من الظروف المواتية لتملك القدرة الذاتية، وهي ظروف متعددة الجوانب، منها ما هو سياسي، ومنها ما هو تشريعي، وما هو تنظيمي، وما هو اجتماعي، وما هو مالي، وما هو في الأساس علمي.

كما ترمي قضية التعريب إلى القدرة على المشاركة والتفاعل من منطلق متميز، ذلك أنه يمكن للأمة العربية أن تسهم في الحضارة العالمية المعاصرة متجاوزة عقبات التخلف بضم قدراتها البشرية والعلمية والمادية واستنابات علمها عربياً، وتوحيد استراتيجياتها تنموياً، وأن تصنع تقانة عربية.

والسبيل إلى ذلك هو الإنسان الذي يتلقى علوم العصر بلغته، يتعلم ويعلم ويبحث بها، حتى

يكون ذلك إغناء للثقافة العربية بين المتخصصين والمتعلمين وجماهير الشعب بما يوسع من قاعدة المشاركة وصنع الوعي بالتقدم ودعم الشعور بالحاجة إليه والإسهام في تطويره.

ثالثاً- مستلزمات التعريب

ثمة مستلزمات متعددة للتعريب بعضها يتعلق بالإحساس بالانتماء وبالقرار السياسي وبعضها يتعلق بأعضاء الهيئة التدريسية وبعضها الثالث يتعلق بالكتب والمراجع والمجلات العلمية، وسنحاول فيما يأتي الوقوف على هذه المستلزمات:

١- الإحساس العميق بالانتماء:

مما لاشك فيه أن من كان يتحلى بالإحساس العميق بالانتماء إلى أمته ولغته وتراثه وحضارته ستكون دافعيته نحو التعريب عالية، ويبدل كل إمكانياته وقدراته وطاقاته في سبيل تيسير عجلة التعريب ورفدها بكل ما تحتاج إليه ما دامت جذوة إيمانه متقدة. أما من ضعف لديه الانتماء والإحساس بواجبه نحو لغته وأمته فإنه لا يحس بعمق المأساة التي تعانيها أمته من جراء الاستهانة بلغتها رمز كيائها القومي وعنوان شخصيتها العربية، ولنستمع إلى الدكتور عبد الصبور شاهين يقول في أحد أبحاثه: «تبرز مأساة اللغة العربية بوضوح إذا ما رأينا أن العلوم التي تقوم عليها الحضارة الحديثة كالمهندسة والطب والصيدلة والطبيعة والرياضيات كلها تدرس باللغة الإنجليزية في جامعاتنا، لا لأن اللغة العربية عاجزة عن تمثيل حقائقها ومصطلحاتها تمثلاً ما، بل لأن هيئات التدريس في هذه المجالات هي العاجزة عن استعمال اللغة العربية أداة لنقل المعارف الحديثة ومتابعة ما ينشر في الخارج بفكر ولسان مبين.

ولقد حضرت أخيراً مناقشة لرسالة في علم الطفيليات- يقول الدكتور شاهين- لنيل درجة الدكتوراه وكانت هذه المناقشة نموذجاً للمأساة التي نعيشها في الوطن العربي، ومعبرة عن التمزق العميق في أعلى مستويات البحث العلمي الحضاري: الرسالة محررة بالإنجليزية، وقدمت الطالبة ملخصاً عنها بالإنجليزية أيضاً. وبدأت المناقشة فتحدث المشرف بالعربية، وناقش أحد الأعضاء الطالبة بالإنجليزية أيضاً. وناقش العضو الآخر الطالبة بالعربية، وكانت الطالبة ترد

وتناقش بالإنجليزية وبالعربية في لغة مختلطة كاختلاط الرقع في الثوب المهلهل وذلك في كلية الطب بإحدى الجامعات المصرية العريقة، ولو أن هذا الموضوع كان مطروحاً بجامعة دمشق، لكتب بالعربية ولنوقش بالعربية دون أدنى صعوبة في الأداء أو في المصطلحات.

لنقلها صراحة ودون مواربة- يقول الدكتور شاهين: «إن اللغة العربية غير عاجزة، وإنما العاجز بعض بنيتها سواء أكان العجز من النوع الثقافي المتمثل في ضعف إلمام أساتذة القاهرة باللغة العربية ومصطلحاتها، أم كان من النوع النفسي إذا افترضنا فيهم القدرة على استعمال اللغة، ولكنهم يجمعون عن خوض التجربة لفقر في الإحساس بالكرامة القومية، ذلك الإحساس الذي يدفع الجندي الأمين إلى اقتحام الأهوال، وقد كان خليقاً أن يدفع هؤلاء الأساتذة إلى صنع المحال»^(٢٠).

٢- القرار السياسي:

إن التريث في تنفيذ القرارات المتعلقة بالتعريب، والتسويق في تنفيذها، لا يمكن أن يحسم إلا بقرار سياسي من أعلى المستويات، ولنتخذ من تجارب الآخرين معلماً نستهدي به في مسيرتنا، فها هي ذي جامعة الفيتناميين تستعمل اللغة الفيتنامية في تدريس العلوم كافة، وعندما أصدر «هو شي منه» أمره بالفتنة الشاملة على الرغم من أن الفرّسة للمجتمع الفيتنامي دامت أكثر من ثمانين عاماً، طلب أساتذة كلية الطب في هانوي مقابلته ليخبروه بأن فتنة الدراسات الطبية عملية مستحيلة بسبب جهل أساتذة كلية الطب وطلبتها باللغة الفيتنامية، وطلبوا إليه العدول عن قراره أو إمهال تطبيق الفتنة على كلية الطب، واستمع القائد الفيتنامي لهم ساعات، ثم حسم الموقف في نهاية المقابلة قائلاً لهم: «يسمح لكم بالتدريس باللغة الفرنسية بصورة استثنائية هذه السنة فقط، مع ضرورة تعلمكم وطلبتكم اللغة الفيتنامية الوطنية في خلال أشهر الدراسة التسعة، على أن تجري الامتحانات وفي سائر المستويات في نهاية السنة باللغة الفيتنامية، ثم تستأنف الدراسة في السنة المقبلة باللغة الفيتنامية»^(٢١).

فلنقارن بين هذا الموقف وموقف مسؤول في إحدى الجامعات العربية الخليجية عندما أصدر قراراً باستخدام اللغة الإنجليزية في التدريس بكلية الهندسة والعلوم والاقتصاد، وعندما شكّا إليه أساتذة كلية الاقتصاد أنهم غير مستعدين للتدريس بالإنجليزية لا هم ولا طلابهم أجابهم:

يسمح لكم بالتدريس هذا العام فقط باللغة العربية، أما في السنة القادمة فالتدريس بالإنجليزية؟
والواقع يدل على أن التوصيات التي توصلت إليها مؤتمرات التعريب على نطاق الساحة
العربية غير ملزمة للدول العربية إن لم يكن ثمة قرار سياسي يدعمها، فالقرار السياسي الذي اتخذ
حول المصطلحات العسكرية جعل المصطلحات المستخدمة في سورية تستخدم في مصر وما
تزال تستخدم حتى الآن.

والذي أعطى مسيرة التعريب في سورية انطلاقتها بكل حيوية وحماسة إنما هو القرار
السياسي منذ أن بدأ التعليم في كليتي الطب والحقوق في الجامعة السورية.
والسودان عرّب بقرار سياسي، ففي سنة ١٩٨٣ أشار استفتاء في السودان لأعضاء
هيئات التدريس بالجامعات إلى عدم رغبة الأكثرية منهم بالتعريب، وفي سنة ١٩٩٦ صدر قرار
سياسي بالتعريب فالتزم الجميع به في الجامعات السودانية^(٢٢).
ولقد صدر قرار سياسي في بعض الدول العربية بإدخال اللغة الأجنبية إلى المرحلة
الابتدائية ولاسيما الصفين الخامس والسادس منها، ونفذ القرار، فلم يكن التنفيذ هناك ولا
يكون التنفيذ في مجال استخدام العربية لغة للتدريس في التعليم العالي؟

٣- إعداد المدرسين الأكفاء القادرين على التعليم بالعربية:

لا يخفى على أحد منا ما للمدرس من دور فعال في إنجاح عملية التعريب، ولكي يكون
المدرس مسهماً في عملية التعريب لابد من أن يكون مزوداً بالآتي:

أ- التمكن من اللغة العربية.

ب- التمكن من اللغة الأجنبية.

ج- التمكن من مادة تخصصه.

د- التأهيل التربوي.

وانطلاقاً من الإحساس القومي بالمسؤولية القومية تجاه لغتنا العربية في الجامعات السورية
أوصت اللجنة الثقافية في رئاسة مجلس الوزراء بضرورة العناية باللغة العربية في جميع الكليات واختيار
المعيدين وأعضاء الهيئة التدريسية من الذين يحسنون اللغة العربية في التدريس.

وصدر بلاغ من رئاسة مجلس الوزراء موجه إلى وزارة التعليم العالي يقضي بأن تقوم وزارة

التعليم العالي بالنسبة للأساتذة المعينين حديثاً بما يأتي:

أ- ألا ينقل الأساتذة الجدد المتمرنون في جميع الاختصاصات من المرحلة الأولى

إلى المرحلة الأعلى قبل أن يتقدم هؤلاء إلى امتحان في اللغة العربية.

ب- أن يكون من شروط التعيين لعضو الهيئة التدريسية في جامعات القطر

ومعاهدها المتوسطة وفي جميع الاختصاصات شرط النجاح في امتحان

شفاهي وكتابي في اللغة العربية.

ج- إحداث دورات تأهيلية في اللغة العربية للأساتذة.

وتتكون لجنة اختبار اللغة العربية من رئيس قسم اللغة العربية في كلية الآداب ومن رئيس

القسم المختص الذي يود أن يُعيّن فيه عضو هيئة التدريس ومن أحد أعضاء هيئة التدريس في

قسم اللغة العربية يسميه رئيس فرع نقابة المعلمين في الجامعة ومهمة اللجنة:

١- إجراء امتحان شفاهي وكتابي للمعينين أول مرة من أعضاء الهيئة التعليمية.

٢- إجراء امتحان لأعضاء الهيئة التعليمية المتمرنين عند تأصلهم.

ولم تكتف الجامعة بهذه الإجراءات للنهوض باللغة العربية، وإنما عملت على أن جعلت

سلامة اللغة العربية شرطاً ينص عليه في تقويم الإنتاج العلمي للترقي في سلم هيئة التدريس، كما

أنها اتخذت إجراءات في ضرورة مراجعة الأمالي والكتب الجامعية بحيث تضمن سلامة اللغة

ووضوح الأسلوب في كل ما تقع عليه عين المتعلم.

ومن الملاحظ أن بعض جامعاتنا في الوطن العربي كما هي الحال في بعض الجامعات

الخليجية أنها تشجع التعريب لفظياً وإعلامياً ولكنها عملياً تحاول أن تمنع عضو هيئة التدريس

من المساهمة بلغته في مجال تخصصه وفي مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية والإدارة، إذ إن

الترقية في هذه المجالات تتطلب أن يكون الباحث قد قدّم بحثاً منشوراً ومحكماً بلغة أجنبية.

وإذا كانت الجامعات السورية تشترط عند تعيين عضو هيئة التدريس في الجامعة أن يعمل

على ترجمة أطروحته في الدكتوراه إلى اللغة العربية إغناء لعملية التعريب فإن ثمة بحثاً في اللغة

العربية في جامعات عربية أخرى تتم باللغة الإنجليزية ومنها رسائل في الماجستير والدكتوراه وتعلق

بدراسة التراكمات العربية، وعلم الدلالة في اللغة العربية، وهي رسائل حديثة في مكاتب إنجلترا

وأمریکا وفرنسا، وهؤلاء الذين يقدمون هذه الرسائل لا يقومون بترجمة هذا الإسهام العلمي إلى العربية.

ومن ناحية أخرى ثمة جامعات عربية لا تعد الترجمة عملاً علمياً يدخل في ترقية عضو هيئة التدريس من مرتبة إلى أخرى، وهذا ما أثر سلبياً في حماسة أعضاء هيئة التدريس نحو الترجمة ما دام الجهد المبذول لا يدخل في الترقية.

كما أن الجامعات السورية تشترط عند تأصيل المدرس بعد إخضاعه إلى التمرين أن يخضع لدورة في التأهيل التربوي يتدرب من خلالها على أصول التدريس واستخدام التقنيات التربوية وأساليب التقويم.. الخ. ذلك لأن المدرس قد يكون متمكناً من مادة تخصصه ومن لغته إلا أنه قاصر عن إيصال مادته إلى طلابه بالأساليب التربوية الشائعة مما يؤثر في تحقيق الأهداف. ومن هنا كانت عملية التأهيل التربوي لأعضاء الهيئة التدريسية في جامعات الوطن العربي من الأهمية بمكان وأن لها دوراً في مسيرة التعريب عندما تتم عملية نقل المعلومات والمعارف والتفاعل معها باللغة العربية وبأساليب تربوية شائعة.

ومن الإجراءات التي تساعد على عملية التعريب في مجال إعداد المدرسين الأكفاء القادرين على التعليم بالعربية أن يتم انتداب أساتذة من الجامعات التي تنفذ التعريب للتدريس بالعربية في جامعات تسعى إلى التعريب وإلقاء محاضرات في هذه الجامعات لفترات كافية تشجيعاً للأساتذة المحليين وكسراً للحاجز النفسي الذي يحسون به تجاه إلقاء محاضراتهم بالعربية، ولابد هنا من تشجيع هؤلاء على الكتابة وإلقاء الدروس والمحاضرات والمشاركة في الندوات باللغة العربية الفصيحة وكتابة البحوث باللغة العربية أيضاً.

ومن بين هذه الإجراءات أيضاً تنظيم برنامج تبادل الزيارات بين مدرسي المادة الواحدة في الجامعات العربية، وحضور الأساتذة الذين يدرسون بالأجنبية إلى الجامعات العربية التي تدرس بالعربية للاطلاع على تجاربها والإفادة منها.

ولابد من العمل على تخفيف الأعباء التدريسية والإدارية عن أعضاء الهيئة التدريسية وتوجيه جزء من نشاطهم إلى التعريب الذي سيؤدي بدوره إلى رفع مستواهم العلمي بصورة غير مباشرة.

ومن الإجراءات المساعدة أيضاً تشجيع الأساتذة على مطالعة كتب التراث ذات العلاقة بتخصصاتهم لمدهم بمصطلحات علمية ومفردات تعينهم في إغناء لغتهم في مجالات تخصصهم. ومما يساعد في تعزيز عملية الإعداد الاستمرار في تحقيق التراث العلمي العربي وكشف النقاب عن المخطوطات العلمية العربية في داخل الوطن العربي أو في خارجه كالمتحف البريطاني في لندن والمكتبة الأهلية بباريس والاسكوريال في إسبانيا... الخ.

٤ - تقوية الدارسين باللغتين العربية والأجنبية:

على أن تتم هذه التقوية في جميع مراحل التعليم، وألا تقتصر على المستوى الجامعي، ذلك لأن للمراحل الأولى من اكتساب اللغة أهميتها في إتقان المهارات اللغوية. ولقد عملت الجامعات السورية على تدريس اللغة العربية مقررراً إجبارياً في الكليات والمعاهد كافة وفي مختلف التخصصات. ويدرس هذا المقرر على مدار السنة الدراسية في النظامين الدراسيين الفصلي والسنوي، ويعد مقررراً امتحانياً واحداً يجري الامتحان فيه في دورة امتحانات الفصل الدراسي الثاني. وألفت الكتب الخاصة بتعليم اللغة العربية لغير المختصين، وثمة متابعة وتقييم مستمر لتعديلها.

أما فيما يتعلق باللغة الأجنبية فإن ضعف مستوى تعليمها في المدارس الثانوية والجامعية على حد سواء أدى إلى أن تلقى الدروس بلغة عامية في بعض الأحيان تشوبها مفردات أجنبية في المصطلحات العلمية.

وإزاء الوضع كان ثمة التفات إلى العناية باللغة الأجنبية، إذ لم يكن الاهتمام منصباً على اللغة القومية وحدها، وإنما كانت ثمة إجراءات للنهوض بمستوى تدريس اللغات الأجنبية في التعليم الأجنبية في التعليم العام، وأدخل هنا التدريس إلى مرحلة التعليم ما قبل الجامعي.

أما في الجامعة فتدرس اللغة الأجنبية على مدار سنوات الدراسة الجامعية كلها، إذ يركز على النواحي اللغوية في السنتين الجامعتين الأولى والثانية ويتركز على النواحي الوظيفية في ضوء اختصاصات الدارسين في السنتين الثالثة والرابعة.

ومن الإجراءات المتخذة أيضاً الإكثار من المبعوثين للاطلاع والبحث في الدول الأجنبية،

وإلزام الطلاب الذين يرغبون في التسجيل لنيل درجة الماجستير بإتباع دورة مكثفة باللغة الأجنبية ونجاحهم بها.

ولما كانت مسيرة التعريب تقتضي إتقان اللغة الأجنبية إلى جانب اللغة العربية اشترط لقياد الدارس في الدراسات العليا لتحضير الدكتوراه أن يخضع الدارس إلى اختبار تقيمه الجامعة سنوياً في اللغة الأجنبية ولا يتم التسجيل لدرجة الدكتوراه إلا بعد نجاحه في هذا الاختبار. وعندما يكون الدارس متمكناً من اللغتين العربية والأجنبية تغدو عملية اكتساب المصطلحات وفهمها وتمثلها والانتقال بها من لغة إلى أخرى عملية ميسرة وسهلة، وهذا يساعد في الارتقاء بمسيرة التعريب.

٥- توفير الكتب والمراجع والمجالات العلمية المتخصصة:

إن هناك عدداً من الجامعات في الوطن العربي تدرس الطب والهندسة والعلوم وغيرها باللغة العربية. وفي هذه الجامعات كتب ومراجع في مجالات الاختصاصات، كما أن هنالك العديد من المعاجم والمصطلحات التي يصدرها مكتب تنسيق التعريب التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، كما أن المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر التابع للمنظمة أيضاً يصدر كتباً مترجمة في المجالات العلمية ولا بد من الإفادة من إصدارات المركز في عملية التعريب.

وتجدر الإشارة إلى أن عملية التعريب لا تقتصر على الكتب الدراسية المقررة بل يجب أن تتسع لتشمل أمهات المجالات العلمية العالمية ليكون الطالب على اتصال دائم بتقدم العلوم وتطورها على النحو الذي يفعله الإنجليز والألمان والفرنسيون والروس.. الخ، وإعطاء مستخلصات لآخر ما صدر عن الأمم الأخرى من بحوث.

ولا بد في الوقت نفسه من إصدار مجالات علمية متخصصة على مستوى علمي راقٍ تنشر بالعربية، إضافة إلى إصدار كتب علمية مبسطة للمستويات العلمية المختلفة بالعربية أيضاً وإصدار مجالات علمية مبسطة.

ولا بد أيضاً من تحديث المكتبات الجامعية وإدخال التقانات الحديثة إليها وإنشاء وحدة معلومات تختص بالدراسات العلمية والبحث العلمي تتصل بشبكة الوحدات الفرعية المماثلة في

الجامعات ومراكز البحوث التربوية.

ومن الأهمية بمكان حصر الجهود المبذولة في مجالات التعريب على المستويين القطري والقومي تلافياً للتكرار وتعميماً للفائدة المرجوة من تبادل التجارب والخبرات.

٦- تعزيز التنسيق بين العاملين في توحيد المصطلحات:

ويتم هذا التنسيق بين الأقسام المتماثلة في جامعات القطر الواحد، ثم بين جامعات هذا القطر والجامعات الأخرى في الدول العربية، على أن يكون ثمة تعاون بين الجامعات ومجامع اللغة العربية في هذا المجال.

ولئن كان مركز تنسيق التعريب في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم يسهم في مجالات التنسيق، إلا أن العملية تحتاج إلى مواكبة مستمرة للمصطلحات الجديدة تنهض بها الجامعات بالتنسيق مع مجامع اللغة، على أن يكون هناك تنسيق في الوقت نفسه مع أجهزة الإعلام للعمل على سيرورة المصطلحات المعربة وانتشارها، ذلك لأنه إذا كان ثمة بطء في إيجاد البديل للكلمات الأجنبية، فإن المصطلح الأجنبي يسري على الألسنة والأقلام وتكون ثمة صعوبة في محوه بعد ذلك حتى لو توافر البديل بالعربية.

وعلينا أن نحذو في هذا الميدان حذو الدول المتقدمة، إذ إن أكاديمية اللغة الفرنسية والحفاظ عليها تعمل على إيجاد البديل الفرنسي للمصطلح الأجنبي المتعلق بالجهاز أو الآلة التي ستدخل إلى فرنسا قبل أن يستخدمها الناس، فيكون ثمة تزامن بين الجانبين.

وتجدر الإشارة إلى أن اللغة ملك اجتماعي فلا يجوز أن يترك الأمر في استخدام المصطلحات كل على هواه ومزاجه، لأن ذلك يؤدي إلى الفوضى واللبس وعدم التفاهم. أما عندما يكون ثمة اتفاق وتنسيق في وضع المصطلحات فإن ذلك يسهم في نجاح التعريب.

٧- تعزيز الترجمة:

ويتجلى هذا التعزيز في أمور متعددة منها:

- أ- ارتباط عملية الترجمة بترقية الأساتذة.
- ب- تخصيص جوائز ومكافآت تشجيعية للمترجمين.

ج- وضع مقرر ترجمة في كل تخصص، فمن يدرس الرياضيات عليه أن يكون ملماً بأسس الترجمة فيه مع التركيز على الجانب التخصصي.

د- تشجيع العناية بالترجمة الفورية التي تحتاج إلى تدريب ومران وسرعة خاطر والاطلاع على مادة الاختصاص مع رصد كبير في اللغتين العربية والأجنبية.

هـ- رصد المترجمات على الساحة العربية تلافياً للتكرار وتعرفاً للمجالات التي لا بد من الترجمة فيهما.

و- دعم المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر وتوفير الإمكانيات المادية ليضطلع بدوره الفعال في مجالات الترجمة، وتعزيز دور المركز العربي للوثائق والمطبوعات الصحية بالكويت.

٨- برمجة مشكلات التعريب ووضع حلول لها على المستويين المحلي والقومي:

إن ثمة مشكلات متعددة تتعلق بالتعريب ولاسيما في الدول العربية التي نالت استقلالها متأخراً، وهذه المشكلات متفاوتة من حيث حجمها وتفاقمها ومختلفة من حيث نوعها، فتعريب المصطلح يختلف عن تعريب لغة الشارع أو تعريب لغة الدواوين في الدولة أو تعريب التعليم، فلكل واحدة مشكلتها. وعلينا أن نحلل كل مشكلة ونعرف عواملها لنستطيع مواجهتها. ومن هنا كان لا بد من دراسة مشكلات التعريب علمياً وواقعياً على المستويين القطري والقومي بغية وضع الحلول لها. وتقوم المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بتنفيذ هذا المنحى، وللمركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر التابع للمنظمة أنشطته وبرامجه المتعلقة بهذا الموضوع.

٩- الإرادة والإقدام:

لعل من أهم مستلزمات التعريب توافر الإرادة والإقدام وتجاوز التريث والتسويق لأن الأعداء التي يقدمها المترددون والمسوفون من حيث عدم توافر الكتب والمدرسين والمصطلحات.. الخ، لا يمكن أن تقف أمام ذوي الحزم والإرادة القوية، وما هي ذي مجلة العلوم في الكويت بدأت في الصدور دون وجود مقابلات ومصطلحات كافية، وهي ترجمة مجلة أمريكية على مستوى عال. بدأت إيماناً من القائمين عليها بمبدأ التعريب، وهي الآن لها باع طويل

وجهود مشكورة، وقد واجهت المصطلح وحاولت أن تنقله إلى العربية ونجحت، ورحم الله محمد عبد الكريم الخطابي الذي قال له بعض رفاقه عندما أعلن ثورته: «فلننتظر حتى تكون لنا أسلحة. فأجابهم تحولوا إلى مجاهدين تأتكم الأسلحة: السلاح الأول هو أن تؤمنوا بضرورة القيام بالواجب».

الهوامش:

- ١- الدكتور محي الدين صابر - قضايا الثقافة العربية المعاصرة- الدار العربية للكتاب- تونس ١٩٨٢ ص ٨٧.
- ٢- الدكتور محمود أحمد السيد- إشكالية تعريب التعليم العالي -مجلة التعريب- العدد الثاني عشر، كانون الأول ١٩٩٦ ص ١٣.
- ٣- أبو خلدون ساطع الحصري- محاضرات في نشوء الفكرة القومية- مطبعة الرسالة، القاهرة ١٩٥١.
- ٤- الدكتور محمود أحمد السيد- شؤون لغوية- دار الفكر- دمشق ١٩٨٩ ص ٨.
- ٥- أنور الجندي- اللغة العربية بين حمايتها وخصوصها- مطبعة الرسالة- القاهرة بلا تاريخ- ص ٦٠.
- ٦- المرجع السابق- ص ٩٩.
- ٧- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم- الخطة الشاملة للثقافة العربية- تونس ١٩٩٠ ص ٣١٦.
- ٨- الدكتور محمود أحمد السيد- إشكالية تعريب التعليم العالي- مرجع سابق- ص ٥٢.
- ٩- محمد الخضر حسين- دراسات في العربية وتاريخها- مكتبة دار الفتح- دمشق ص ١٤.
- ١٠- أنور الجندي- اللغة العربية بين حمايتها وخصوصها- مرجع سابق.
- ١١- جامعة الكويت، إدارة التسجيل، قسم متطلبات التخرج، نماذج تغيير الكلية والتخصص الرئيسي، تاريخ ٦/٢/١٩٨٥. نقلاً عن المجلة العربية للعلوم الإنسانية - العدد الثاني والستون ربيع ١٩٩٨ ص ١٦٢.
- ١٢- الدكتورة نجاة عبد العزيز المطوع والدكتور مصباح الحاج عيسى- أثر استخدام اللغة الإنجليزية وسيلة اتصال تعليمية على التعليم الأكاديمي لكلية العلوم بجامعة الكويت- مجلة العلوم الاجتماعية بجامعة الكويت المجلد الرابع عشر- العدد الرابع ١٩٨٦ ص ١٥٥.
- ١٣- أحمد الزغل- تعريب العلوم بين النظرية والتجربة الميدانية- التعااضدية العمالية للطباعة والنشر- صفاقس- تونس ١٩٨٧ ص ٦٠.
- ١٤- الدكتور أحمد دياب- تعميم خطة تعريب علم التشريح عبر سير آراء طلبة السنة الأولى من كلية الطب بصفاقس- تجربة ميدانية ١٩٨٨.
- ١٥- الدكتور سليم عمار- تعريب الطب النفسي- التعااضدية العمالية للطباعة والنشر، صفاقس ١٩٨٧ ص ٤٤.
- ١٦- الدكتور محمود أحمد السيد- إشكالية تعريب التعليم العالي- مرجع سابق ص ٢٣.
- ١٧- الدكتور محي الدين صابر- دور التعليم العالي في تنمية الذاتية الثقافية- المجلة العربية للتربية- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المجلد الثاني- العدد الثاني سبتمبر ١٩٨١ ص ٥٢.
- ١٨- الدكتور كمال يوسف الحاج- في فلسفة اللغة- دار النهار- بيروت ١٩٦٧ ص ٣١١.
- ١٩- المرجع السابق.
- ٢٠- الدكتور عبد الصبور شاهين- ديوجين مصباح الفكر- العدد الرابع والثلاثون- السنة العاشرة ١٩٧٦ ص ١٠.
- ٢١- عثمان السعدي- العبرنة الشاملة والتحكم بالتكنولوجيا المعاصرة في الكيان الإسرائيلي- جامعة الكويت- كلية التربية- قسم أصول التربية- ص ٦.
- ٢٢- المجلة العربية للعلوم الإنسانية- جامعة الكويت- العدد الثاني والستون ربيع ١٩٩٨ ص ١٨٣.

الفصل الثاني

إشكالية تعريب التعليم العالي

محتويات الفصل:

أولاً- التعريب مفهوماً وأهدافاً

ثانياً- أين تقع الإشكالية؟

ثالثاً- التعريب بين التأييد والمعارضة والتريث

رابعاً- مستلزمات التعريب

خامساً- الخلاصة

الفصل الثاني

إشكالية تعريب التعليم العالي

نحاول في هذا البحث أن نتعرّف مسألة تعريب التعليم العالي في الوطن العربي، وأن نتبين التعريب مفهوماً وأهدافاً وأشكالا، موضحين حجج المؤيدين له والمعارضين والمترشدين، ومشيرين إلى مستلزمات التعريب حتى يحقق الأهداف المرسومة له .

أولاً- التعريب مفهوماً وأهدافاً

التعريب لغة مصدر للفعل عَرَّبَ، وعَرَّبَ بمعنى أبان وأفصح، وعَرَّبَ عن الرجل إذا تكلم بحجته، وعَرَّبَ منطقاً إذا هدَّبه من اللحن، ويقال: عَرَّبَ له الكلام تعريباً إذا بينته له، وعَرَّبَ: أي علَّمه العربية، وتعريب الاسم الأعجمي أن تنفوه به العرب على منهاجها^(١).

ولقد تدرَّج لفظ «عَرَّبَ» بهذه المعاني المتقاربة بعض الشيء منذ القديم إلى معنى ترجمة النصوص الأجنبية ونقلها إلى العربية، وتعليم العلوم الأجنبية بالعربية. والتعريب اصطلاحاً إيجاد مقابلات عربية للألفاظ الأجنبية لتعليم اللغة العربية واستخدامها في ميادين المعرفة البشرية كافة.

ويقصد بالتعريب حالياً استعمال اللغة العربية لغة قومية في الوطن العربي للتعبير عن المفاهيم، واستخدامها في التعليم بجميع مراحلها، والبحث العلمي بمختلف فروعها وتخصصاته، واستخدامها لغة عمل في مؤسسات المجتمع العربي ومرافقه كافة^(٢).

ومنهم من يوسِّع دائرة التعريب ليرى أن للتعريب مفهوماً جوانب فنية وقومية واجتماعية وسياسية وحضارية، وقد يتداخل مفهوم التعريب مع مفهوم الترجمة فتعرض قضايا فنية حول طبيعة اللغة وطاقتها الدلالية والاستيعابية وآلياتها الذاتية وحول إعداد المترجمين وتدريبهم... إلخ، وفي هذا الإطار تكون قضية التعريب قضية علاقات فكرية وثقافية مع اللغات الأخرى أي قضية

عربية أجنبية.

وقد يعني التعريب دعم الوجود العربي والوحدة العربية بمعنى شمولية استعمال اللغة العربية في الوطن العربي نفسه على المستوى الجغرافي والقطاعي لقطاع التعليم والبحوث والإدارة وتوحيد المصطلح العربي.

وقد يعني التعريب تعريب لغة الإدارة الرسمية، بما في ذلك أنواع النشاط المالي والتجاري والاقتصادي، وقد يعني تعريب لغة التعليم والمجتمع معاً في بعض الأقطار العربية التي كانت رازحة تحت الاحتلال الأجنبي واستقلت حديثاً.

والتعريب من جهة أخرى قد يعني كل ما يستوعبه المجتمع العربي ويحتويه في نسج حياته، مما يتلقاه بأي صورة من صور التلقي الفكري والمادي والاجتماعي من أهداف وقيم ووسائل، والانطلاق منه كواقع جديد للفاعل الجدلي إنتاجاً وعلاقات، أخذاً وعطاء، تأثيراً وتأثراً، من رؤية متكاملة للحياة وقدرة ذاتية على ممارستها.

والتعريب في المستوى المباشر يعني سيادة اللغة العربية على ساحة الوطن العربي بما يوحد المشاعر العربية، ويجمعها حول تاريخها وواقعها ومصيرها، مما يجعله عاملاً جوهرياً في الخروج من دائرة التخلف السياسي المتمثل في التجزئة إلى حرية الوحدة العربية في الصورة التي تؤصل دور الأمة العربية التاريخي والمصيري.

والتعريب في معناه الأكثر شمولاً يعطي للوحدة العربية مضمونها الحضاري المعاصر ويعينها على كسر طوق التخلف والتحرر من أنواع التبعات الاقتصادية والتقانية «التكنولوجية» والثقافية^(٣).

ومن هنا يكون للتعريب هدفان:

أولهما: خلق شخصية إبداعية عربية تمتلك القدرة الذاتية على إنتاج العلم وصناعة التقانة «التكنولوجية»، وهذه القدرة ليس مناطها المعرفة العلمية وحدها، ولكن المناخ العلمي الذي يستدعي عدداً من الظروف المواتية لتملك القدرة الذاتية، وهي ظروف متعددة الجوانب، منها ما هو سياسي، ومنها ما هو تشريعي، وما هو تنظيمي، وما هو اجتماعي، وما هو مالي، وما هو في الأساس علمي.

وثانيهما: هو القدرة على المشاركة والتفاعل من منطلق متميز، ذلك أنه يمكن للأمة العربية أن تسهم في الحضارة العالمية المعاصرة متجاوزة عقبات التخلف بضمّ قدراتها البشرية والعلمية والمادية واستنبتات علمها عربياً، وتوحيد استراتيجياتها تنموياً، وأن تضع تقانة «تكنولوجيا» عربية، والسبيل إلى ذلك هو الإنسان الذي يتلقى علوم العصر بلغته، يتعلم ويعلم ويبحث بها، حتى يكون ذلك إغناء للثقافة العربية بين المتخصصين والمتعلمين وجماهير الشعب بما يوسع من قاعدة المشاركة وصنع الوعي بالتقدم ودعم الشعور بالحاجة إليه والإسهام في تطويره^(٤).

ونخلص إلى القول إن التعريب لا يعني تمجيد الماضي، بل هو تأكيد الهوية، وتطلع إلى المستقبل في انطلاقة إبداعية جديدة تتفاعل مع الواقع وتفعل فيه، وتواكب التطور الفكري والعلمي، وتعمل على المشاركة في صياغة المستقبل الإنساني في أبعاده العلمية والتقانية من خلال القيم الروحية والإنسانية التي كانت الأساس الراسخ لحضارتنا ونظرتنا إلى العالم^(٥). كما أن التعريب لا يمكن أن يعني الانغلاق ونحن في عصر التفاعل العالمي على مختلف المستويات وتنوع الوسائل، إذ إن الدعوة إلى الانغلاق منافية لجوهر الحضارة العربية الإسلامية.

ثانياً- أين تقع الإشكالية ؟

غني عن البيان أن لكل أمة لغة تعبر عن هويتها القومية وشخصيتها الحضارية، وأن لغتنا العربية رمز لكياننا القومي وعنوان لشخصيتنا العربية، وهي لغة قرأنا الكريم وحضارتنا العريقة الضاربة الجذور في الأعماق، وهي مستودع تراثنا الفكري وموحدة للمنهجية الفكرية بين أبناء الأمة ماضياً وحاضراً وتوجّها نحو المستقبل، بها نتفاهم، ونعبر عن حاجتنا وتطلعاتنا، وبها نفكر، وقد وحدت بين العرب في مواضي الحقب بوساطة القرآن الكريم، إذ لولا ذلك الكتاب العربي المبين الذي نزل به الروح الأمين على قلب الرسول العربي الكريم آيةً لنبوته، وتأييداً لدعوته ودستوراً لأمة له كان العرب بدداً .

وما دامت اللغة العربية هويةً المجتمع العربي رافقته منذ طفولته، وعبرت عن مسيرته في قوته وضعفه ، في توثبه وانحساره، في حضارته وتخلفه كان الحفاظ على هذه الهوية واجباً مقدساً، وكان الحرص على تبنيتها والاعتزاز بها أمراً ممكناً لازماً بكل المعايير والمقاييس دينية كانت أو

قومية أو وطنية، وإن الإشكالية تقع في إهمال هذه اللغة واعتماد لغة أخرى مكانها في التدريس الجامعي، ولا تتجلى الإشكالية في التعريب لأنه الطريق الطبيعي والأمر البديهي، وإنما في عدم استخدام العربية أداة للتواصل بين أبناء الأمة في معاهدهم وجامعاتهم، فقد «ابتئنا - كما يقول يوسف الحاج في كتابه في «فلسفة اللغة» - بإهمالنا للعربية، بغرورنا أن سواها أعمق وأبهى وأفتى وأقرب إلى مقومات الحضارة الحديثة، أسمعنا هذه المعزوفات فابتلينا بعقدة التكابر حيال لساننا، وبعقدة التصاغر حيال لسانهم، والنتيجة صغرنا في أنفسنا دون أن نكبر في أنفس الحكاميين حتى صرنا لا ننتخي لبيان عربي ولا لبلاغة عربية»^(٦).

ويتابع قائلاً: «لا أبالغ إذا قلت إن معظم مشكلاتنا الاجتماعية سببه التنازل عن واحدنا الأحد، عن تاريخنا الواحد، عن لساننا الواحد، عن أرضنا الواحدة، عن تراثنا الواحد، عن إرادتنا الواحدة، وليس في العالم شعب يريد إدخال عفاف على عفاه، إن كل أمة عزيزة الجانب، أبية الخلق، ثابتة الإرادة، تقدّم لغتها على لغة سواها، ولا تتناول أشياء الأخرى إلا من بعد أشياءها القومية، أي من وراء حدودها الوطنية»^(٧).

فاللغة رمز للكيان القومي وأمانة على شخصية الأمة وذاتيتها الثقافية، و«على التعليم العالي أن يقوم على أنه محور أساسي لرسالته، على عملية تنمية الذاتية الثقافية التي تمثل الخصوصية الحضارية للمجتمع والتي هي مناط سائر أنواع التنميات الأخرى، والتي هي بصفة خاصة سبيل الأمة في العطاء الحضاري للمجتمعات الأخرى، وأسلوب التبادل الخلاق مع الآخرين، ويتمثل ذلك في الذاتية الثقافية، في خصائص المجتمع الأساسية، وفي تراثها الحضاري وفي مقدّماتها اللغة القومية التي ليست شكلاً ولا رمزاً، ولكنها مضمون وطريقة تفكير ومستودع حضارة»^(٨).

وثمة من يرى أن لمشكلة التعريب وجهين أولهما: كون لسان أجنبي يحلّ محلّ اللسان الأصلي، وثانيهما: كون هذا اللسان الأصلي منقطعاً عن اللغات بسبب جمود المجتمع^(٩).

إنهما وجهان لعملة واحدة، ويبدو من السهولة أن يخفي الأول الثاني، ولكن لا يمكن سبر عمق مشكلة التعريب إذا لم تميّز بينهما نظرياً على الأقل، فالوجه الأول ظاهرة اجتماعية تنشأ عن القهر والاحتلال الأجنبي بحيث يصبح اللسان الدخيل عنوان التقدم والعلم والأناقة،

ويصبح اللسان الأصلي سمة كل ما هو بلدي متخلف، فنرى الموظف يخاطب الزبون بلسان أجنبي ليظهر نفوذه، والأم تخاطب ابنها باللسان نفسه للإعلان عن انتمائها إلى طبقة راقية، والطالب يقحم الكلمات الأجنبية ليثبت ثقافته العصرية، إلى آخر ما هنالك من المظاهر المؤسفة المضحكة التي نلاحظها اليوم في المغرب العربي وفي بعض الأوساط المشرقية على حدّ تعبير الباحث المغربي عبد الله العروي.

ومن هنا كان للدعوة إلى التعريب في هذا المجال مغزى سياسي واضح، إنها دعوة إلى الوحدة الوطنية، ومحاولة لإيقاف تيار خطر يقسم المجتمع إلى تقسيم لغوي وثقافي، فالتناقض الذي كان موجوداً أيام الاستعمار بين الجالية الأجنبية والشعب المستعمر يتحوّل إلى تناقض بين النخبة الحاكمة ذات النفوذ الاقتصادي وباقي الطبقات المحرومة، وفي هذا الوضع ما فيه من تبعية اقتصادية وسياسية للمجتمعات المتقدمة.

والوجه الثاني للمشكلة يربطه بالمستوى الحضاري، إذ إن اللسان القومي يزدهر أو يضمحل بحسب تجدد اللغات الاصطلاحية وتعدد الرموز العلمية.

ويشخص العروي مشكلة التعريب حالياً في الوطن العربي من خلال ردّه على التساؤل: ولماذا لا ترضى بما يؤول إليه التطوّر تلقائياً أي الازدواجية اللغوية؟ لماذا لا ترحب بحالة مثل حالة الهند التي أحرزت درجة لا بأس بها من العلم والتقانة «التكنولوجيا»؟ هل هناك مصلحة حقيقية في طرح قضية التعريب سوى تعلق عاطفي بالتراث، وسوى مصلحة فئة قليلة من الفقهاء والأدباء والنحاة الذين لا يتقنون شيئاً غير اللسان القديم؟

فيقول: «إن الاعتراض يبدو وجيهاً، ويدفع المرء إلى كثير من التساؤل، لكن لدى الفحص يتبين أنه مبني على مغالطة، على افتراض شيء لا وجود له في الواقع، يكون الاعتراض مقبولاً لو كان يتنافس بالفعل مشروع التعريب في الوطن العربي ومشروع مضاد يستهدف تطوّر ثقافياً بلسان متطوّر غير عربي. في الهند منذ ثلاثين سنة توجد سياسة تثقيفية مبنية على استيعاب اللسان الإنجليزي ونشره، والكلام عن إحياء اللسان الهندوستاني يعدّ من قبيل الدعاية السياسية. أما في الوطن العربي فإننا لا نجد سوى الإهمال، وترك الأمور تتطوّر كما كتب لها، ليس هناك قرار تعريب جدي ولا قرار مضاد، ولما كان إهمال الأمور يعني في الحقيقة استمرار التخلف والتبعية

والأمية، فكل قرار يستهدف التقدم والتطور يتساوى منطقياً مع قرار التعريب، فمضمون القرارين واحد هو سياسة قومية تخطط لمستقبل عربي. ولما كان مشكل التعريب قائماً حتى الآن فهذا دليل على أن القرار الواحد لم يتخذ فعلاً في الكيان العربي. ويكتسي الأمر صفة مشكلة حادة عندما تحدث ظروف تمنع من اتخاذ القرارات لتحقيق الإصلاحات اللازمة ومنها انعدام الحكم القومي، ولن يتم أي إصلاح في حال غياب سلطة لها نفوذ على المجموعة القومية. أما السلطات الخاضعة لمنطق الإقليمية فإنها لن تجرؤ على تبني الإصلاح، لأنها تعتمد الازدواجية سياسة، تحافظ على اللسان القديم لتكسب قدرًا من الشرعية، وتفتح المجال لنشر لسان أجنبي لتحقيق قدرٍ من التحديث، وتترك الحرية للهجات لتضمن قدرًا من الاستقلال الداخلي.

ومن هنا لا بد للعرب من أن يفكروا بكيفية حديثة مع أنفسهم وبلسانهم لا مع غيرهم فقط وبلسان الغير^(١٠).

تلك هي مشكلة التعريب في التعليم العالي في الوطن العربي: عدم اتخاذ القرار الحاسم لاعتماد العربية وتبنيها في التدريس الجامعي، وبقاء الأمور معلقة واستمرار التخلف والتبعية، والأمية، وعدم استنبات العلم عربياً، وتسبب لغوي قومي وشعور بالتصاغر والتكابر، التصاغر تجاه الثقافة الأجنبية، والتكابر تجاه الثقافة القومية وتراثها الحضاري.

ثالثاً- التعريب بين التأييد والمعارضة والتريث

أ- المؤيدون:

يرى مؤيدو التعريب أن التدريس باللغة القومية يهدف إلى تحقيق ما يلي:

١- تقوية تماسك الوحدة الوطنية وتنمية الشعور القومي وتقوية الروابط الثقافية بين

أبناء الأمة:

ذلك أن الحديث عن اللغة والعمل من أجل بقائها كان ميداناً من الميادين التي صارع فيها العرب أعداءهم، فلقد كانت الهجمات الاستعمارية منذ بداياتها حريصة على أن تصيب هذا الوجود العربي في نقطة القلب منه: الدين واللغة، ولم تكن الحملات التبشيرية التي رافقت أو مهدت أو جاءت من بعد هذه الهجمات الاستعمارية إلا تمكيناً لذلك على نحو من الأنحاء.

ومن هنا كانت قضية اللغة والتعريب في كثير من أشكالها ومظاهرها رداً على الحملات التي استهدفت الوجود العربي لا في صورته المادية: الأرض، ولا في صورته الدولية الاستقلال فحسب بل في وجوده الذاتي بالدرجة الأولى، أعني في أحص خصائصه وفي أبرز عناصر الأصالة فيه. هل يمكننا أن ننسى حملة التتريك وإبعاد اللغة العربية عن أن تحتل مكانتها في الحياة؟

إن الأحداث التي أملت بالوطن العربي في مشرقه ومغربه بعد الحرب الأولى جعلت جناحي هذه الأمة في وضع مماثل: سلطان أجنبي قاهر لا يريد الأرض وحدها، ولا يريد المواد الأولية وحدها، ولكنه يريد أن يحول بين هذا الشعب في هذين الجناحين وبين وظيفته الحضارية. يريد أن يردّ هذه الأمة عن أن تعي ذاتها، وهو يتخذ إلى طمس هذه الذات وتذويبها كل الوسائل منفردة ومجمعة، الاستعمار الاستيطاني والاستعمار الفكري والاستعمار اللغوي والاستعمار الديني... الخ.

وفي الواقع وجدت البلاد العربية نفسها من شواطئ الدار البيضاء إلى شواطئ الخليج أنها هدف لقوى مفترسة، وأنها تعاني أوضاعاً متشابهة، وأن طريقها لتجاوز هذا الطغيان طريق واحد هو طريق الحفاظ على عناصر الأصالة الذاتية، وهي ذاتها عناصر الوحدة.

وكان من تقدير الله للشعب العربي في أعقاب الحرب العالمية الثانية وحولها وقبلها أنه تخلص في كثير من أقطاره من التبعية السياسية الصريحة بشكل أو بآخر، ولكنه ظلّ مستهدفاً للتبعية الثقافية، وظل الحكم الغربي في السطوة الفكرية يملأ قلوب المستعمرين الأوروبيين كما يملأ عقولهم ويوجههم في مجالات اللقاء كافة.

وظلّت اللغة العربية مادة تفجير وتفجر: الغرب المستعمر يريد تفجيرها بطرائق لا تحصى من مثل: إحياء اللغات الميتة، وتشجيع انتشار اللهجات المحلية، ورمي اللغة العربية بكل نقيصة واتهامها بكل صعوبة، وفرض اللغة الأجنبية ونشر المؤسسات التعليمية والتبشيرية، ويؤيده في ذلك التقدم الحضاري للدول الغربية وضعف الحكومات العربية واستخذاء بعض عناصرها. وكانت الأمة العربية الإسلامية تحاول أن ترد ذلك في هذه الميادين، وأن تحيل هذا التفجير الخارجي الذي يريد الإبادة إلى تفجير داخلي في ذات اللغة ينفي عنها ما علق بها من مظاهر الضعف، ويحاول أن يردها حية على الألسنة والأقلام، ويريد لها أن تكون كما كانت بالأمس لغة حضارة، لغة علم ولغة أدب على

السواء، ويصدّ عنها كل ألوان النقص الذي رميت به والعيوب التي ألصقت بها، ويحرص على أن تكون عاملاً مزدوجاً، عامل تحرير فكري من نحو وعامل وحدة سياسية أيضاً من نحو آخر^(١١).

وها هو ذا التاريخ يعلمنا أنه ما وجدت أمة من الأمم إلا كانت لها لغتها الخاصة، وأن فقدانها لهذه اللغة يؤدي بها لا محالة إلى فقدان وعيها وإنيتها وذاتيتها، لأن المحتل يحرص دائماً على فصل ضحاياه عن ماضيهم بقطع وسيلة الاتصال التي هي صدى أسلافهم والقوة الطبيعية الحية لأمتهم، إذ إن اللغة المكتوبة هي الإسمت الذي يضمن تماسك الوحدة الوطنية، وهي العروة الوثقى التي تربط بين الأحياء وتصل بالأموات ويكتب بها سجل الأمم^(١٢).

٢- الجمع بين الأصالة والمعاصرة:

ذلك أن العربية كانت طوال قرون عدة لغة العلم والحضارة في العالم المتحضر، لقد عرفها وكتب بها العرب والمسلمون وغير المسلمين حتى إن طائفة كبيرة من هؤلاء العلماء قد ثقفوها ووقفوا على أسرارها فأحبوها وهجروا لغاتهم، فجعلوها لغتهم المفضلة وبها عرفوا لأنهم كتبوا بها^(١٣).

وإذا ألقينا نظرة على التراث العلمي لأمتنا العربية الإسلامية فإننا نلاحظ غناه وتنوعه في مختلف الميادين، فها هو ذا الكندي يعد أول من وضع معجماً للمصطلحات العلمية، فقد وضع رسالة في حدود الأشياء ورسومها اشتملت على ثمانية وتسعين مصطلحاً فلسفياً جميعها من أصل عربي ما عدا مصطلحين اثنين فقط هما «فلسفة والاسطقس».

ووضع العالم العربي الرازي كتابه «الحاوي»، ويقع في ثلاثين جزءاً جمعت المعارف الطبية التي توصل إليها العقل البشري منذ أيام أبقرط، وظلّ هذا الكتاب المرجع الطبي الأساسي في أوروبا مدة تزيد على أربعمئة عام، كما كتب الرازي في الكيمياء، وهو أحد الأوائل الذين جعلوا الكيمياء علماً يدرس على طرائق علمية وعملية وتجريبية.

وكتب «ابن سينا» في عدة علوم، ففي مجال الطب وضع قواعد علم الجراحة والتشريح، ومهّد السبيل للاكتشافات الطبية العظيمة التي حققها علم الطب الحديث، ووضع كتاب «القانون» في الصيدلة أورد فيه ما يزيد على السبعمئة عقار.

وكان «البيروني» عالماً بالفلك وفيلسوفاً رياضياً وجغرافياً، وكتابه في الفلك موسوعة

تضمنت القوانين الطبيعية، ووضع كتاب الجواهر الخاص بالأوزان النوعية للمعادن والأحجار الثمينة، وعالج في كتابه «الصيدلة» أنواع الأدوية.

ويعدّ «ابن البيطار» من أعظم العباقرة في علم النبات حيث شرح في كتابيه «الأدوية المفردة» و«الأقرباذين» حوالي ألف وأربعمئة نبات طبي مع ذكر أسمائها وطرق استعمالها.

ووضع أبو القاسم الزهراوي كتاب «رسالة التصريف لمن يعجز عن التأليف» ويُعدّ كتاباً مدرسياً للجراحة يشتمل على أشكال وصور لآلات طبية ساعدت على وضع أسس علم الجراحة في أوروبا إذ كان مرجعاً لقرون عديدة.

ويعدّ جابر بن حيّان من أوائل الأسماء التي مجدّها الغرب، وترجم كتبه إلى اللاتينية وكتابه «التراكيب» من أوائل الكتب العربية التي ترجمت إلى اللاتينية، وظلت كتبه في الكيمياء المرجع الأساسي لأوروبا في القرون الوسطى، واستمر أثرها حتى القرن الثامن عشر.

كما يعدّ الحسن بن الهيثم من أعظم علماء الطبيعيات، ويأتي على رأس قائمة علماء البصريّات، وقد ترجم كتابه «المناظر» خمس مرات إلى اللاتينية، ونقل كثير من علماء أوروبا فن البصريّات وعلم الضوء من مؤلفاته.

ووضع «الخوارزمي» كتابين هامين في الرياضيات حمل الأوّل منهما حساب الجبر والمقابلة لتصبح كلمة الجبر كلمة عالمية، والكتاب الثاني في علم المحاسبة شرح فيه استخدام نظام الأعداد والأرقام، كما شرح طرق الجمع والطرح والقسمة وحساب الكسور. وترجم هذا الكتاب إلى اللاتينية، واستعاض الأوروبيون بالأرقام الرومانية المعقدة الأرقام العربية البسيطة، والصفر يعدّ من الاكتشافات الهامة التي أشار إليها الخوارزمي، وعن طريقه استطاعوا بناء الأرقام^(١٤).

تلك هي إشارات عابرة فقط تدل على إسهامات العلماء العرب والمسلمين في المجالات العلمية تأليفاً وتعريباً، وما زالت دور الكتب في العالم تزخر بالوثائق والمخطوطات العربية التي تكشف كل يوم عن خباياها، وتضيف جديداً لإسهامات العرب والمسلمين في بناء الحضارة الإنسانية، وعندما يتعرف الدارس ما أسهمت به أمتة في إغناء الحضارة الإنسانية وخاصة في الميادين العلمية يدفعه ذلك إلى وصل الحاضر بالماضي والاستمرارية في إعلاء صرح تلك الحضارة بحثاً وإنتاجاً وإبداعاً.

وإذا كنا اليوم نروم استنبات العلم عربياً والتعبير عن العلم بالعربية فما ذلك إلا لاستمرار أمتنا العربية، وربط لماضيها المجيد بحاضرها الذي نوده مشرقاً وبنّاء وفعّالاً في مسيرة الحضارة البشرية.

٣- تعزيز وشائج الربط بين الجامعة والمجتمع:

إذ إن علينا أن نحكم الصلة بين ما نعلمه لأبنائنا وما نعدّهم من أجله، وأن على القيادات الجامعية أن تجعل من الجامعات ومعاهد التعليم العالي العربي مصانع لتخريج الرجال الذين استنارت بصائرهم وتأصلت شخصياتهم، وتركزت دعائم انتمائهم إلى أمتهم، ولن يتحقق ذلك بإبعاد اللغة القومية، وإنه لتناقض عجيب أن نعلّم طلابنا شرف لغتنا وكونها دعامة قوميتنا، ونتحدث لهم عن مزاياها وسعة تراثها ثم نباعد بينهم وبينها فنعزلها عنهم ونعزلهم عنها مشبتين لهم عملياً أنها لغة قاصرة وعاجزة، ولا تصلح للتعليم عندما ندرس باللغات الأجنبية ولا ندرس فيها.

٤- توحيد الثقافات والمجهود العلمي والفكري في الوطن العربي:

إذ إن عددًا من أعضاء الهيئة التدريسية تخرجوا في جامعات فرنسية أو ألمانية أو روسية أو غيرها، فهل يترك لكل طائفة لغة تختص بها فلا يكون بين علماء الأمة الواحدة جامعة تضم أفكارهم وتجمع إنتاجهم، إننا إن لم ندرس بالعربية نبذل جهود علمائنا فلا يفيد بعضهم من بعض، ولا يطلع بعضهم على ما يؤلف بعضهم الآخر إلا إذا كانت بينهم لغة مشتركة واحدة، يصبون أفكارهم في قوالبها، ويصوغون علومهم بها. ومن هنا كانت الدعوة إلى التدريس بالعربية دعوة إلى توحيد الثقافة وتركيز المجهود العلمي والفكري في الوطن العربي.

٥- مساعدة الدارسين على الفهم والاستيعاب:

ذلك أن التدريس باللغة العربية يسهل كثيراً التحصيل العلمي والاكتساب التربوي ما دام باللغة الأم، ويجعل من عملية التدريس عملية ممتعة للطالب والمدرس، فيشارك الطلاب أستاذهم بفهم المادة وسرعة التدوين، مما يوفر الكثير من الوقت للطرفين، إضافة إلى أن الطالب لا يتهيب المادة كما هي عليه الحال باللغة الإنجليزية، إذ إن من مقاييس التهيّب للطالب مقدّرتة الذهنية واستعداده النفسي في فهم المادة في حدّ ذاتها. وقد أثبتت بعض الأبحاث أن اللغة العربية تساعد

الدارس على الفهم والاستيعاب بصورة أفضل.

فثمة دراسة أجريت في صفاقس بالجمهورية التونسية شملت أساتذة التعليم الثانوي المتخصصين بالعلوم الفيزيائية والعلوم الطبيعية والرياضيات والمواد التقنية، كما شملت عينات من التلامذة في المدينة وفي الريف ومن الفتيات والفتيان، إضافة إلى شمولها المحيط الذي يتعامل معها في التعليم أي المؤسسات والإدارات بمختلف أنواعها، وتوصلت الدراسة إلى أن ٩٤٪ من الأساتذة يميلون إلى تدريس العلوم بالعربية فوراً، أو بعد فترة تدريب لا تزيد عند أغلبهم على عامين، كما أوضحت أن التلاميذ الذين يتعلمون بالفرنسية من ١٢ و ١٩ سنة لا يحفظون مما تعلموه في نهاية كل سنة إلا بنسبة ٢٢٪، وأن ٨٤٪ من هؤلاء يرغبون في تفسير ما تعلموه بالعربية لا بالفرنسية التي تعلموه بها، وعندما سئل الطلاب عن شرح بعض المفردات العلمية أو المصطلحات «ووجه إليهم السؤال بالفرنسية»، أجابوا عنه بالعربية وقد أعطي لهم الخيار في الإجابة بإحدى اللغتين^(١٥).

وفي صفاقس نفسها تم تقويم خطة تعريب علم التشريح عبر سبر آراء طلبة السنة الأولى من كلية الطب بصفاقس، وقد طبقت التجربة بعد توزيع استبانة على الطلبة سئلوا فيها عن فهم المصطلحات ومجال فهمهم للمواد الأخرى والمستوى العلمي واللغوي، وتبين أن الطلبة أصبحوا يفهمون المفردات دون الاستعانة بقواميس أو مراجع، وأن مستوى تعليم علم التشريح تحسن قياساً لما كان عليه المستوى بالفرنسية^(١٦).

وفي دروس الطب النفسي بالجمهورية التونسية يذكر الدكتور سليم عمار كما سبق أن ذكرنا من قبل أن الطلبة كانوا يتجاوبون بصفة تلقائية مع الأمثلة المحسوسة التي كانت تقدم لهم باللهجة التونسية الملهذبة تارة وتارة أخرى بلغة عربية سهلة المنال، فكان الطلبة يفهمون دروس الطب النفسي بكل وضوح، بينما كانوا يجدون صعوبة في فهم المعاني والمصطلحات الفرنسية المعقدة التي كانت تقدم لهم في صلب المادة الدقيقة المتشعبة في نظرياتها وكلماتها ومعانيها، وقد أجمع المستمعون على أن الدرس العربي كان سهل المنال بفضل التذكير بالمصطلحات الفرنسية المقابلة للمصطلحات العربية والتي كثيراً ما كانت واضحة المفاهيم بالرغم من أنها تقدم للطلبة لأول مرة.

وقد نسج على هذا المنوال بعض الأساتذة الذين ألقوا دروساً في جراحة الأعصاب وطب العيون باللغة العربية دون استخدام اللغة الفرنسية، وكان التقبل إيجابياً^(١٧).

وفي دراسة علمية أجريت في كلية العلوم بجامعة الكويت تبين أن استخدام اللغة الإنجليزية وسيلة اتصال تعليمية يسبب مشكلة لدى عدد كبير من الطلبة إذ أشار حوالي ٨٣٪ من عينة أعضاء هيئة التدريس العرب في كلية العلوم و ٨٤٪ من عينة طلبة كلية العلوم، و ٩٨٪ من عينة طلبة كلية التربية إلى أن الطلبة المستجدين يواجهون صعوبة في استيعاب المفاهيم التي تدرس لهم باللغة الإنجليزية.

وقد دعم هذه الآراء ما ذكره أعضاء هيئة التدريس غير العرب من أن طلبة العلوم بصورة عامة يعانون من مشكلات لغوية لا تمكنهم من فهم المحاضرات التي تقدم لهم باللغة الإنجليزية، إذ إن لديهم مشكلات في الكتابة والتفاعل الشفوي، ويفتقرون إلى المصطلحات العلمية والقدرة على تلخيص ما يدور في المحاضرة لأنهم يفكرون بالعربية^(١٨).

ومن هنا كانت التوصيات المنبثقة عن هذه الدراسات كافة تدعو إلى اعتماد اللغة العربية لغة تدريس في الجامعات. والدعوة إلى استخدام اللغة القومية في التدريس الجامعي ليس بدعاً في العالم، ولا هي أمر عجيب بل العكس فيها هو الأمر العجيب، إذ ليست هناك دولة في العالم إلا اتخذت من لغتها القومية لغة للتعليم العالي في جامعاتها، بل حتى في جمهوريات الاتحاد السوفيتي سابقاً تدرس كل جمهورية بلغتها المحلية في جامعاتها حرصاً منها على أن يطلع كل مواطن مثقف على ميادين العلم والمعرفة باللغة التي يتقنها، وكان قادة الاتحاد السوفيتي سابقاً قادرين على فرض اللغة الروسية الواحدة في جميع الجمهوريات، ولكنهم أدركوا الألفة بين اللغة التي يتقنها الطالب والعلوم التي يجب عليه الإلمام بها، كما أدركوا الضرر الذي سيعود على العلم والثقافة لو أبعادوا اللغات المحلية عن التعليم العالي.

٦- تحقيق ديمقراطية التعليم:

إذ ما معنى ديمقراطية التعليم إذا لم يكن هذا التعليم باللغة التي يفهمها معظم أبناء الأمة، إن ديمقراطية التعليم ما لم يكن باللغة القومية شعار لا مضمون له، وصورة لا واقع لها، وديمقراطية التعليم وكونه باللغة القومية طرفان متلازمان لا بد أن يؤدي أحدهما بالتحتمية إلى

الآخر، وما إصرار بعض الجامعيين على استخدام لغة لا يتقنها غيرهم إلا تعبير عن شعور بالتمييز والطبقية، وترفع عن المجتمعات التي أنشئت مؤسساتهم لخدمتها.

٧- استمرارية تعليم اللغات الأجنبية:

إن الداعين إلى التدريس باللغة القومية يدعون في الوقت نفسه إلى الاستمرارية في تعليم اللغات الأجنبية، ذلك لأن إتقان لغة أجنبية واجب لا بد منه لمتابعة التقدم العلمي، ولكن شتان ما بين إتقان اللغة الأجنبية وبين استخدامها بديلاً عن اللغة القومية، إن في إتقان اللغة الأجنبية دعمًا للثقافة ورفداً لها في كل ميدان من ميادين العلم، وأما استخدامها بديلاً فعزل للغة القومية ووأد لها.

٨-الإفادة من تجارب المجتمعات الأخرى:

أدرك فلاسفة الغرب ومفكروه وساسته أهمية اللغة في البيان القومي، فها هو ذا «هردر» الألماني يقول: «إن لغة الآباء والأجداد مخزن لكل ما للشعب من ذخائر الفكر والتقاليد والتاريخ والفلسفة والدين، وقلب الشعب ينبض في لغته، وروحه يكمن في لغة الآباء والأجداد»^(١٩). وعندما سئل «بسمارك» عن أفضع الأحداث التي حدثت في القرن الثامن عشر أجاب: إن المستعمرات الألمانية في شمال أمريكا اتخذت اللغة الإنجليزية لغة رسمية لها «وهو يعني أنه كان في شمال أمريكا جاليات ألمانية كبيرة، وعند حصول هذه المستعمرات على استقلالها اتخذت اللغة الإنجليزية لغة رسمية لها، وكان يأمل أن تتخذ هذه المستعمرات اللغة الألمانية بدلاً عن الإنجليزية كي يضمن ولاءها لألمانيا، وأثبت التاريخ صدق نظرة بسمارك، ففي الحربين العالميتين الأولى والثانية كان ولاء الولايات المتحدة الأمريكية لإنجلترا على الرغم من كل خلاف بين أمريكا وإنجلترا. ومن مصادر هذا الولاء اللغة المشتركة التي تجمع بين الأمتين، إذ إن لوحدة اللغة أبلغ الأثر في تقريب الاتجاه الثقافي»^(٢٠).

واعتمدت الثورة الفرنسية اللغة الرسمية الفصيحة انطلاقاً من أنه لا حرية حقيقية من رواسب الإقطاع، ولا كيان للشخصية الفرنسية إلا بتمثل اللغة القومية ومعرفتها، والقائد الفيتنامي «هوشي منه» يرى أنه لا انتصار على العدو إلا بالعودة إلى اللغة والثقافة القومية^(٢١).

وهاهي ذي إسرائيل تقيم كيانها على إحياء اللغة العبرية، إذ كانت لأغلبية المهاجرين اليهود

إلى أرض فلسطين لغة في ألمانيا والنمسا وروسيا وبولونيا وأوروبا الشرقية عامة، وكانت لهذه اللغة أدابها، ولكنهم تركوها وآدابها ليحيوا لغة أخرى ماتت عملياً منذ ألفي سنة، ألا وهي العبرية، وشتان بين اللغتين: العبرية والعربية في مسيرة الحضارة الإنسانية^(٢٢).

وها هي ذي فنلندة تدرس الطب باللغة الفنلندية على حين ندرسه في أغلب جامعاتنا بالإنجليزية، وأين الفنلندية من العربية. وهل لها الرصيد الثقافي والحضاري العربي العريق؟ وهل لها ما للعربية من تراث طبي مجيد؟ نحن الذين علمنا الطليان الطب في عصر النهضة وها هم أولاء يدرسون الطب بلغتهم الطليانية، وأسأتذتهم العرب يدرسونه بلغة أجنبية^(٢٣).

ب - المعارضون:

يتجه المعارضون على التعريب إلى تقديم الحجج الآتية:

١- إن لغة العلم في عصرنا الحالي إنما هي اللغة الإنجليزية، و(٩٨٪) من المراجع والمصادر العلمية هي باللغة الإنجليزية، وإذا لم نعلم الطلبة هذه اللغة فكأننا نمنعهم من الاطلاع على هذه المصادر و المراجع ونغلق عليهم نافذة العلم، ونحول دون أن ينمو تحصيلهم لدرجات عليا في الجامعات الخارجية لو أرادوا ذلك، فضلاً عن أن استعمال اللغة الإنجليزية في تدريس العلوم يعدّ أسرع وسيلة للسيطرة على هذه اللغة^(٢٤).

٢- ضالة توافر الكتب و المراجع باللغة العربية وركاكة الأسلوب وسوء الإخراج.

٣- قلة الأساتذة المعدين للتدريس بالعربية.

٤- غرابة بعض المصطلحات العربية التي أصدرتها بعض الجامعات اللغوية، ووفرتها واستعمال أكثر من مصطلح تبعاً لما يصدر عن كل مجمع لغوي أو جامعة أو مركز بحث، وصعوبة فهم بعض المصطلحات العربية وشيوع المصطلحات الأجنبية التي أصبح بعضها متداولاً حتى بين عامة الناس^(٢٥).

ويروى آخرون أن في كل علم عدداً كبيراً من المصطلحات، وأن أكثر هذه المصطلحات لم يترجم إلى العربية حتى الآن وقد لا يكون له مقابل في اللغة العربية.

٥- النظر إلى التعريب على أنه شعار بلا مضمون.

٦- وجود مشكلة الرموز العلمية والأحرف والأرقام .

٧- وجود مشكلة النشر و التوزيع .

وفي دراسة ميدانية قام بها الدكتور سيد حامد حريز في جامعة الخرطوم عام ١٩٨٣ وجد أن نسبة عالية من أساتذة جامعة الخرطوم لا ترى ضرورة للتعريب، وأن اللغة العربية الفصحى بنحوها وصرفها قد اكتسبت صورة منفرة في أذهان الصفوة من المتعلمين السودانيين لاسيما الذين نالوا تعليماً أورياً، وأن عدداً كبيراً من أساتذة جامعة الخرطوم تجيد اللغة الإنجليزية، وتعترف بعدم إجادتها اللغة العربية، وأنهم يذكرون بشيء من الحسرة أن تعريب المناهج في المراحل الثانوية صحبه انخفاض في مستوى اللغة الإنجليزية، وأن الكتب والمراجع باللغة العربية غير متوفرة^(٢٦).

ج- الرد على المعارضين

الحجة الأولى: إن التعليم باللغة العربية يحرم الطالب المتخرج من متابعة الركب العلمي المتطور بسرعة .

الرد:

إن علاج ذلك سهل وميسور ويتجلى في تقوية اللغة الأجنبية، بحيث يتقنها الطالب أو يُلم بها إلماماً كافياً يسمح له بالمتابعة فيما بعد، والدليل أن طلاب كلية الطب بجامعة دمشق الذين يدرسون الطب بالعربية عندما يتقدمون إلى الفحص الأمريكي اللغوي الطبي، تفضل نتائج امتحاناتهم في مرات كثيرة نتائج زملائهم الذين درسوا الطب باللغة الإنجليزية، ولم يحل تعليمهم الطب بلغتهم العربية من اجتياز امتحانات اللغة الطبية الإنجليزية بنجاح .

الحجة الثانية : إن في كل علم عدداً كبيراً من المصطلحات، وإن أكثر هذه المصطلحات لم يترجم إلى العربية حتى الآن، وقد لا يكون له مقابل في لغتنا بسبب عجز اللغة العربية .

الرد :

إن استخدام اللغة العربية في التعليم أمر، واستعمال المصطلحات أمر آخر، إننا ندعو إلى أن نكتب عن العلم بالعربية ونلقي دروسنا بالعربية، وتبقى المصطلحات العلمية بأسمائها الأجنبية إلى أن تُعَرَّب أو تُحَلَّ مشكلتها، ليكتب المؤلفون المحاضرون الفيتامين و الهرمون و

الكولسترول، وكل مصطلحات العلوم غير المعربة بأسمائها الأجنبية، ولكن ليتكلموا عنها وليتحدثوا باللغة العربية، إننا نطالب باستعمال اللغة القومية، لأن اللغة كيان فكري ونفسي رائع، وأما المصطلحات فألفاظ أو قوالب لفظية تدل على معان معينة^(٢٧).

ثم كيف نوفق بين ادعاء عجز اللغة العربية عن استيعاب المصطلحات الطبية كما يدّعي بعضهم وبين واقع الأمر وحقيقته، وهو شمول اللغة العربية لكل مصطلحات الطب وغيره، كما ينطق به الواقع السوري في كلية طب دمشق، والتي كانت من أوائل الجامعات التي بدأت في التعريب، وكان لها الفضل في نشر التعريب الطبي وغيره حيث سادت لغة الضاد في مدرجات هذه الجامعة تدريساً وامتحاناً^(٢٨).

الحجة الثالثة : قلة المراجع و الكتب .

الرد :

إن هناك عدداً من الجامعات في الوطن العربي تدرس الطب و الهندسة والعلوم وغيرها باللغة العربية، وفي هذه الجامعات كتب و مراجع أمهات في مجالات الاختصاص، كما أن هناك العديد من المعاجم والمصطلحات التي يصدرها مكتب تنسيق التعريب التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، كما أن المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر التابع للمنظمة أيضاً يصدر كتباً مترجمة في المجالات العلمية .

الحجة الرابعة :

التعريب شعار بلا مضمون .

الرد :

ليس التعريب شعاراً بلا مضمون، ولكنه ضرورة قومية وحضارية لا بد منها، وهو موقف نفسي أولاً يدعو إلى التمييز الإنساني وتقوية الانتماء إلى هذه الأمة، وها هو ذا المسؤول عن التعليم الطبي في منظمة الصحة العالمية يستنكر ظاهرة في التعليم الجامعي في البلاد العربية، ولا يستطيع أن يستسيغ هذه الظاهرة، وهي أنه ليس فيها إلا جامعة واحدة تدرس الطب بالعربية، وهو يرى أن التعليم بغير العربية ظاهرة تخلف ليس لها مبرر، وتتنافى مع مقررات منظمة الصحة العالمية الداعية إلى التعليم الطبي باللغة القومية^(٢٩).

الحجة الخامسة :

اللغة الإنجليزية هي لغة العلم ولا بدّ من تعليم الطب بها .

الرد:

ليست اللغة الإنجليزية وحدها لغة العلم، فهناك الفرنسية والروسية والألمانية واليابانية والإسبانية والصينية... والبلدان الأوربية وغيرها تعلم طلبتها بلغاتها، وليس هناك شكوى من أن هؤلاء الطلاب ممنوعون من الاطلاع على المرجع، وأن نافذة العلم قد أغلقت دونهم، ويؤيد ذلك الأبحاث والمخترعات والمكتشفات التي ينجزها أبناء هذه الشعوب .

د- الداعون إلى التريث :

ثمة من يدعو إلى عدم الإسراع في التعريب، وأن التعريب يستلزم مدى زمنياً ولا يمكن أن يتم إلا بعد توفير مستلزماته، ونظراً لأن هذه المستلزمات غير متوافرة بصورة وافية كان التريث في التعريب أمراً تقتضيه الظروف الراهنة، إذ إن المراجع بين أيدي الطلبة غير متوافرة، كما أن الأساتذة المعدين إعداداً جيّداً للتدريس بالعربية غير متوافرين على النحو المنشود، إضافة إلى تأهيلهم إنما هو بالإنجليزية في الأعم والأغلب، يضاف إلى ذلك أن هناك معوقات فنية ومادية تستلزم التريث، ومن هذه المعوقات^(٣٠):

- قلة الإمكانيات الفنية وضعفها «رسم، طباعة، تصوير...».
- قلة القواميس والمعاجم المتخصصة في مختلف المجالات .
- عدم وجود مصطلحات علمية متفق عليها.
- ضعف بعض أعضاء الهيئة التدريسية باللغة العربية مما يعوقهم في عملية الترجمة والتعريب.
- إقبال المدرسين بأعباء تدريسية وإدارية كثيرة تستنفد طاقتهم، وتحدّ من تفرغهم للتعريب.
- عدم توفر المكان والجو الملائم داخل الجامعة للقيام بعملية التعريب .
- العجز في الأطر التدريسية وارتفاع نسبة الطلبة إلى المدرسين .
- عدم اطلاع التدريسيين على ما يجري في الأقطار العربية في مجال التعريب .
- فقدان خطة عربية قومية موحدة للتعريب والترجمة .
- ضعف الإقبال على العمل الجماعي المنظم في عملية التعريب .

-عقدة الخوف من المجهول حيث يظن الظانون أن التعليم بالعربية سيؤدي إلى مستوى التعليم والبحث .

لهذه الأسباب مجتمعة يرى نفر من الأساتذة أن التريث في التعريب أمر تحكمه الظروف الموضوعية، وأن الإقدام عليه دون تهيئة مستلزماته قد يكون له آثار سلبية وانعكاسات خطيرة على عملية التعريب نفسها .

رابعاً- مستلزمات التعريب

تجدر الإشارة إلى أن الأهداف المرسومة للتعريب يستلزم تحقيقها أموراً متعددة منها:

١- القرار السياسي الملزم لاعتماد التعريب منهجاً في الحياة، وإن التسويف الذي سبقت الإشارة إليه لا يمكن أن يحسمه إلا قرار سياسي تمده جذوة من الحماسة والإيمان، وعندها فقط تذلل الصعوبات ولتتخذ من تجارب الآخرين معلماً نستهدي به في مسيرتنا، فهذا هي ذي جامعات الفيتناميين تستعمل اللغة الفيتنامية في تدريس العلوم كافة، وعندما أصدر «هوشي مينه» أمره بالفتنة الشاملة على الرغم من أن الفرنسية للمجتمع الفيتنامي دامت أكثر من ثمانين سنة، طلب أساتذة كلية الطب في هانوي مقابلته ليخبروه بأن فتنة الدراسات الطبية عملية مستحيلة بسبب جهل أساتذة كلية الطب وطلبتها للغة الفيتنامية، وطلبوا إليه العدول عن قراره أو إمهال تطبيق الفتنة على كلية الطب، واستمع القائد الفيتنامي لهم ساعات، ثم حسم المواجهة قائلاً لهم: «يسمح لكم بالتدريس باللغة الفرنسية بصورة استثنائية هذه السنة فقط، مع ضرورة تعلمكم وطلبكم اللغة الفيتنامية الوطنية خلال أشهر الدراسة التسعة، على أن تجري الامتحانات في سائر المستويات في نهاية السنة باللغة الفيتنامية، ثم تستأنف الدراسة في السنة المقبلة باللغة الفيتنامية»^(٣١).

٢- إلى جانب القرار السياسي الملزم بالتعريب، لابد من توافر فئة من المدرسين تؤمن بالتعريب، و تدعو إليه، وتدافع عنه، وترتب تنفيذه، ذلك لأن المدرس هو أساس عملية التعريب، ولابد من توافر القناعة لديه بالتعريب، وأن يكون مستعداً نفسياً له، وذا عزيمة لتذليل العقبات .

٣- الإفادة من تجارب التعريب في بعض جامعات الوطن العربي «في سورية، والأردن،

ومصر».

٤- انتداب أساتذة من الجامعات التي تنفذ التعريب، وذلك للتدريس بالعربية وإلقاء محاضرات بها لفترات كافية، على أن يفيد الأساتذة المحليون من تجاربهم .

٥- تشجيع الأساتذة على مطالعة كتب التراث ذات العلاقة بتخصصاتهم، لمدهم بمصطلحات علمية ومفردات تعينهم في إغناء لغتهم في مجالات تخصصهم^(٣٢).

٦- تشجيع الأساتذة على الكتابة وإلقاء الدروس والمحاضرات والمشاركة في الندوات باللغة العربية الفصيحة .

٧- تنظيم برنامج تبادل الزيارات بين مدرسي المادة الواحدة في الجامعات العربية.

٨- تنظيم دورات تدريبية مستمرة لتأهيل أعضاء هيئة التدريس في أثناء خدمتهم.

٩- الطلب إلى الموفدين العائدين ترجمة رسائلهم إلى العربية، واعتبار ذلك شرطاً لتعيينهم في عضوية الهيئة التدريسية، كما هي عليه الحال في جامعات سورية.

١٠- العمل على تخفيف الأعباء التدريسية والإدارية عن أعضاء الهيئة التدريسية، وتوجيه جزء من نشاطهم إلى التعريب الذي سيؤدي بدوره إلى رفع مستواهم العلمي بصورة غير مباشرة .

١١- عدم الاقتصار في عملية التعريب على الكتب الدراسية المقررة في الجامعات على أنها أمّات الكتب، بل أن تشمل أيضاً أمّات المجالات العلمية العالمية، ليكون الطالب على اتصال دائم بتقدم العلوم وتطورها على النحو الذي يفعله الإنجليز والألمان والفرنسيون والروس ... إلخ، وإعطاء مستخلصات لآخر ما صدر عن الأمم الأخرى من بحوث .

١٢- الاستمرار في تحقيق التراث العلمي العربي وكشف النقاب عن المخطوطات العلمية العربية، إن في داخل الوطن العربي أو في خارجه كالمتحف البريطاني في لندن، والمكتبة الأهلية بباريس والاسكوريال في إسبانيا ... إلخ .

١٣- تشجيع العناية بالترجمة الفورية التي تحتاج إلى تدريب ومران وسرعة خاطر، والاطلاع على مادة الاختصاص مع رصيد كبير في اللغتين العربية والأجنبية^(٣٣).

١٤- دعم المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر، وتخصيص الإمكانيات المادية

- الملائمة لمشروعاته وتخصيص جوائز للترجمة .
- ١٥- تشجيع كتابة البحوث بالعربية .
- ١٦- إصدار مجلات علمية متخصصة على مستوى عالمي تنشر بالعربية .
- ١٧- إصدار كتب علمية مبسطة للمستويات المختلفة بالعربية .
- ١٨- إصدار مجلات علمية مبسطة للمستويات المختلفة بالعربية .
- ١٩- الاطلاع على تجارب نقل العلوم إلى اللغات القومية في مجتمعات لا تملك لغة مرنة وواسعة، كالعربية واليابانية والكورية .
- ٢٠- الاهتمام بالدراسات العليا في الوطن العربي وتطويرها .
- ٢١- العناية باللغة العربية في مراحل التعليم العام قبل الجامعي، واستعمال اللغة العربية السليمة في مرافق المجتمع، ووسائل الإعلام كافة .
- ٢٢- الاهتمام بتدريس اللغات الأجنبية ينبغي له أن يتم بصورة متوازنة مع تنفيذ التعريب.
- ٢٣- إنشاء وحدة معلومات تختص بالدراسات العليا والبحث العلمي في الوطن العربي، تتصل بشبكة الوحدات الفرعية المماثلة في الجامعات ومراكز البحوث التربوية .
- ٢٤- توحيد المصطلحات في الجامعة الواحدة وبين الجامعات ومراكز البحوث في الوطن العربي .
- ٢٥- توفير الاعتمادات المالية لتأمين المراجع والمعجمات غير المتوفرة باللغة العربية .
- ٢٦- وجوب التكامل بين سياسات التعريب على نطاق الوطن العربي حرصاً على الجهود المبذولة وتوحيداً للرؤية الفكرية.

خامساً - الخلاصة :

من يُلَق نظرة على واقع خريطة التعريب في الوطن العربي يجد أن ثمة جهوداً بذلت، بعضها فردي وبعضها جماعي، بعضها قامت به مؤسسات خاصة، وبعضها الآخر قامت به مؤسسات قومية، منها ما قامت به مجامع لغوية، ومنها ما قامت به الجامعات، ومن هذه الجهود ما تم في الوطن العربي، وجهود قامت بها هيئات أجنبية .

إن تنوع هذه الجهود يرسم أمام الإنسان بصورة عفوية خريطة زاخرة الخطوط، ولكنها

خطوط متداخلة ومتشابكة تمثل تكامل الجهود وتقاطعها، وانقطاعها، إقليميتها وقوميتها، مشكلاتها الجزئية ومشكلاتها الكلية، اتساعها وضيقها، حذرنا واندفاعها حتى ليتعذر أن تهتدي إلى الوحدة بينها^(٣٤).

تلك هي الصورة التي رسمها أستاذنا المرحوم الدكتور شكري فيصل لعملية التعريب في الثمانينيات وما تزال هي هي، ولنستمع إليه يقول: «كنا نتحدث عن التعريب، عن إقراره أو إنكاره، عن قبوله أو رفضه، ولكن الجهد الأقل كان منصباً على التعريب ذاته، وكنا نتحدث عن قدرة العربية وعبقريتها دون أن نستثمر على مقياس واسع هذه القدرة وهذه العبقرية، وأن الذي نلاحظه في الحياة السياسية من التنوع الذي يقترب من التحالف والتكسر الذي يقترب من التكرار هو الذي نلاحظه في هذا اللون من العمل الثقافي العربي.

لقد كانت المؤتمرات والندوات في كل قطر تبدأ عملها من الصفر، ولكنها غالباً لا تتابع بعد ذلك من حيث انتهى المؤتمر السابق .

وكان من النتائج المنطقية لهذا التنوع والتكسر أن تبدو الجهود مشتتة، وأن تكون نتائجها من الضالة بحيث لا يمكن أن تكون متكافئة أو موازية لما أُعد لها وبُذل من أجلها، وقاد هذا التشتت إلى نوع من الجهالة حتى أضحي طبعياً أن يجهل بلد ما كان في بلد آخر، وألا تعرف جامعة ما يكون قد نُفذ في جامعة أخرى .

إننا في حاجة إلى أمرين :

أحدهما : منهجية واضحة في العمل تجمع كل ما كان أولاً، وتفيد منه، وتضعه في مكانه من البناء الداخلي ليكون مشاركة في هذا البناء .

وثانيهما : برنامج زمني يُراعى التزامه والتقيده به، حتى لا تبقى حكاية تعريب التعليم الجامعي حكاية طويلة من غير حدود .

وها هي ذي تجربة الجامعات السورية تبقى الرد العلمي الموضوعي على كل حملات التشكيك، إنها تجربة جديدة بكل تدبير، جديدة بدراسة إيجابياتها، وتعرف سلبياتها تعزيزاً للإيجابيات وتلافياً للسلبيات في انطلاقتنا الجديدة^(٣٥).

وها هي ذي الأمم صغيرها وكبيرها من حولنا في العالم تحافظ على هويتها القومية، إذ

تحت عنوان «إندونيسيا حريصة على لغتها» نقلت الأنباء أن الرئيس الإندونيسي «سوهارتو» ناشد شعبه يوم الخميس في الثالث عشر من جمادى الأولى عام ١٤١٤ هـ الموافق ٢٨ أكتوبر ١٩٩٣م بعدم الخلط بين اللغة الأم واللغات الأجنبية الأخرى في إطار التخاطب والتواصل اللغوي اليومي، ونقلت رويتر عن سوهارتو قوله في خطاب له بمناسبة يوم الشبيبة الإندونيسية: إن الكثير من العبارات والكلمات الأجنبية أصبح يشكل تهديداً للغة الباهاما، وهي اللغة الأصلية والرسمية للبلاد، مشيراً إلى أن ذلك يشكل تهديداً للهوية الوطنية للشعب الإندونيسي، وأضاف: إن التقدم في العلوم والتقانة «التكنولوجيا» يتطلب من الإندونيسيين إتقان لغات أجنبية، ولكن ذلك يجب ألا يتم على حساب اللغة الإندونيسية الأم.

وحريراً بنا أن نعرف قدر أمتنا ومكانتها في مسيرة الحضارة الإنسانية، فهذا هي ذي «زغريد هونكة» تقول في كتابها النفيس «شمس الله تسطع على الغرب»: «دبّ في الطب الغربي فجأة في القرن السادس عشر شعور غريب بالخل من تقليده للطب العربي، وبقي قروناً طويلة من الزمن نسخة منسوخة عنه، وكانت معظم المخطوطات الأوروبية الطبية في أول عصر الترجمة وحتى القرن السابع عشر تقليداً للعرب ونقلاً منهم، وقبل ٦٠٠ عام كان لكلية الطب الباريسية أصغر مكتبة في العالم لا تحتوي إلا على مؤلف واحد، وهذا المؤلف كان لعربي هو أبو بكر محمد بن زكريا الرازي»^(٣٦).

ولنستمع إلى قول شاعر إيطاليا الكبير «بيترارك» في القرن الرابع عشر الميلادي يُندد فيها ببني قومه، ويستنهض همهم وييث في أنفسهم العزيمة والثقة قائلاً: «ماذا؟ لقد استطاع شيشرون أن يكون خطيباً بعد ديموستن، واستطاع فيرجيل أن يكون شاعراً بعد هوميروس، وبعد العرب لا يسمح لأحد بالكتابة، لقد جارينا اليونان غالباً وتجاوزناهم أحياناً، وبذلك جارينا وتجاوزنا أغلبية الأمم، وتقولون: إننا لا نستطيع الوصول إلى شأو العرب، يا للجنون ويا للخبال، بل يا لعبقرية إيطاليا الغافية أو المنطفئة»^(٣٧).

ومن هنا كان علينا أن نتخذ من ماضي أمتنا المجيد عامل حفز إلى الأمام، إذ إن التراث في حسم موضوع كياني لأمتنا يتعلق بهويتها وانتمائها وحضارتها أمر يستلزم استنفار الجهود والإيمان والإقدام، إذ لا مسوغ للتريث، ورحم الله محمد عبد الكريم الخطابي الذي قال له بعض

رفاقه عندما أعلن ثورته: «فلننتظر حتى تكون لنا أسلحة، فأجابه: تحوّلوا إلى مجاهدين تأتكم الأسلحة. السلاح الأول هو أن تؤمنوا بضرورة القيام بالواجب».

الهوامش:

- ١- معجم لسان العرب لابن منظور، الجزء الرابع، دار المعارف، ص ٢٨٦٥ .
- ٢- الدكتور محي الدين صابر، قضايا الثقافة العربية المعاصرة، الدار العربية للكتاب، تونس ١٩٨٢، ص ٨٧.
- ٣- المرجع السابق .
- ٤- المرجع السابق، ص ٨٨.
- ٥- الدكتور محي الدين صابر، اللغة العربية مستودع الفكر العربي، منشور في تعريب العلوم بين النظرية والتجربة الميدانية، التعاضدية العمالية للطباعة والنشر، صفاقس ١٩٨٧، ص ١١.
- ٦- الدكتور كمال يوسف الحاج، في فلسفة اللغة، دار النهار، بيروت ١٩٦٧، ص ٣١١ .
- ٧- المرجع السابق، ص ٦٠.
- ٨- الدكتور محي الدين صابر، دور التعليم العالي في تنمية الذاتية الثقافية، المجلة العربية للتربية، المجلد الثاني، العدد الثاني سبتمبر ١٩٨٢، ص ٥٢.
- ٩- عبد الله العروي، ثقافتنا في ضوء التاريخ، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٨، ص ٢١٤.
- ١٠- المرجع السابق، ص ٢٨ .
- ١١- الدكتور شكري فيصل، المؤتمرات والندوات التي عقدتها المنظمات والهيئات العربية حول تعريب التعليم الجامعي في مجالات المصطلح العلمي والترجمة والتأليف: «عرض ودراسة»، ١٩٨٢.
- ١٢- مولود قاسم نايت بلقاسم، إنية وأصالة، مطبعة البعث بالجزائر، وزارة التعليم الأهلي والشؤون الدينية، ١٩٧٥، ص ٦٨.
- ١٣- الدكتور إبراهيم السامرائي، في التعريب بين ماضيه وحاضره، مجلة المجتمع العلمي العراقي، مج ٢٩ عام ١٩٧٨، ص ٩٤.
- ١٤- قاسم عثمان نور، التعريب في الوطن العربي، جامعة الخرطوم، ١٩٨٨، ص ١٣ و ١٤٠.
- ١٥- أحمد الزغل، تعريب العلوم بين النظرية والتجربة الميدانية التعاضدية العمالية للطباعة والنشر، صفاقس، تونس ١٩٨٧، ص ٦٠.
- ١٦- الدكتور أحمد دياب، تعميم خطة تعريب علم التشريح عبر سبر آراء طلبة السنة الأولى من كلية الطب بصفاقس، تجربة ميدانية ١٩٨٨.
- ١٧- الدكتور سليم عمار، تعريب الطب النفسي، العلوم بين النظرية والتجربة الميدانية التعاضدية العمالية للطباعة والنشر، صفاقس ١٩٨٧، ص ٤.
- ١٨- الدكتور نجة عبد العزيز المطوع والدكتور مصباح الحاج عيسى، أثر استخدام القمة الإنجليزية وسيلة اتصال تعليمية على التعليم الأكاديمي لكلية العلوم بجامعة الكويت، مجلة العلوم الاجتماعية بجامعة الكويت، المجلد الرابع عشر، العدد الرابع، ١٩٨٦، ص ١٥٥.
- ١٩- أبو خلدون ساطع الحصري، ما هي القومية؟، بيروت، دار العلم للملايين ط ٢، ١٩٨٣، ص ٤ .
- ٢٠- الدكتور محمود أحمد السيد، شؤون لغوية، دار الفكر بدمشق، ودار الفكر المعاصر لبنان، ١٩٨٩، الطبعة الأولى

- ٢١- مولود قاسم نايت بلقاسم، إنية وأصالة، مرجع سابق، ص ٧٦ .
- ٢٢- المرجع السابق، ص ٧٤ .
- ٢٣- الدكتور صفاء خلوصي، تعريب الجامعات، إحياء لكيان أكاديمي عربي أصيل، مطبعة جامعة دمشق، ١٩٨٢، ص ٤٠.
- ٢٤- الدكتور عبد المجيد نصر، تعريب التعليم الجامعي «العلوم الطبيعية» أفكار ومقترحات، جامعة اليرموك، مطبعة جامعة دمشق ١٩٨٢، ص ٤٠.
- ٢٥- المرجع السابق، ص ٥٠.
- ٢٦- الدكتور سيد حامد حريز، تعريب التعليم الجامعي في السودان، المجلة العربية للدراسات اللغوية، العدد الأول، المجلد الثاني ١٩٨٣، ص ٣٧ .
- ٢٧- الدكتور مدني الخيمي، التعليم العالي بالعربية في لبنان، مؤتمر التعريب بدمشق ١٩٨٢، ص ٤٠.
- ٢٨- الدكتور أحمد محمد الحصري، مسؤولية عضو هيئة التدريس والناشر عن جهود التعريب في الوطن العربي، مطبعة جامعة دمشق، ١٩٨٢، ص ١٠.
- ٢٩- الدكتور مدني الخيمي، التعليم العالي بالعربية في لبنان، مرجع سابق، ص ٥٠.
- ٣٠- الدكتور حسين محمد رزق والدكتور حاتم عبيد جعفر، معوقات تعريب التعليم العالي من وجهة نظر تدريس الجامعة التكنولوجية في العراق، مؤتمر التعريب في دمشق، عام ١٩٨٢.
- ٣١- عثمان السعدي، العبرنة الشاملة والتحكم بالتكنولوجيا المعاصرة في الكيان الإسرائيلي، جامعة الكويت، كلية التربية قسم أصول التربية، ص ٦٠.
- ٣٢- الدكتور سلطان الشاوي، تعريب التعليم العالي وسياسة الالتحاق به، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس ١٩٨٤، ص ٩٧.
- ٣٣- الدكتور صفاء خلوصي، تعريب الجامعات إحياء لكيان أكاديمي عربي أصيل، مرجع سابق، ص ٥٠.
- ٣٤- الدكتور شكري فيصل، المؤتمرات والندوات التي عقدتها المنظمات والهيئات العربية حول تعريب التعليم الجامعي في مجالات المصطلح العلمي والترجمة والتأليف، مرجع سابق، ص ٥٠.
- ٣٥- المرجع السابق .
- ٣٦- نقلاً عن الدكتور محمود أحمد السيد، شؤون لغوية، مرجع سابق، ص ٤٧.
- ٣٧- المرجع السابق، ص ٤٦.

الفصل الثالث

التعريب في جامعة دمشق تاريخاً وإنجازات

محتويات الفصل:

أولاً- تاريخ التعريب في جامعة دمشق

ثانياً- إجراءات التعريب وإنجازاته

ثالثاً- قضايا التعريب:

١- التشتت وغياب المنهجية في استخدام المصطلحات

٢- الضعف في اللغة العربية

٣- الضعف في اللغة الأجنبية

رابعاً- الخلاصة

الفصل الثالث

التعريب في جامعة دمشق تاريخاً وإنجازات وقضايا

يتناول البحث مفهوم التعريب مصطلحاً وإجراء، والأهداف المرسومة له، ثم يعرض لتاريخ التعريب في جامعة دمشق منذ حكم الاستبداد العثماني لبلاد الشام مروراً بالاستعمار الفرنسي وانتهاءً بعهود الاستقلال الوطني، ويقف البحث وقفة متأنية عند إجراءات التعريب والإنجازات التي تحققت في جامعة دمشق في مختلف ميادين المعرفة، وأخيراً يستعرض بعض قضايا التعريب من مثل التشتت وغياب المنهجية في استخدام المصطلحات والضعف في اللغتين العربية والأجنبية، مشيراً إلى الإجراءات المتخذة من السلطات الجامعية لتلافي النقص، والارتقاء بالواقع. سنحاول فيما يلي أن نتعرف مفهوم التعريب أولاً، ثم نستعرض تاريخ التعريب في جامعة دمشق، والإنجازات التي تمت في إطار هذه الجامعة، والقضايا الراهنة التي تعنى بها.

أولاً- مفهوم التعريب وأهدافه

جاء في لسان العرب أن الإعراب والتعريب معناهما واحد وهو الإبانة، يقال: أعرب عنه لسانه وعرب أي أبان وأفصح، وعرب عن الرجل أي تكلم بحجته، وعرب منطقاً أي هذب من اللحن، ويقال: عرب له الكلام تعريباً إذا بينته له، وعربه أي علمه العربية. وتعريب الاسم الأعجمي أن تتفوه به العرب على منهاجها، وأعرب الأعمى وعرب لسانه بالضم عروبة أي صار عربياً^(١).

لقد «تدرج لفظ «عرب» بهذه المعاني المتقاربة بعض الشيء منذ القديم إلى معنى ترجمة النصوص الأجنبية ونقلها إلى العربية وتعليم العلوم الأجنبية بالعربية»^(٢). فالتعريب اصطلاحاً «إيجاد مقابلات عربية للألفاظ الأجنبية لتعميم اللغة العربية واستخدامها في ميادين المعرفة البشرية كلها»^(٣).

ومن الباحثين من يرى أن المقصود بالتعريب حالياً «استعمال اللغة العربية لغة قومية في الوطن العربية للتعبير عن المفاهيم واستخدام هذه اللغة في التعليم بجميع مراحلها والبحث العلمي بمختلف فروعها وتخصصاته واستخدامها لغة عمل في مؤسسات المجتمع العربية ومرافقه كافة»^(٤). إلا أن الأستاذ الدكتور محي الدين صابر المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة

والعلوم يعطي التعريب مفهوماً أوسع وأشمل، إذ يرى «أن للتعريب مفهوماً جوانب فنية وقومية واجتماعية وسياسية وحضارية، فقد يتداخل مفهوم التعريب مع مفهوم الترجمة، فتعرض قضايا فنية حول اللغة وطاقاتها الدلالية والاستيعابية وآلياتها الذاتية وحول إعداد المترجمين وتدريبهم... الخ وفي هذا الإطار تكون قضية التعريب قضية علاقات فكرية وثقافية مع اللغات الأخرى أي قضية عربية أجنبية.

وقد يعنى التعريب دعم الوجود العربي والوحدة القومية بمعنى شمولية استعمال اللغة العربية في الوطن العربي نفسه على المستوى الجغرافي القطاعي لقطاع التعليم والبحوث والإدارة وتوحيد المصطلح العربي.

وقد يعنى التعريب تعريب لغة الإدارة الرسمية بما في ذلك أنواع النشاط المالي والتجاري والاقتصادي، وقد يعنى تعريب لغة التعليم والمجتمع معاً في بعض الأقطار العربية التي كانت رازحة تحت الاحتلال الأجنبي واستقلت حديثاً.

والتعريب من جهة أخرى قد يعنى كل ما يستوعب المجتمع العربي ويعضونه في نسيج حياته مما يتلقاه بأي صورة من صور التلقي الفكري والمادي والاجتماعي من أهداف وقيم ووسائل والانطلاق منه كواقع جديد للتفاعل الجدلي إنتاجاً وعلاقات أخذاً وعطاء تأثيراً وتأثراً من رؤية متكاملة للحياة وقدرة ذاتية على ممارستها»^(٥).

فالتعريب في المستوى المباشر يعنى «سيادة اللغة العربية على ساحة الوطن العربي بما يوحد المشاعر العربية ويجمعها حول تاريخها وواقعها ومصيرها، مما يجعله عاملاً جوهرياً في الخروج من دائرة التخلف السياسي المتمثل في التجزئة إلى حرية الوحدة العربية في الصورة التي تؤصل دور الأمة العربية التاريخي والمصيري»^(٦).

«والتعريب في معناه الأكثر شمولاً يعطي الوحدة العربية مضمونها الحضاري المعاصر ويعينها على كسر طوق التخلف والتحرر من أنواع التبعيات الاقتصادية والتكنولوجية والثقافية»^(٧).

ومن هنا يكون للتعريف هدفان^(٨):

أولهما: خلق شخصية إبداعية عربية تمتلك القدرة الذاتية على إنتاج العلم وصناعة

التكنولوجيا.

وثانيهما: هو القدرة على المشاركة والتفاعل من منطلق متميز.

ثانياً- تاريخ التعريب في جامعة دمشق

إذا كان أبو حيان التوحيدي في تراثنا العربي يقول: «لا يعتلي بنیان العلم شيئاً فشيئاً إلا بتصفح الأخير قول الأول واستيلائه على ما فاته» فإن ثمة جهوداً اعتمدها الرواد الأوائل في التعريب في جامعة دمشق كان قد قام بها من قبلهم في مصر بعض الأساتذة منذ أن بدأت مدافع نابليون تدق جنابات النيل مروراً بعهد محمد علي والحديوي إسماعيل، حيث كان التدريس في أيام هذا الأخير في جميع مراحل التعليم وعلى مختلف أنواعه باللغة العربية وكانت قد استمرت مدرسة الطب التي أنشأها محمد علي في قصر أبي زعبل سنة ١٨٢٦ ثم نقلت سنة ١٨٣٧ إلى قصر العيني في القاهرة تدرس العلوم بالعربية نحو ستين سنة حتى جعل التدريس فيها بالإنكليزية بعد احتلال الإنكليز لمصر سنة ١٨٨٢م. وكانت هذه المدرسة أكبر مظهر من مظاهر النهضة العلمية في الماضي وأهم معهد لنقل العلوم الطبية وعلوم الكيمياء والطبيعة إلى اللغة العربية. وفيها نشأ أعظم نقلة هذه العلوم وأجل المؤلفين والنقلة والمصححين إجمالاً^(٩).

وعندما أسس الأمريكان المدرسة الإنجيلية في قرية عيبة ثم انتقلت إلى بيروت وصار اسمها «الكلية الأمريكية» كان التدريس فيها باللغة العربية أيضاً. وكان فيها ثلاثة من الأطباء الأعلام أتقنوا اللغتين العربية والإنكليزية وانكبوا على نقل الكتب إلى العربية، حيث كانوا يتحرون المصطلحات العلمية العربية في الكتب المصرية التي أنجزت في النصف الأول من القرن الماضي، كما كانوا يتحرونها أيضاً في الكتب العربية القديمة، وهؤلاء الثلاثة هم الدكتور «كرنيليوس فنديك» والدكتور «جورج بوست» والدكتور «يوحنا ورتبات». وقد درس الأول العربية على الشيخ ناصيف اليازجي والمعلم بطرس البستاني والشيخ يوسف سير، وترك مؤلفات بالعربية بعد أن درس الكيمياء والجويات وعلم الأمراض، وأهم مؤلفاته العربية: «في مبادئ الطب البشري»، و«النقش في الحجر» في تسعة مجلدات كل مجلد منها في موجز علم من العلوم الحديثة كالكيمياء والطبيعة والنبات والجيولوجيا والفلك والجغرافيا الطبيعية وغيرها. وله كتب في الرياضيات والفلك والأصول الجبرية والهندسية وأصول الهيئة في علم الفلك ومحاسن القبة الزرقاء وكتب أخرى.

ومن مؤلفات الدكتور بوست الطبية باللغة العربية «المصباح الوضاح في صناعة الجراح» و«مبادئ التشريح والفسولوجيا»، وله كتاب «مبادئ علم النبات» وكتاب «علم الحيوان» في جزأين.

أما مؤلفات الدكتور يوحنا بالعربية فهي كتاب «التشريح» وكتاب «الفسولوجيا» وكتاب «في حفظ الصحة». وقد علم التشريح والفسولوجيا بالعربية أيضاً.

ومن المؤسف أن التعليم بالعربية في الكلية الأمريكية لم يدم طويلاً حيث حلت الإنجليزية مكان العربية على النحو الذي تم في مدرسة الطب بالقصر العيني. وظلت لغتنا العربية مقصاة عن التعليم العالي حتى أسست كلية الطب في دمشق في أواخر عام ١٩١٩م. فقامت بقيام هذه الكلية نهضة جديدة للغة العربية. وأمست كلية الطب بدمشق خلفاً في هذه الناحية لكلية القصر العيني وكلية بيروت^(١٠).

إلا أن الأتراك كانوا قد أقاموا إبان حكمهم لبلاد الشام معهداً للطب في دمشق عام ١٩٠٣م، لغته التركية وأسأدتته أترك. وغني عن البيان أن عهد الأتراك العثمانيين كان من أشأم العهود التي مرت على اللغة العربية وآدابها في بلاد الشام كما يرى أستاذنا سعيد الأفغاني، إذ اتخذت اللغة التركية دون غيرها لغة رسمية لها ولغة تدريس في المدارس حتى اللغة العربية كانت تدرس فيها بالتركية. وقد توجه سليمان التاجي الفاروقي من شعراء الشام بقصيدة إلى السلطان محمد رشاد يشكو فيها ما آل إليه أمر العرب بعد عزهم ويخص مصير اللغة العربية بأبلغ الأسى حيث يقول فيها:

العرب لا شقيت في عهدك العرب	سيوف ملكك والأقلام والكتب
وكل خير أتى فالعرب مصدره	بل أي فضل أتى لم تحوه العرب؟
لسانهم أخلق الإهمال جدته	فبات ينعى على الكتاب ما كتبوا
تفشّت اللهجة العجماء فيه إلى	أن أنكرته بنوه الخالص النجب
بضع وعشرون مليوناً لهم لغة	تموت ما بينهم؟ يا شد ما غلبوا
هذي المدارس محظور تعلمها	فيها، فمن أين نبغي؟ كيف تكتسب؟

وفي الحرب العالمية الأولى نقل الأتراك معهد الطب من دمشق إلى بيروت حين رحل الآباء

اليسوعيون عنها، فشغل معاهدهم الطبي دار معهد اليسوعيين هناك، وبعد أن انتهت الحرب عاد اليسوعيون إلى معاهدهم وتوقف المعهد الطبي.

أما معهد الحقوق فقد أنشئ في بيروت في ١٠/١٠/١٩١٣ بعد مؤتمر باريس الذي تم فيه الاتفاق بين رجالات العرب وحزب الاتحاد والترقي على إنشاء تعليم عربي عال في البلاد العربية. وبدأ التدريس بعد شهر من ذلك التاريخ، وكان أغلب أساتذته من الأكفياء العرب، وجعلت لغة التدريس العربية لمواد: اللغة وأصول الفقه وأحكام الأوقاف والوصايا والفرائض والزواج. أما بقية المواد فقد جعل التدريس فيها بالتركية، ونقلت مدرسة الحقوق خلال الحرب العامة ١٩١٤-١٩١٨ إلى دمشق، ثم أعيدت إلى بيروت.

فلما كانت النهضة في عهد الحكومة العربية في عهد الملك فيصل هب الطلاب القدامى من المعهد الطبي ومدرسة الحقوق يطالبون بإعادة المعهدين وإنشاء الجامعة، وجاهد طلاب الصف الأخير من المعهد الطبي جهاد الأبطال، وعقدوا الاجتماعات في النادي العربي وغيره، وألّفوا الوفود، وحملوا الحكومة الفيصلية على إنشاء الجامعة من هذين المعهدين. وهكذا ولدت الجامعة السورية حيث افتتح معهد الحقوق في ٢٥/٩/١٩١٩. وكان شرط الحكومة في تسمية الأساتذة أن يحسنوا التدريس باللغة العربية، لأنها اللغة الرسمية للجامعة^(١).

ومن هنا بدأ تاريخ جديد، فقد بدأ المتخرجون في مدارس الأتراك أنفسهم بتعلم العربية على شيخوختهم بعزم دائم وصبر طويل، وتكاتفوا على تعريب التعليم بما فيه وسعهم، وكان إلى جانبهم زملاء أقوياء في العربية يساعدهم، فلم تمض سنوات حتى رفع العبء عن كاهل أولئك الشيوخ سواعد قوية مضت إلى الهدف القويم صعداً، وحتى أصبحت عربية العلم في الجامعة مثلاً يحتذى.

وعجز الاستعمار الفرنسي الذي ابتليت به سورية مدة خمس وعشرين سنة عن أن ينال من منجزات التعريب، إذ بقي معهدا الطب والحقوق يدرسان باللغة العربية حتى زال الاستعمار على الرغم من أنه حاول جاهداً إبعاد العربية وفرض الفرنسية مكانها في التعليم، ودخلت البلاد عهد الاستقلال والحرية، وتكاملت الدراسات الجامعية العلمية والإنسانية باللغة العربية منذ ذلك الوقت إلى يومنا هذا.

وتجدر الإشارة إلى أن قضية المصطلحات العلمية كانت أهم قضية اعترضت سبيل رجال التعريب عندما حاولوا جعل لغتهم العربية المضربة صالحة للتعليم العالي وللتعبير عن حاجات الحياة العصرية على حد تعبير الأمير الشهابي^(١٢).

إلا أن المصطلحات في سورية اتجهت في نطاق من تعاون الجامعيين والمجمعين «أعضاء مجمع اللغة العربية» إلى سدّ حاجات الكليات العلمية جميعاً، وتكاتف هؤلاء وأولئك في ميدان تأليف الكتاب العلمي أو تعريبه، فتابعت الفروع الجديدة في جامعة دمشق بعد تطويرها على يدي الأستاذ الكبير المرحوم ساطع الحصري واستكمال كلياتها، تابعت ما كانت بدأته كلية الطب في تقديم الكتاب العربي لكل فروع المعرفة حتى شمل ذلك مقررات الجامعة في كل كلياتها وأقسامها ومقررات المعاهد المتوسطة، مما أعطى تجربة دمشق طابعها العملي، فليس هناك الآن علم من العلوم التي تدرس في الجامعة إلا وله كتاب عربي بحث في خاتمته مسرد بالمصطلحات التي استخدمت فيه، وهي مسارد تؤلف في جملتها مادة المعاجم العلمية التي نتطلع إليها في تحركاتنا المعجمية^(١٣).

ولم يقتصر الأمر على الكتاب الجامعي وإنما تعداه إلى المراجع العلمية الكبرى والمعاجم والكتب الحديثة والموسوعات التي تولت أمرها وزارة التعليم العالي في النطاق العلمي ووزارة الثقافة في نطاق الدراسات الإنسانية.

ولعل نظرة عابرة على ما تم من إنجازات في جامعة دمشق تجعل الصورة واضحة أمامنا.

ثالثاً- إجراءات التعريب وإنجازاته

شمل التعريب مختلف الفروع العلمية والإنسانية واعتمد النقل في بدء النهضة الحديثة بمجهود أفراد من العلماء تحلوا بصفات ثلاث لا غنى عنها وهي: اختصاص بالعلم أو الفن، وإتقان للغة الأجنبية التي ينقلون عنها، ومعرفة لأسرار اللغة العربية ولوسائل تنميتها.

وكان من عوائق تجربة التعريب بادئ الأمر عدم توافر المصطلحات العلمية بيسر وسهولة. وقد سبقت الإشارة إلى أن العلماء الأوائل كانوا يستدركون النقص في مجال الطب من خلال ما ألف بالعربية في القصر العيني وفي الكلية الإنجيلية السورية في بيروت، ومن خلال البحث في المعجمات القديمة وكتب التراث.

ولم يكن ثمة أي نوع من التنسيق الرسمي للمصطلح، مما كان يؤدي إلى ضرب من الحيرة لدى الطلاب والقراء، وكان فيه بعض البعد عن الدقة في التحديد، ولم تكن مجلة المعهد الطبي العربي التي كانت تصدر منذ عام ١٩٢٤ ذات سلطان في الاتفاق على مصطلح معين.

وقام الدكتوران «مرشد خاطر» و«أحمد حمدي الخياط» بتأليف معجم للعلوم الطبية، وضم جهود أساتذة كلية الطب في جامعة دمشق وما نشره في مجلة المعهد الطبي العربي وما كتبوه فيما ألفوا من تصانيف مازالت تشهد لهم بالجد والدأب، بالإضافة إلى ما كان وضعه أطباء العرب الأقدمون وما وضعه أساتذة قصر العيني في مصر والكلية الأمريكية في بيروت قبل أن يقلب الاستعمار لغة التعليم فيها من العربية إلى الإنكليزية.

وكانت لجنة المصطلحات في كلية الطب من قبل قد قامت بمحاولة لجمع هذا النتاج كله، فنقلت معجم «كلير فيل Clairville» المتعدد اللغات إلى العربية، وهي ترجمة استفاد منها الناس، ولكنها كانت سريعة وغير كافية، ولم تلبث أن نفدت نسخها، فاقترح الدكتور مرشد خاطر على زميله الدكتور أحمد حمدي الخياط إنشاء معجم للعلوم الطبية، وأنجز في خمسة عشر عاماً.

وكانت ترجمة معجم «كلير فيل» أولى المحاولات لتوحيد المصطلحات الطبية العلمية، وقد طبع النص العربي لهذا المعجم في مطبعة الجامعة السورية سنة ١٩٥٦، وعدد كلماته ما يقارب من ١٥.٠٠٠ كلمة في ٩٦٠ صفحة.

ورأت وزارة التعليم العالي إعادة النظر في هذا المعجم وإغناؤه بإضافة ما جدّ وتبديل ما تبدل وإضافة المقابل الإنكليزي لكلماته الفرنسية والعربية، وعهدت إلى الدكتور محمد هيثم الخياط أن يقوم بذلك مستفيداً من سلسلة البحوث القيمة التي كتبها الدكتور «حسني سبح» رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق في مجلة المجمع على أن توحد مصطلحاته العربية مع التعابير التي أقرتها لجنة توحيد المصطلحات التابعة لاتحاد الأطباء العرب مع إعادة النظر في تعاريف المفردات. وصدر الجزء الأول منه في ٦١٤ صفحة سنة ١٩٧٤، ولم تصدر الأجزاء الثلاثة الباقية بعد^(١٤).

وإذا كانت ترجمة معجم «كلير فيل» أولى المحاولات لتوحيد المصطلحات الطبية العربية

فإن ثمة خطوة أخرى مهمة على درب تعريب التعليم الطبي تمثلت في إنجاز اتحاد الأطباء العرب الذي أُلّف سنة ١٩٦٦ لجنة لتوحيد المصطلحات الطبية، وبعد عدة اجتماعات لها في القاهرة وبغداد والموصل ودمشق ولبنان توصلت إلى إنجاز معجم أجريت عليه تعديلات، ثم طبع طبعته الأولى سنة ثلاث وسبعين في مطبعة المجمع العلمي العراقي في بغداد. وتقبل أطباء جامعة دمشق هذا المعجم الطبي الموحد بقبول حسن، ولم ينقض زمن يسير حتى أضحي المعجم الطبي الموحد لحمّة اللغة الطبية في الجامعة السورية^(١٥).

وقد طبع المعجم طبعة ثانية في مطبعة جامعة الموصل عام ١٩٧٨، كما طبع مزيداً فيه ومنقحاً آخر طبعة له في سويسرا عام ١٩٨٣. وأسهم في إنجازه إلى جانب اتحاد الأطباء العرب كل من مجلس وزراء الصحة العرب ومنظمة الصحة العالمية والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

ويشتمل المعجم على المصطلحات الطبية باللغات الثلاث: العربية والإنجليزية والفرنسية. وثمة اثنا عشر أساساً جرى عليها العمل في اختيار المصطلحات تتمثل في استعمال كلمة عربية واحدة مقابل التعبير الأجنبي، ولم تستعمل المترادفات إلا فيما ندر، واستعملت الكلمات العربية المتداولة أو التي سبق أن استعملها الأطباء العرب الأقدمون إذا كانت تفي بالغرض العلمي، واختير معنى واحد من المعاني التي وضعتها معاجم اللغة للفظ العربي الواحد، وتم اللجوء إلى المجاز في استعمال الألفاظ بتخصيص معناها العام أو تعميم معنى مجاور لمعناها اللغوي أو نقلها إلى مدلول آخر أدق، واستبعدت الكلمات الدخيلة «الأجنبية المعربة» إلا إذا كانت اسم شخص أو مشتقة من اسمه، أو كانت مستخدمة في لغات متعددة ولم يمكن الوصول إلى مقابل لها، وثبتت سوابق ولواحق تم الالتزام بها مع تفضيل الصيغ الثلاثية المختصرة، واستعملت صيغ عربية سبق استعمالها في الطب والقياس على ذلك مثل صيغة «فُعِلَ» و«فَعَلَ» و«فَعُول»، وفضل الاطراد والانسجام في استعمال الكلمات والصيغ على استعمال ألفاظ معجمية خارجة عن الانسجام لا يسهل حفظها وتداولها، وجرى التصرف في صيغ النسبة للتمييز أو منع اللبس ونسب للمفرد وللجمع وابتعد عن التركيب والنحت إلا ما ندر، وضبطت الكلمات العربية بالشكل ضبطاً كاملاً، واقتصر على ترجمة واحد من مترادفات المفهوم الواحد مع الإشارة بجانب

المترادفات الأخرى إلى التعبير الذي اتفق على ترجمته، وأضيف إلى المعجم عدد من الصور التوضيحية زيادة في الإيضاح وتثبيتاً للمصطلحات وتعميماً للفائدة^(١٦).

وقد عمدت وزارة التعليم العالي إلى ترجمة المدونات الكبرى في الطب، واختير كتاب مشهور ينمى إلى «هاريسون» مؤلفه الأول، وإن يكن الآن متعدد الكتاب، وعهد إلى قسم الطب الباطني في كلية الطب بجامعة دمشق بترجمته على أن يكون المعجم الطبي الموحد مرجعاً في المصطلح، وصدر الجزء الأول في ٨٣٠ صفحة، وتبعه الثاني.

تلك هي إشارة عابرة لما تم في ميدان الطب. أما في بعض الميادين الأخرى فقد أسهم الأمير مصطفى الشهابي إسهاماً كبيراً وفعالاً في ميادين متعددة. ففي ميدان المصطلحات الجيولوجية يقول: «أنعمت النظر حديثاً في ألفاظ كتب عربية وتركيبية في علم الجيولوجيا وفي ألفاظ هذا العلم في بعض المعجمات الأجنبية والعربية كمعجم الدكتور محمد شرف ومعجم البخاري بك ومعجم اليسوعيين الفرنسي العربي وغيرها، فألفت بعض مصطلحاتها العربية صحيحة وبعضها مرجوحة أو مغلوطة. ولذلك عمدت إلى وضع هذه المصطلحات ذاكراً بعض الألفاظ الجيولوجية بالفرنسية وما أراه يصلح لها من الألفاظ العربية، ولست أدعي بأن جميع هذه الألفاظ العربية صحيحة أو راجحة ولكن في ذكرها فائدة لأساتيد المواد في البلاد العربية وللمجامع اللغوية العربية التي تعنى بمصطلحات الجيولوجيا»^(١٧).

وفي ميدان المصطلحات النباتية يشير الشهابي إلى إسهاماته فيه قائلاً:

«عندما ألفت معجم الألفاظ الزراعية بالفرنسية والعربية ضمنته عدة مئات من أسماء النباتات الزراعية المشهورة وبضع مئات من المصطلحات النباتية التي لا بد لكل أستاذ أو عالم بالزراعة من معرفتها، ولم يدر في خلدي أن المعجم المذكور سيكون في مصطلحات النبات مرجعاً لأساتيد هذا العلم في مدارس التجهيز الحكومية بديار الشام «المدارس الثانوية حالياً». ولو فطنت لهذا الأمر لأضفت إلى المعجم جملة من تلك المصطلحات يحتاج إليها الأساتيد المشار إليهم كما يحتاج إليها وإلى أكثر منها أساتيد المدارس العالية في الطب والصيدلة والعلوم وغيرها»^(١٨).

ويتابع قائلاً: «ورأيت من المفيد أن أنشر ٣٢٦ مصطلحاً نباتياً خلا منها ذلك المعجم، وهي

مرتبة على حروف المعجم ومشروحة شرحاً علمياً مقتضباً، وكثير منها من وضعي أو تحقيقي، وبعضها من وضع مجمع فؤاد الأول للغة العربية، والمهم فيها الاصطلاح العربي لا الشرح الذي لم أتوخ الدقة التامة فيه، فالمؤلفون في علم النبات يهتمهم الاصطلاح خاصة، أما الشرح المضبوط فهم يجدونه في كتب النبات الأعجمية دونما عناء^(١٩).

وفي ميدان العلوم الفيزيائية والكيميائية وعلم الحيوان والنبات عمل الأستاذ الدكتور عبد الرزاق قدورة يوم كان رئيساً لجامعة دمشق على تنسيق المصطلحات في تلك الميادين، وطلب إلى مجمع اللغة العربية في دمشق أن يكون الحكم في توحيد المصطلح العلمي كله^(٢٠).

أما في ميدان المصطلحات الفلسفية فقد رسم الأستاذ الدكتور جميل صليبا السبل الواضحة والطرائق الصحيحة التي يجب على العلماء اتباعها في وضع هذه المصطلحات، وقد حصرها في القواعد الآتية^(٢١):

القاعدة الأولى: هي البحث في الكتب العربية القديمة عن اصطلاح مستعمل للدلالة على المعنى المراد ترجمته.

والقاعدة الثانية: هي البحث عن لفظ قديم يقرب معناه من المعنى الحديث فيبدل معناه قليلاً، ويطلق على المعنى الجديد.

والقاعدة الثالثة: هي البحث عن لفظ جديد لمعنى جديد مع مراعاة الاشتقاق العربي كأن نضع لفظ الشخصية للدلالة على «personnalité» ولفظ الاهتمام على «intérmêt».

والقاعدة الرابعة: هي اقتباس اللفظ الأجنبي بحروفه على أن يصاغ صوغاً عربياً كقولنا هرمية في ترجمة Hormique.

ولقد أدت التجربة الطويلة التي مارسها العلماء العرب في اختيار المصطلح وتقصيصهم أساليب النقلة الأوائل التي نهجوها في التعريب إلى تأصيل قواعد رأوا ضرورة الالتزام بها في وضع المصطلح العلمي وهي^(٢٢):

«وجود مناسبة بين مدلول المصطلح اللغوي ومدلوله الاصطلاحي، وتحري لفظ عربي يؤدي معنى اللفظ الأعجمي بطريق الاطلاع على الأنفاظ العلمية المبثوثة في المعجمات العربية وفي مختلف كتب التراث العلمية، وترجمة اللفظ الأعجمي الجديد الذي ليس له مقابل في اللغة العربية أو وضع

لفظ عربي مقارب له بطريق الاشتقاق أو المجاز أو النحت وإذا لم يتيسر ذلك فيعرب، ثم تفضيل اللفظ العربي على اللفظ المعرب القديم إلا إذا اشتهر المعرب وتفضيل الاصطلاحات العربية القديمة على الجديدة إلا إذا شاعت ثم تفضيل الكلمة الواحدة على كلمتين أو أكثر إذا أمكن ذلك، والترجمة الحرفية إذا لم نجد كلمة واحدة، والاقتصار على اسم واحد للمعنى العلمي الواحد في المجال الواحد، وأخيراً تفضيل الكلمة التي تسمح بالاشتقاق على الكلمة التي لا تسمح به، وقبول اللفظ المولد السائع».

وتجدر الإشارة إلى أن ثمة معاجم عامة متخصصة وضعها بعض النابغين في فروع علمية متعددة لكي تعين على التعريب والترجمة والتأليف. ومن هذه المعاجم العامة معجم «كازمرسكي» ومعجم «دوزي» بالفرنسية والعربية ومعجم «لين» ومعجم «بادجر» بالإنجليزية والعربية ثم معجم «بيلو» و«المنهل» لواقعيه سهيل أدريس وجبور عبد النور و«المورد» لواقعيه الأستاذ «منير البعلبكي» وغيرها كثير.

ومن المعاجم المتخصصة في ميدان العلوم معجم «العلوم الطبية والطبيعية» للدكتور محمد شرف عام ١٩٢٨، ومعجم «المصطلحات الطبية كثيرة اللغة» (كلير فيل) نقله إلى العربية الدكتورة مرشد خاطر وأحمد حمدي الخياط ومحمد صلاح الدين الكواكبي عام ١٩٥٦، وقد سبقت الإشارة إلى هذا المعجم من قبل، وقاموس «حتي» الطبي عام ١٩٦٧ ومعجم «مصطلحات تعويض الأسنان» لميشيل الخوري عام ١٩٧٠، و«المعجم الطبي الصيدلي الحديث» للدكتور علي محمود عويضة عام ١٩٧٠، و«المعجم الفلكي» لأمين معلوف عام ١٩٣٥، و«معجم أسماء النبات» لأحمد عيسى عام ١٩٤٩، ومعجم «الألفاظ الزراعية» للأمير مصطفى الشهابي عام ١٩٤٣، ومعجم «المصطلحات الحراجية» للشهابي أيضاً عام ١٩٦٢، و«المعجم الكهربائي الإلكتروني» أصدرته وزارة الدفاع السورية عام ١٩٧٨، ومعجم «المصطلحات البترولية والصناعية النفطية» لأحمد شفيق الخطيب.

وفي ميدان العلوم الاجتماعية في القانون والاقتصاد صدر «المعجم القانون» للأستاذ حارث سليمان الفاروقي عام ١٩٦٢ و«المعجم العلمي للمصطلحات القانونية والتجارية والمالية»

للأستاذين يوسف شلاش وفريد فهمي، وفي ميدان العلوم الإنسانية صدر «المعجم الفلسفي» للأستاذ يوسف كرم و«المعجم الفلسفي» للأستاذ الدكتور جميل صليبا و«معجم المصطلحات الدبلوماسية» للدكتور مأمون الحموي عام ١٩٤٩، و«معجم المصطلحات الجغرافية» حيث أصدره المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالقاهرة عام ١٩٦٥، و«معجم المصطلحات الأثرية» للأمر يحيى الشهابي عام ١٩٦٧، و«معجم مصطلحات الفنون» للدكتور نور الدين عتر عام ١٩٧٧... الخ^(٢٣).

وقام الدكتور فاخر عاقل بوضع «قاموس علم النفس» وعمل على تطويره. أما فيما يتعلق بالإنجازات التي حققها الأساتذة في الجامعة فثمة صعوبة في حصرها كلها، ولذلك اخترنا بإيجاز إنجازات كلية الطب في الفترة الممتدة بين ١٩٣٢ و ١٩٥٧م، وكان سبب اختيار هذه الكلية دون غيرها يرجع إلى أن معارضي التعريب يشككون في قدرة اللغة العربية على تمثل المصطلحات العلمية الطبية واستيعابها، وكانت سهامهم تنصب على هذه الكلية أكثر مما تنصب على غيرها.

نفت مطبوعات كلية الطب في مطبعة جامعة دمشق وحدها على السبعين، بعضها في مجلد وكثير منها في مجلدات جاوز مؤلفوها الأربعين أستاذاً، ويضم هذا الإنتاج^(٢٤):

١ - المؤلفات الطبية في علم الغرائز (الфизиولوجيا)، وأمراض الأطفال والنساء والأمراض العصبية والعقلية والمضمية والكيمياء الحيوية، والكيمياء الصيدلانية والكيمياء العضوية والأمراض الجراحية وفن التمريض، وفن الجراثيم، وفن الصحة، والطب الوقائي، وأمراض القلب والأوعية والكلى وعلم الأمراض الباطنية، والأمراض الطفيلية والإنتانية، وأمراض جهاز التنفس والأنبوب الهضمي، وجهاز البول والدم وأمراض التغذية والغدد الصم والتسممات، وفلسفة الطب أو علم الأمراض العام، والأعراض والتشخيص وعلم النسج، وأمراض الجلد وأمراض العين وطب الأسنان والطب الشرعي والطب الاجتماعي، وفن التوليد، وعلم الكيمياء وعلم السموم، وعلم الأدوية.

وكثير من هذه المؤلفات ينتهي بمعجم للمصطلحات العربية وما يقابلها بالفرنسية أو الإنجليزية وبالعكس.

٢- مؤلفات في موضوعات طبية عامة، وللدكتور شوكة موفق الشطي تسعة مؤلفات في هذا المجال منها: تاريخ الطب عند العرب وعند الأمم التي نقل عنها العرب (في عدة أجزاء) اللباب في الأسباب، علم آداب الطب، علم الوراثة، الرياضيات المسنونة، نظرات في ابن القيم، نظرات في التتن والدخان، نظرات في القهوة والشاي، نظرات في المسكرات.

٣- محاضرات عامة في موضوعات طبية صالحة لجمهور المثقفين نشرتها الجامعة بعنوان «المحاضرات العامة» وهي نماذج جيدة للغة العلم الميسرة الواضحة السليمة.

٤- المعاجم: مثل معجم الألفاظ والمصطلحات للدكتور حسني سبوح، وله أيضاً معجم الألفاظ والمصطلحات الفنية الواردة في أمراض جهاز التنفس، وهناك معجم «مصطلحات علمية» للدكتور محمد صلاح الدين الكواكي. ومعجم «كلير فيل» بالفرنسية المترجم إلى العربية، حيث قام بترجمته كل من الدكاترة أحمد حمدي الحياط ومحمد صلاح الدين الكواكي ومرشد خاطر.

٥- مقالات في مجلة اجمع العلمي العربي مثل مقالات الدكتور محمد جميل الخاني وآخرين.

٦- مجلة المعهد الطبي العربي التي أنشأها فريق من الأساتذة على رأسهم الأستاذ الدكتور مرشد خاطر، وكان الغرض من إنشائها يمثل في ثلاثة أهداف:

أ- خدمة اللغة العربية. ب- خدمة الطب والأطباء. ج- خدمة الشعب، وصدر منها ٢١ مجلداً بين ١٩٢٤ و ١٩٤٧.

ومن هنا يقول الدكتور الشطي حين أرخ للمعهد العربي «إن رجال المعهد الطبي العربي بمجلتهم ومحاضراتهم ومؤلفاتهم ومقالاتهم قاموا بنهضة لغوية تبعها انتصار للغة العربية في عالم العرب وبلاده الشاسعة»^(٢٥).

واستمرت مسيرة التعريب قوية في العقود التالية في مختلف الكليات حيث تدرس اللغة العربية. ولو رحنا نستعرض إنجازات التعريب في جامعة دمشق العام الدراسي ١٩٨١-١٩٨٢ من خلال الكتب المنجزة في الكليات كافة ألفينا من خلال النظر في الجدول رقم (٢):

أن أعلى نسبة للكتب المؤلفة بالعربية كانت في كلية العلوم إذ بلغت النسبة ١٨.١٪. والواقع لو أخذنا كلية الهندسة بفروعها المدنية والمعمارية والكهربائية والزراعية لألفينا أن الكتب المؤلفة في ميادينها يبلغ عددها (٢٢٠) كتاباً بنسبة مئوية قدرها ٢٨.٩ وهي من أعلى النسب، وما ألفت في مجال الطب والصيدلة يبلغ ١٢١ كتاباً بنسبة مئوية قدرها ١٥.٩، وهي نسبة عالية أيضاً قياساً إلى المجموع الكلي. ولعل في الأرقام السابقة ما يدحض حجج القائلين أن ثمة صعوبة في تعليم العلوم والطب والهندسة باللغة العربية.

الجدول رقم (٢)

عدد الكتب العربية المنجزة في جامعة دمشق في العام الدراسي ١٩٨٢/١٩٨١
موزعة على الكليات

اسم الكلية	عدد الكتب العربية المنجزة	النسبة المئوية من المجموع الكلي
كلية الآداب	١١٨	١٥.٥
كلية الاقتصاد والتجارة	٤٦	٦.٥
كلية التربية	٥٠	٦.٥
كلية الحقوق	٣٣	٤.٣
كلية الزراعة	٦٠	٧.٩
كلية الشريعة	٢١	٢.٧
كلية الصيدلة	٣١	٤.٠٧
كلية الطب البشري	٥٨	٧.٦
كلية طب الأسنان	٣٢	٤.٢
كلية العلوم	١٣٨	١٨.١
كلية الفنون الجميلة	١٣	١.٦
كلية الهندسة المدنية والمعمارية	٧٥	٩.٦
كلية الهندسة الكهربائية والميكانيكية	٨٥	١١.١

رابعاً- قضايا التعريب

من قضايا التعريب عدم تقييد الأساتذة بالتزام الدقة في استخدام المصطلحات مما يؤدي إلى تشتت الجهد وغياب المنهجية، إضافة إلى ضعف الدارسين في اللغة العربية وسريان هذا الضعف إلى بعض ممن يقومون بالتدريس في الجامعة من المدرسين الجدد. ولم يكن الضعف مقتصرًا على اللغة القومية بل هو في مجال اللغات الأجنبية أيضاً. وفيما يلي فكرة موجزة عن كل قضية من هذه القضايا وإيضاح للسبل التي انتهجتها الجامعة للتغلب على الصعوبات وتذليل العقبات.

أ- التشتت وغياب المنهجية في استخدام المصطلحات:

لم يتقيد العلماء الذين أخذوا في العقود الأخيرة يدونون علوم العصر وينقلونها عن اللغات الأوروبية إلى اللغة العربية بالدقة في استخدام المصطلحات، بل مالوا إلى استعمال الألفاظ المترادفة للدلالة على المعنى الواحد أو إلى استعمال اللفظ الواحد للدلالة على المعاني المختلفة، فالشخص الواحد يستعمل للدلالة على المعنى الواحد ألفاظاً مختلفة فيترجم كلمة «Deduction» تارة بالاستدلال وأخرى بالاستنتاج أو بالاستنباط، ويستعمل اللفظ الواحد للدلالة على المعاني المختلفة فيترجم كلمات «intelligence» و«Raison» و«Bon sens» كلها بكلمة «عقل»، وبعضهم يترجم كلمة «intuition» بكلمة «حدس» ويترجمها الآخر بالبدهة أو الاكتناه أو الاستبصار. وكذلك كلمة «conscience» بعضهم يترجمها بالشعور، وبعضهم يترجمها بالوعي أو الوجدان أو الضمير.

وأدى الاختلاف في ترجمة المصطلحات والتباين في استخدامها إلى ضروب من التشتت في المعاهد والجامعات والكليات والأقسام، كما أن غياب المنهجية وجه آخر من وجوه تشتت الجهد أو سبب فيه.

وتتبدى الحاجة إلى المنهجية حين نواجه هذا الخلاف بين اللغات الأجنبية في التعبير عن المصطلح الواحد، كما تتبدى حين يصطرح النقل والتعريب والمجاز والوضع والنحت.

ومن الأمور التي أدت إلى اختلاف الوضع في المصطلحات أيضاً أن المبعوثين إلى الخارج

عملوا بعد عودتهم والتحاقهم بالجامعة، ومنهم من تخرج في جامعات شرقية، ومنهم من تخرج في جامعات غربية، عمل كل منهم على وضع بعض المصطلحات الخاصة به، وقد يعمد إلى تغييرها بعد ذلك.

وإذا كان الشخص الواحد لا يتقيد هو نفسه بالاصطلاحات التي اختارها فما بالك بالمرجمين الآخرين الذين قد يوافقونه على اختياره أو يخالفونه ويخالفون أنفسهم؟ وإذا كانت معاني الألفاظ تختلف باختلاف القائل والسامع فكيف تتضح وكيف تفهم؟ إن الألفاظ حصون المعاني وتثبيت الاصطلاحات العلمية هو الحجر الأساسي في بناء العلم. ومن هنا عمدت وزارة التعليم العالي في الجمهورية العربية السورية إلى تشكيل لجنة للترجمة والمصطلحات تابعة لمجلس التعليم العالي وتتولى هذه اللجنة المهام الآتية:

- ١- أسس وضع المصطلحات العلمية والتنسيق اللازم فيها.
- ٢- القواعد والأسس النازمة للترجمة في الجامعات ومؤسسات التعليم العالي الأخرى والتنسيق بينها، وشروط النشر والإفادة من نشر ما هو مترجم.
- ٣- أسس التبادل بين الجامعات في سورية والجامعات الأخرى فيما يتصل بالمصطلحات العلمية والترجمات.

ورأت اللجنة المشكلة من خلال اجتماعاتها المتتالية أنه من الضروري تنظيم أمور المصطلحات العلمية في جامعات القطر بما يحقق المستوى العلمي الجيد ويفيد في جميع التخصصات الجامعية.

وتحقيقاً لذلك رأت أنه لا بد من تأليف لجان متخصصة لتحديد المصطلحات العلمية في جامعات القطر بحيث تؤلف لجنة واحدة لكل جامعات القطر متخصصة بالمصطلحات العلمية وذلك في كل من العلوم التالية:

(العلوم الأساسية، العلوم الطبية، العلوم الهندسية، العلوم الزراعية، العلوم الإنسانية، الفنون الجميلة) بغية القضاء على الفوضى والاضطراب في عملية الترجمة وتوحيد المصطلحات وتبنيها على الألسنة والأقلام.

ب- الضعف في اللغة العربية:

كان رواد التعريب الأوائل في جامعة دمشق قد وقفوا جهودهم على التنقيب والبحث في رحاب لغتهم وتبنيها على الألسنة والأقلام أسلوباً عربياً فصيحاً مشرقاً إلا أن التوسع الكمي في الجامعة في ربع القرن الأخير أدى إلى أن يدخل في عداد هيئة التدريس لتلبية الحاجة إلى المدرسين أناس تسنموا كراسي التدريس لم يتقنوا الحديث بالعربية الفصيحة والتأليف بها مما فسح المجال للعامة لأن تشق طريقها إلى كثير من المحاضرات في الكليات. وسرى هذا الداء إلى أمالي بعض المدرسين فإذا هي عصية على الفهم بسبب رداءة الأسلوب وكثرة الأخطاء.

وأما لغة الدارسين فليست على المستوى المطلوب، إذ إن ثمة شكوى من كثرة الأخطاء اللغوية والنحوية والإملائية على أقلامهم وألسنتهم، وثمة قصور في إمكانيات التعبير لديهم. وانطلاقاً من الإحساس بالمسؤولية القومية تجاه لغتنا العربية في الجامعات أوصت اللجنة الثقافية في رئاسة مجلس الوزراء «بضرورة العناية باللغة العربية في جميع الكليات واختيار المعيدین وأعضاء الهيئة التدريسية من الذين يحسنون اللغة العربية في التدريس» وصدر بلاغ رئاسة مجلس الوزراء رقم ١/٣٥٤٩ تاريخ ١٩٨٠/٧/٣ متضمناً ما يأتي:

استناداً إلى توصية اللجنة الثقافية المتخذة بجلستها المنعقدة بتاريخ ١٩٨٠/٦/١٧ بشأن موضوع حماية اللغة العربية ورفع مستواها، نوافق على أن تقوم وزارة التعليم العالي بالنسبة للأساتذة المعيّنين حديثاً بما يلي:

أ- ألا ينقل الأساتذة الجدد المتمرنون في جميع الاختصاصات من المرحلة الأولى إلى المرحلة الأعلى قبل أن يتقدم هؤلاء إلى امتحان في اللغة العربية.

ب- أن يكون من شروط التعيين لعضو الهيئة التدريسية في جامعات القطر ومعاهدها المتوسطة وفي جميع الاختصاصات شرط النجاح في امتحان شفهي وكتابي في اللغة العربية.

ج- إحداث دورات تأهيلية في اللغة العربية للأساتذة.

وقد شكل مجلس جامعة دمشق بقراره رقم ١٣٢ تاريخ ١٩٨٠/١٠/٧ لجنة باسم لجنة اختبار اللغة العربية مكونة من رئيس قسم اللغة العربية في كلية الآداب بجامعة دمشق ومن رئيس القسم المختص الذي يود أن يُعَيّن فيه عضو هيئة التدريس. ومن أحد أعضاء هيئة التدريس في

قسم اللغة العربية يسميه رئيس فرع نقابة المعلمين في الجامعة.

ومهمة اللجنة:

١- إجراء امتحان شفهي وكتابي للمعينين لأول مرة من أعضاء الهيئة التعليمية.

٢- إجراء امتحان لأعضاء الهيئة التعليمية المتميزين عند تأصيلهم.

ولم تكتف الجامعة بهذه الإجراءات للنهوض باللغة العربية، وإنما عمدت إلى أن جعلت سلامة اللغة العربية شرطاً ينص عليه في تقويم الإنتاج العلمي للترقي في سلم هيئة التدريس، كما أنها اتخذت إجراءات تتمثل في ضرورة مراجعة الأمالي والكتب بحيث تضمن سلامة اللغة ووضوح الأسلوب في كل ما تقع عليه عين المتعلم.

تلك هي إجراءات تتعلق بأعضاء الهيئة التعليمية في الجامعة.

أما فيما يتعلق بلغة الدارسين أنفسهم فقد صدر مرسوم جمهوري رقمه ٧٥٩ تاريخ ١٠/٩/١٩٨٣ ينص على تدريس اللغة العربية في المرحلة الجامعية الأولى في جميع سنوات الدراسة في الكليات والمعاهد العليا في الجمهورية العربية السورية فيما عدا قسم اللغة العربية والسنة الأخيرة في كلية الطب البشري. ويدرس هذا المقرر على مدار السنة الدراسية في النظامين الدارسيين الفصلي والسنوي ويعد مقررًا امتحانيًا واحدًا يجري الامتحان فيه في دورة امتحانات الفصل الدراسي الثاني، ويسمح للطالب الراسب في هذا المقرر أن يتقدم للامتحان فيه في أي من الدورات الامتحانية الفصلية التالية لسنة رسوبه.

وقد ألفت الكتب الخاصة بتعليم اللغة العربية لغير المختصين وثمة متابعة وتقويم مستمر لتعديلها.

ج- الضعف في اللغة الأجنبية:

إن ضعف مستوى تعليم اللغات الأجنبية في المدارس الثانوية والجامعية على حد سواء أدى إلى أن تلقى الدروس بلغة عامية في بعض الأحيان تشوبها مفردات أجنبية هي المصطلحات العلمية.

وإزاء هذا الوضع كان ثمة التفات إلى العناية باللغة الأجنبية، إذ لم يكن الاهتمام منصباً على اللغة القومية وحدها، وإنما كانت ثمة إجراءات للنهوض بمستوى تدريس اللغات الأجنبية في

التعليم العام، وبقي تدريس اللغة الأجنبية (الوظيفية) متصلاً على مدار سنوات الدراسة الجامعية كلها، ودرس مقرر «المصطلح العلمي» وفق اختصاصات الدارسين في الجامعة.
ومن الإجراءات المتخذة أيضاً الإكثار من المبعوثين للاطلاع والبحث العلمي في الدول الأجنبية بقدر الحاجة.

وفي المرسوم الجمهوري رقم ٧٥٩ تاريخ ١٠/٩/١٩٨٣ ورد في المادة الثانية منه: «تدرس اللغة الأجنبية في المرحلة الجامعية الأولى في جميع سنوات الدراسة في الكليات والمعاهد العليا في الجمهورية العربية السورية فيما عدا أقسام اللغات الأجنبية والسنة الأخيرة في كلية الطب البشري».

ويقضي المرسوم الجمهوري رقم ٦٢٨ تاريخ ٢/٨/١٩٨٣ بإلزام الطلاب الذين يرغبون في التسجيل لنيل درجة الماجستير باتباع دورة مكثفة باللغة الأجنبية والنجاح فيها. كما أنه لا يحق للطلاب التسجيل لنيل درجة الدكتوراه إلا إذا اجتاز امتحاناً في اللغة الأجنبية وحقق النجاح فيه.

وقد صدر قرار مجلس التعليم العالي رقم ١٤١ تاريخ ٢٨/١٢/١٩٨٣ بهذا الشأن. وهكذا كان الاهتمام باللغة الأجنبية متزامناً مع الاهتمام باللغة الأم تحقيقاً لمتطلبات التعريب وانسجاماً مع مفهومه الشامل الذي سبقت الإشارة إليه.
وهذا الاهتمام باللغات الأجنبية والإكثار من المبعوثين للاطلاع والبحث العلمي في الدول الأجنبية يساعدان على ترجمة ما يصدر باللغات الأجنبية إلى العربية.
إلا أنه لا بد من العمل على نشر الأبحاث التي تكتب بالعربية بلغة أجنبية في الوقت نفسه، وأن تصدر كتب بالعربية ضمن سلاسل تختص كل سلسلة بعلم معين، وأن تؤلف الكتب الدراسية والمراجع على أن تلاحق طبعتها آخر ما ظهر في التطور العلمي في مجال التأليف.

خامساً- الخلاصة

بلغ العرب في ماضيهم مكانة أذهلت الغربيين بعد أن عربوا علوم الحضارات الأخرى ومعارفها، وأراد الغربيون أن يحتذوا حذو العرب ويقلدوهم وينقلوا علومهم ومعارفهم ويلحقوا بركب حضارتهم، فوجدوا أنفسهم لما طفقوا ينهضون عاجزين عن محاكاة العرب وبلوغ شأوهم

في العلوم والكتابة والبيان ونعرف ذلك من خلال الفقرات التي كتبها شاعر إيطاليا الكبير «بيترارك» في غضون القرن الرابع عشر الميلادي يندد فيها ببني قومه، ويستنهض همهم، ويث في أنفسهم العزيمة والثقة قائلاً: «ماذا؟ لقد استطاع شيشرون أن يكون خطيباً بعد ديموستن، واستطاع فيرجيل أن يكون شاعراً بعد هوميروس، وبعد العرب لا يسمح لأحد بالكتابة، لقد جارينا اليونان غالباً وتجاوزناهم أحياناً وبذلك جارينا وتجاوزنا أغلبية الأمم، وتقولون: إننا لا نستطيع الوصول إلى شأو العرب. يا للجنون! ويا للخبال! بل يا لعبقرية إيطاليا الغافية أو المنطفئة!»^(٢٦).

وإذا كان شاعر إيطاليا يحث بني قومه متأماً للحاق بركب الحضارة العربية فإن المستشرق السوفييتي «كراتشوفسكي» في مدخل كتابه «تاريخ الأدب الجغرافي العربي» يشيد بالمكانة المرموقة التي تحتلها الحضارة العربية في تاريخ البشرية قائلاً: «إن المكانة المرموقة التي تشغلها الحضارة العربية في تاريخ البشرية لأمر مسلم به من الجميع في عصرنا. هذا وقد وضع بجلاء في الخمسين سنة الأخيرة فضل العرب في تطوير جميع تلك العلوم التي اشتقت لأنفسها طرقاً ومسالك جديدة في العصور الوسطى ومازالت حية إلى أيامنا هذه، أعني علوم الفيزياء والكيمياء والرياضيات والبيولوجيا والجيولوجيا. أما فيما يتعلق بالأدب الفني العالمي فإن العرب قد أسهموا فيه بنصيب وافر يمثل جزءاً أساسياً من التراث العام للبشرية، كما امتد تأثيرهم كذلك إلى عدد من المصنفات والفنون الأدبية التي نشأت في بيئات غير عربية»^(٢٧).

وها هي ذي «زغريد هونكه» تقول في كتابها النفيس «شمس العرب تسطع على الغرب: «دب في الطب الغربي فجأة في القرن السادس عشر شعور غريب بالخجل من تقليده للطب العربي، وبقي قروناً طويلة من الزمن نسخة ممسوخة عنه، وكانت معظم المخطوطات الأوروبية الطبية في أول عصر الترجمة وحتى القرن السابع عشر تقليداً للعرب ونقلاً منهم، وقبل ٦٠٠ عام كان لكلية الطب الباريسية أصغر مكتبة في العالم لا تحتوي إلا على مؤلف واحد، وهذا المؤلف كان لعربي هو أبو بكر محمد بن زكريا الرازي»^(٢٨).

إن اللغة تلازم الأحياء الذين يتكلمونها، تقوى بقوتهم وتضعف بضعفهم، وإذا كانت الأمة العربية قوية إبان عصورها الزاهية فإن تلك القوة تجلت في لغتها أيضاً، وهذا ما دفع الأسبان إلى

الإقبال على هذه اللغة بكل حماسة والنهل من ينابيعها في مختلف الميادين، لنستمع إلى الكاتب الإسباني القديم «Alvaro» في القرن التاسع للميلاد يقول: «إن أرباب الفطنة والتذوق سحرهم رنين الأدب العربي فاحتقروا اللاتينية وجعلوا يكتبون بلغة قاهريهم دون غيرها. ولقد ساء ذلك بعض كبار الأسبان فقال: إن أخواني المسيحيين يعجبون بشعر العرب وأقاصيصهم ويدرسون التصانيف التي كتبها الفلاسفة والفقهاء المسلمون، ولا يفعلون ذلك لدحضها والرد عليها، بل لاقتباس الأسلوب العربي الفصيح فأين اليوم من رجال الدين من يقرأ التفاسير الدينية للتوراة والإنجيل؟ وأين اليوم من يقرأ الأناجيل وصحف الرسل والأنبياء؟ وأأسفاه! إن الجيل الناشئ من المسيحيين الأذكياء لا يحسنون أدباً أو لغة غير الأدب العربي، ويجمعون منه المكتبات الكبيرة بأعلى الأثمان، ويتزعمون في كل مكان بالثناء على الذخائر العربية، بينما هم حينما يسمعون بالكتب المسيحية يأنفون من الإصغاء إليها محتجين بأنها شيء لا يستحق منهم مؤونة الالتفات، فيا للأسى!.

إن المسيحيين قد نسوا لغتهم، فلا تكاد تجد فيهم اليوم واحداً في كل ألف يكتب بها خطاباً إلى صديق. أما لغة العرب فما أكثر الذين يحسنون التعبير بها على أحسن أسلوب!»^(٢٩).

ولئن كان العرب في ماضيهم الزاهر قد وصلوا إلى تلك المكانة وسادت لغتهم تلك السيادة فإن عليهم في يومنا هذا أن يكونوا مؤمنين بأصالة لغتهم وأمتهم الممتدة الجذور، عاملين على استمرارية مجدهم التليد بمجد طريف، وأن يتخلصوا من الشعور بالدونية تجاه لغتهم وأمتهم، تلك اللغة التي استرعت اهتمام الباحثين والمستشرقين الأجانب. وها هي ذي الأمة توجه إليها السهام من كل جانب بأساليب مختلفة وأزياء متباينة، ولعلّ من أفدح هذه السهام تنكر الأبناء للغتهم واستبدال اللغة الأجنبية بها في تدريسهم، وقد آن لنا أن نعتبر وأن نتعظ من تجارب الأصدقاء والأعداء، فأعداؤنا الصهاينة أحيوا لغة ميتة منذ ألفي سنة وأعادوها إلى الوجود لتتبوأ مكانتها في الكليات الجامعية وفي مختلف مناحي الحياة، ولغتتنا العربية الضاربة الجذور في مسيرة الحضارة، الصامدة على الكوارث والمؤامرات، الحاوية كلام الله، الموحدة لشملائنا، المعبرة عن فكرنا وتوجهاتنا المستقبلية، والحافظة تراث أمتنا، والغنية في مبانيها ومعانيها، يدعو بعض أبنائها إلى التخلي عنها في التدريس، فهل ثمة مسوغ لهذه الدعوة؟ لنتخذ من مواقف الرواد الأوائل في

التعريب في قرننا الحالي في جامعة دمشق قدوة لنا ومثالاً في قوة الإرادة والهمم، وصدق الإيمان،
ونبل المقصد، وسمو الغاية، ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾ (صدق الله
العظيم).

حواشي الفصل:

- ١- لسان العرب المحيط للعلامة ابن منظور - ج٢- إعداد يوسف الخياط- بيروت ص ٧٢٤.
- ٢- الدكتور عبد الكريم اليافي- دور التعريب في تأصيل الثقافة الذاتية العربية- تعريب التعليم العالي وسياسات الالتحاق به في الوطن العربي- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تونس ١٩٨٤ ص ٨٢.
- ٣- الدكتور محمد المنجي الصبادي- التعريب وتنسيقه في الوطن العربي- مركز دراسات الوحدة العربية- ص ٩٣.
- ٤- الدكتور سلطان الشاوي- الصعوبات التي تواجه تعريب التعليم العالي في الوطن العربي- تعريب التعليم العالي- وسياسات الالتحاق به في الوطن العربي- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم -تونس ١٩٨٤ ص ٩٤.
- ٥- الدكتور محي الدين صابر- محاضرة بعنوان «التعريب والمعاصرة التكنولوجية» ص ٤، بحث «الأبعاد الحضارية للتعريب» منشور في كتابه «قضايا الثقافة العربية المعاصرة» الدار العربية للكتاب تونس ١٩٨٢، ص ٨٥.
- ٦- الدكتور محي الدين صابر- قضايا الثقافة العربية المعاصرة- مرجع سابق ص ٩٢.
- ٧- المرجع السابق ص ٨٦ و ص ٤٩.
- ٨- المرجع السابق ص ٨٦ و ص ٤٩.
- ٩- الأمير مصطفى الشهابي- المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القدام والحديث -مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، الطبعة الثانية ١٩٦٥ ص ٤٤.
- ١٠- المرجع السابق ص ٤٩.
- ١١- الأستاذ سعيد الأفغاني- حاضر اللغة العربية في الشام- معهد الدراسات العربية العالية- جامعة الدول العربية ١٩٦٢ ص ٦٤-٦٥.
- ١٢- مصطفى الشهابي ١٩٦٥ ص ٢ مرجع سابق.
- ١٣- الدكتور شكري فيصل- تعريب التعليم العالي والجامعي في ربع القرن الأخير- ندوة الرباط- اتحاد المجمع اللغوية العلمية العربية -١٩٨٥ ص ١٤٤ و ١٤٥.
- ١٤- الدكتور مرشد خاطر والدكتور أحمد حمدي الخياط- معجم العلوم الطبية- وزارة التعليم العالي- مطبعة دمشق، ج ١ عام ١٩٧٤.
- ١٥- الدكتور محمد هيثم الخياط- تعريب التعليم العالي والجامعي في ربع القرن الأخير- ندوة الرباط ١٩٨٥ اتحاد المجمع اللغوية العلمية العربية.
- ١٦- مجلس وزراء الصحة العرب، منظمة الصحة العالمية، اتحاد الأطباء العرب، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المعجم الطبي الموحد- إنجليزي- عربي- فرنسي- ط ٣، ١٩٨٣.
- ١٧- الأمير مصطفى الشهابي- مصطلحات جيولوجية- مجلة المجمع العربي ١ تموز ١٩٥٠ المجلد ٢٥ ص ٣٤٩.
- ١٨- الأمير مصطفى الشهابي- جملة من المصطلحات النباتية- الجزء الأول المجلد ٢٦، ١ كانون الثاني ١٩٥٦، ص ٢٧.
- ١٩- المرجع السابق، ص ٢٧ و ص ٢٨.
- ٢٠- المرجع السابق، ص ٢٧ و ص ٢٨.
- ٢١- الدكتور جميل صليبا- الاصطلاحات الفلسفية- مجلة المجمع العلمي العربي الجزء الأول المجلد ٣٢ سنة ١٩٥٧

- ص ١٧٥.
- ٢٢- الدكتور شاكِر الفحام- قضية المصطلح العلمي في نطاق تعريب التعليم العالي- مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد ٥٩ الجزء الرابع ١٩٨٥ ص ٦٩٢.
- ٢٣- شحادة الخوري- تعريب التعليم العالي وصلته بالترجمة والمصطلح- تعريب التعليم العالي وسياسات الالتحاق به في الوطن العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم- تونس ١٩٨٤ ص ١٣٢.
- ٢٤- سعيد الأفغاني- حاضر اللغة العربية في الشام- مرجع سابق ص ٢.
- ٢٥- المرجع السابق ص ١٤٣- الدكتور شوكت الشطي- كتاب الطب في سورية «تاريخ الطب» مطبعة جامعة دمشق ١٩٦٠ ص ٧٥.
- ٢٦- الدكتور عبد الكريم اليافي، المرجع الثاني ص ٨٥. وذكر النص غاستون بوتول في التوطئة لترجمة دوسلان مقدمة ابن خلدون إلى الفرنسية.
- ٢٧- المرجع السابق، ص ٩٢.
- ٢٨- الدكتور محمود فوزي حمد- اتّخاذ العربية لغة لتدريس العلوم في التعليم العالي - مجلة اللسان العربي، العدد ٢٤ عام ١٩٨٤ و ١٩٨٥ ص ٧٥.
- ٢٩- مولود قاسم نايت بلقاسم- إنية وأصالة- مطبعة البعث- الجزائر- وزارة التعليم الأهلي والشؤون الدينية ١٩٧٥ ص ٨٧.

الفصل الرابع

من معوّقات التعريب في الوطن العربي وسبل تذليلها

محتويات الفصل:

أولاً- أهمية اللغة الأم

ثانياً- من معوّقات التعريب.

- ١- اعتماد نفر من أبناء الأمة لحجج أعدائها.
- ٢- التلكؤ في إصدار القرار السياسي.
- ٣- التشتت وغياب المنهجية في وضع المصطلحات.
- ٤- الضعف في اللغتين العربية والأجنبية.
- ٥- القصور في توظيف التقنية.
- ٦- غياب المتابعة الجدية.
- ٧- ضعف الترجمة من العربية وإليها.
- ٨- غياب التخطيط اللغوي.
- ٩- فتور الانتماء.

ثالثاً- من سبل تذليل المعوّقات

- ١- حسم موضوع التعريب بإصدار القرار السياسي اللازم.
- ٢- وضع خطة لغوية للتمكين للغة العربية والحفاظ عليها والاهتمام بإتقانها والارتقاء بها.
- ٣- سرعة البت في وضع البديل باللغة العربية للمصطلحات الأجنبية.
- ٤- إقامة دورات مكثفة للعاملين على الأرض العربية من أبناء الناطقين بغير العربية.
- ٥- تفعيل الترجمة إلى اللغة العربية ومنها إلى اللغات الأخرى.
- ٦- إعداد المدرسين الأكفاء.
- ٧- وضع مساق «وضع المصطلحات وتوليدها».
- ٨- وضع مساق خاص بالترجمة.

الفصل الرابع

من معوّقات التعريب في الوطن العربي وسبل تذليلها

نحاول في هذا البحث الموجز أن نقف على أهمية إعداد اللغة القومية الأم في حياة الأمة، ثم نسلط الأضواء على معوّقات التعريب في الوطن العربي، ونبين أخيراً سبل تذليل هذه المعوّقات.

أولاً . أهمية اللغة الأم

طالما تغنى المفكرون والفلاسفة كل منهم بلغته الأم، فهذا هو ذا الفيلسوف الفرنسي باسكال يقول: «إن وطني هو اللغة الفرنسية»، وكان ديغول معجباً بهذا القول ويرى فيه أمانة على الانتماء وعلى الشخصية الفرنسية والذاتية الثقافية وهوية الأمة الفرنسية.

وها هو ذا: «هيدجر» الألماني يقول: «إن لغتي هي مسكني، هي موطني ومستقري، هي حدود عالمي الحميم وعالمه وتضاريسه، ومن نوافذها وبعيونها أنظر إلى بقية أرجاء الكون الفسيح».

ويرى شاعر صقلية الإسباني «أخبازيوبوتنيا»: «أن الشعوب يمكن أن تكبل بالسلاسل، وتسد أفواهها، وتشرذ من بيوتها، وتظل مع ذلك غنية، فالشعب يفتقر ويستعبد عندما يسلب اللسان الذي تركه له الأجداد، وعندئذ يضيع إلى الأبد».

ويتغنى رسول حمزاتوف في كتابه «داغستان بلدي» بلغته الأم قائلاً: «إيه يا لغتي الأم، لا أدري إن كنت راضية عني، إنما أنا أحيا بك، وبك أعتز، وكما يندفع ماء الينبوع من الأعماق المعتمة إلى النور حيث الخضرة، كذلك كلمات لغتنا الأم تتدافع من قلبي إلى لساني لتهمسك شفتاي وأنا أنصت إلى همسي، أنصت إليك يا لغتي الأم، فيبدو لي أن نحرّاً جبلياً يهدر في مضيق شاقاً طريقه. أحب هدير الماء، وأحب رنين الفولاذ الدمشقي حين يلتقي خنجران استلا من غمديهما، كل هذا موجود في لغتي، كما أحب أيضاً همسات الحب».

ويؤكد حمزاتوف أنه يجب أن نحافظ على لغتنا حفاظنا على تراب وطننا، كما أن القائد الفيتنامي «هوشي مينة» ينصح أبناء أمتة قائلاً: «حافظوا على صفاء لغتكم حفاظكم على صفاء عيونكم، حذارٍ من أن تضعوا كلمة أجنبية في مكان بإمكانكم أن تضعوا فيه كلمة فيتنامية».

وترجع أهمية اللغة الأم بالنسبة إلى أي شخصية قومية إلى أمرين أساسيين أولهما أنها عنوان على أنها أحد ملامح الشخصية الرئيسة التي تعرف بها بين الآخرين، وثانيهما أنها النافذة التي تطل فيها الشخصية على تاريخها وحضارتها وقيمها وثقافتها.

ولهذا إذا تخلت أمة عن لغتها، أو سمحت للضعف أو العبث أن يشوه صورتها ويهز حقيقتها، فإنها سائرة إلى الاضمحلال والزوال لا محالة، فلا يتصور أحد مثلاً أن يكون الإنجليز بغير اللغة الإنجليزية، ولا أن يكون الفرنسيون بلغة تمتزج فيها الإنجليزية بالفرنسية، ومن باب أولى لا يتصور أحد أن يترك الألمان لغتهم للضعف. «وليس الأمر مقتصرًا على الإنجليز والفرنسيين والألمان، وإنما هو شأن كل الأمم التي تحترم شخصيتها، وتحرص على مقوماتها، فلا تكاد نعرف أمة ذات شأن وتاريخ تترخص في أمر لغتها بالسماح بإشاعة الضعف فيها أو العبث بها، فضلاً عن إهمالها والتخلي عنها، واصطناع لغة أجنبية أخرى مهما تك هذه اللغة من القوة والانتشار، ومهما كان أهلها من التقدم والتحضر والتفوق»^(١).

وإن لغتنا العربية الفصيحة الأم تأتي في الصدارة من المقومات المعنوية المميزة والمحددة للشخصية العربية، وتمثل أهم مقومات هذه الشخصية، وعليها يبنى الطابع الذي يميزنا نحن العرب، شأننا في ذلك شأن كل الأمم الأخرى.

وإذا كانت اللغة في الصدارة من المقومات المعنوية لأي شخصية قومية، فالألمة اللسان المعبر عن كل ما عداه من المقومات الأخرى، فهي التي تسجل تاريخ الشخصية القومية، وتحدث بحضارتها، وتعبر بأدبها وتراثها عن قيمها وحركة عقلها ونبض قلبها، وهي وسيلة التواصل الفكري والروحي بين أبناء الأمة من جهة، ووسيلة تعرفهم حين يعبرون عن أنفسهم من جهة أخرى.

وتجدر الإشارة إلى أن ثمة فرقاً بين لغة الأم واللغة الأم، فقد تكون لغة الأم اللهجة العامية أو لغة شريحة نسبتها ضئيلة في المجتمع. أما اللغة الأم فهي اللغة الموحدة لأبناء المجتمع كافة، فهي اللغة القومية المعبرة عن ذاتية الأمة وعمقها الحضاري، وهي بالنسبة إلينا اللغة العربية، رمز كياننا القومي وعنوان شخصيتنا العربية ومستودع تراث أمتنا، وبطريقتها يتعرف الأبناء والأحفاد ما خلفه لهم الآباء والأجداد في مختلف ميادين المعرفة، فيزدادون اعتزازاً بحضارة أمتهم وتقديراً لأسلافهم، وما أسهموا به في مسيرة الحضارة البشرية، فتكون معرفة الماضي عامل حفزٍ لهم إلى الأمام. وليست وحدة اللغة ترفاً من الترف، ولا نزعة من النزعات العابرة، وليست تقديراً للماضي، ولا إكباراً له، ولكنها حرز للمستقبل أيضاً.

وما أجمل قول أستاذنا المرحوم الدكتور شكري فيصل في تأكيده أهمية اللغة العربية في وحدتنا القومية إذ يقول: «إن اللغة ليست شفاهاً تتحرك، ولا أصواتاً تلقى، وإنما هي روح تصنع الأفكار، وتصنع لها كذلك أوعيتها وتلونها بها.. إن الجانب الفكري في اللغة هو جانبها المثمر، فاللغة هي التي تشكل عقولنا، وهي التي تنشئ عندنا مفاهيمنا، وهي التي تصنع سلوكنا، ثم هي التي تخلق وحدتنا: إنسانيين كنا أو قوميين، مؤمنين أو ملحدين، مجتدين منتصرين للحديث أو مقلدين حريصين على القديم، محافظين أو ثوريين، غربيين أو شرقيين، عقليين أو عاطفيين، براجمائين واقعيين أو مثاليين، جهويين أو وطنيين، أيأ كنت أنت أو كنت أنا، أو كنتم أنتم أو نحن، فإن وحدة اللغة فيما بيننا، وما تسوق إليه هذه الوحدة بالضرورة، وتحذيرها، هو طريق تأصيل وجودنا وعودة الروح إليه بعد كل الذي أصاب هذا الوجود من جهالة أو تجهيل، ومن تشقق وتصدع!».

ونسأل بعد هذا كله: ما دامت هذه الأهمية للغة الأم في وحدة الأمة فضلاً عن أهميتها الدينية والاجتماعية والتربوية وفي مجال الإبداع والابتكار، فلم لم تسد على نطاق الساحة القومية؟ ولم بقي التعريب متعشراً؟ هذا ما سنعرض له في القسم الثاني من هذا البحث.

ثانياً . من معوّقات التعريب

ثمة معوقات عديدة للتعريب، وتتمثل هذه المعوّقات في تبني نفر من أبناء الأمة ومن مثقفها حجج أعدائها في عدم صلاحية اللغة العربية للتفجر المعرفي وعدم تمكنها من مواكبة روح العصر، عصر العلم والتقانة «التكنولوجيا»، كما تتمثل في التلكؤ في إصدار القرار السياسي في الدول العربية والفجوة بين ما تنص عليه دساتير هذه الدول وما يطبق على أرض الواقع، وفتور الانتماء تجاه اللغة الأم، والتشتت وغياب المنهجية في استعمال المصطلحات، وقلة التنسيق بين الجهات المعنية بوضع المصطلحات، وضعف نسبة الترجمة من العربية وإليها، والضعف في اللغتين العربية والأجنبية، والقصور في توظيف التقانة لخدمة العربية، وغياب المتابعة الجدية لتنفيذ توصيات مؤتمرات التعريب، وغياب التخطيط اللغوي، وفيما يلي تبيان لهذه المعوّقات:

١. اعتماد نفر من أبناء الأمة لحجج أعدائها:

غني عن البيان أن جماعة الاتحاد والترقي في أثناء الاحتلال العثماني لبلادنا العربية حاولوا فرض اللغة التركية مكان اللغة العربية اعتماداً على سياسة التتريك التي انتهجوها وشقت طريقها إلى العملية التعليمية التعليمية وإلى سائر قطاعات المجتمع، وما أن تحرر العرب من الاستبداد التركي حتى عاد للغة العربية ألقها بفضل جهود رجالات التعريب الأوائل، ولكنها ما لبثت أن تعرضت مجدداً للإقصاء في أثناء الانتداب الفرنسي في سورية والبريطاني في مصر.

وبعد أن حصلت بلادنا العربية على استقلالها، وتحررت من الاستعمار الغربي، وأخفق أعداء الأمة في فرض لغاتهم في أثناء احتلالهم للوطن العربي، راحوا يصمون لغتنا العربية بالتخلف وعدم مواكبة روح العصر، عصر العلم والتقانة «التكنولوجيا»، وأنه إذا أراد أبناء العربية اللحاق بركب العصر فما عليهم إلا أن يهجروا اللغة الفصيحة، ويعتمدوا العامية، ويكتبوا بالأحرف اللاتينية، ذلك لأن العامية عامل تفريق بين أبناء الأمة في حين أن الفصيحة عامل توحيد، ومن جهة أخرى راحوا يروجون للغتهم الأجنبية على أنها سبيل التقدم والارتقاء، ولغة

الحضارة المعاصرة والعلم والتقانة «التكنولوجيا»، وهي لغة الشبابة «الانترنت» في الأعم الأغلب، إذ إن أغلب البحوث العلمية ومواقع الشبابة باللغة الإنجليزية، فهي اللغة العالمية التي لا بدّ لأبناء الشعوب الأخرى أن يعتمدوها في تعلمهم وبحثهم وشؤون حياتهم حتى يواكبوا روح العصر!

وإذا كان لأعداء الأمة غايات بعيدة يرومون من ورائها إبعاد لغتنا العربية الموحّدة والموحّدة عن الحياة لأنها اللغة القومية ولغة القرآن الكريم الذي حافظ على هذه اللغة من الضياع، وصانها من الاضمحلال والزوال على الرغم من الكوارث التي اجتاحت الأمة والنكبات التي ألمت بها، فإن من المؤلم حقاً أن يردد نفر من أبناء الأمة القيمين على بعض المؤسسات التعليمية الدعوات التي دعا إليها الاستعمار من قبل وأرباب العولمة حالياً، فينفذون بأيديهم ما عجز الاستعمار عن تنفيذه، فإذا هم بصنيعهم هذا يبعدون اللغة العربية عن التعليم الجامعي في الكليات العلمية وحتى في كليات العلوم الإنسانية، ونزولاً إلى مرحلة التعليم ما قبل الجامعي، وحتى رياض الأطفال.

ويتساءل أحدنا: لم يُصغي نفر من أبناء أمتنا إلى دعوات يروج لها أجنب في أن لغة العلم حالياً هي اللغة الإنجليزية، وأن التعليم بها في المدارس والجامعات الرسمية والخاصة هو الحل لمجاعة عصر العولمة والالتحاق بركب التقدم والارتقاء متناسين أن التعليم باللغة الأم إنما هو الأساس للتقدم على مختلف الصعد تربوياً وثقافياً واقتصادياً وإبداعاً وابتكاراً و«أن المجتمع الذي لا ينجز نهضته في بلده بلغته الأم لا يتفاعل مع العولمة، ولا يجاري التطور في الاقتصاد والعلوم والفنون يبقى على هامش الحضارة الإنسانية ولا يسهم فيها، بل أكثر من ذلك يحجب التطور عن لغته ذاتها ما دامت بعيدة عن الاستخدام في المجالات الدينامية المتطورة والمتغيرة باستمرار مثل العلوم والفنون والاقتصاد»^(٢).

٢. التلكؤ في إصدار القرار السياسي:

إذا كانت دساتير الدول العربية تنص على أن اللغة الرسمية للدولة هي العربية فإننا نلاحظ أن ثمة هوة بين ما تنص عليه الدساتير وما يطبق على أرض الواقع، وإذا كنا نحمل أعداء أمتنا مسؤولية تغييب لغتنا من قبل فإن المسؤولين في أمتنا مسؤولون أضعاف ما يتحمله الأعداء من مسؤولية، إذ إنهم لم يصدرُوا القرار السياسي الحاسم ويضعُوا حداً لهذا التسبب اللغوي والخروج على دستور الدولة، فهذا هي ذي اللافتات والإعلانات تزخر بالكلمات الأجنبية، وهذا هو ذا المثقف يطعم كلامه بالمفردات الأجنبية دلالة على ثقافته العصرية، وهذا هي ذي الشركات على الأرض العربية تعلن عن حاجتها إلى موظفين يتقنون اللغة الأجنبية، وهذا هي ذي المعاملات والمراسلات في المطارات والمصارف تستخدم الأجنبية، وهذا هي ذي الأم في الطبقات الحضرية تخاطب أولادها باللسان الأجنبي، وترك تربيتهم للخدمات اللواتي لا يعرفن العربية.

ونلاحظ في الوقت نفسه أن العاملين والعاملات في دول الخليج العربي ومن جنسيات مختلفة ليسوا في حاجة إلى أن يتعلموا العربية لأنهم يقضون حاجاتهم، وينفذون متطلباتهم باستعمال الأجنبية مع أبناء العربية الذين تنازلوا عن لغتهم القومية ليتحدثوا مع هؤلاء بلسانهم أو بلسان أجنبي آخر، كما نلاحظ أن المؤتمرات العلمية التي تعقد في منطقتنا العربية تستخدم أحياناً اللغة الأجنبية على الرغم من أنها تعالج موضوعات عربية، كما أن ممثلينا في المحافل الدولية يستخدمون اللغة الأجنبية في مداخلاتهم ومناقشاتهم وإلقاء كلماتهم على الرغم من أن لغتهم العربية معتمدة بين اللغات العالمية في الأمم المتحدة والمنظمات التابعة لها، ونسأل أنفسنا: كيف نطلب من الآخرين أن يحترمونا، ونحن لم نحترم أنفسنا وهويتنا ولغتنا المعبرة عن ذاتيتنا الثقافية وأصالة أمتنا^(٣).

ومن يلق نظرة على واقع التعريب في العملية التعليمية التعليمية في أمتنا العربية يجد أنه موضوع قديم جديد، طرح في أمتنا خلال قرن كامل، وما يزال مطروحاً حتى هذه الساعة، في الوقت الذي حسمته أمم أخرى، عندما اعتمدت لغتها الأم في شؤون حياتها، ولم تكن للغاتها عراقلة لغتنا العربية في مسيرة الحضارة البشرية، فهذا هي ذي كوريا وفيتنام ورومانيا وبلغاريا وفنلندا واليونان... الخ تدرس بلغتها الوطنية في الوقت الذي نجد فيه على نطاق الساحة القومية أنه لا يوجد قرار تعريب جدي ولا قرار مضاد، وهذا الإهمال يعني في الحقيقة استمرار التخلف والتبعية

والأمية، ذلك لأن كل قرار يستهدف التقدم والتطور يتساوى منطقياً مع قرار التعريب، فمضمون القرارين واحد يتمثل في سياسة قومية تخطط لمستقبل عربي، ولن يتم إصلاح في حال غياب سلطة لها نفوذ على الصعيد القومي «ولن تجرؤ السلطات الخاضعة لمنطق الإقليمية على تبني الإصلاح لأنها تعتمد الازدواجية السياسية، فهي تحافظ في دساتيرها على اعتماد العربية الفصيحة لتكسب قدراً من الشرعية أمام جماهيرها، وتفسح في المجال لنشر لسان أجنبي لتحقيق قدر من التحديث أمام الآخرين، وتترك الحرية للهجات العامية لتضمن قدراً من الاستقلال الداخلي على حدّ تعبير الباحث المغربي عبد الله العروي»^(٤).

وهكذا يتبدى لنا موضوع التعريب متمثلاً في «عدم اتخاذ القرار السياسي الحاسم لاعتماد العربية وتبنيها في العملية التعليمية التعلمية في الجامعات والمعاهد والمدارس وبقاء الأمور معلقة، واستمرار التخلف والتبعية، وعدم استنبات العلم عربياً، وتسبب لغوي قومي، وشعور بالتصاغر والتكابر، التصاغر تجاه الثقافة الأجنبية، والتكابر تجاه ثقافتنا القومية وتراثها الحضاري»^(٥).

وتجدر الإشارة إلى أن قضية التعريب ليست قضية لغوية فقط، وإنما هي قضية سياسية تفرض تحدياً قوياً على الأمة العربية، وخياراً بين البقاء في حالة من التبعية أو النهوض بالحضارة العلمية العربية من جديد لتمكن الأمة العربية من مجابهة تحديات العصر العلمية، ذلك لأن التعريب يجب أن يؤدي إلى توطين العلم وتعريب الفكر والذهنية تفتحاً للمواهب، ومساعدة على الابتكار.

٣. التشتت وغياب المنهجية في وضع المصطلحات:

من يلق نظرة على واقع وضع المصطلحات في ثقافتنا العربية المعاصرة يجد أن ثمة بلبلة واضطراباً في وضع هذه المصطلحات، فثمة ميل إلى استعمال الألفاظ المترادفة للدلالة على المعنى الواحد، أو ميل إلى استعمال اللفظ الواحد للدلالة على المعاني المختلفة، فترجمة كلمة Deduction تارة بالاستدلال وأخرى بالاستنتاج أو بالاستنباط، وترجمت كلمة «موبايل» تارة بالجوال، وتارة بالنقال، وتارة بالخلوي، وتارة بالجوّاب، وتارة بالمحمول. أما اللفظ الواحد الدال على المعاني المختلفة فنجد كلمات

«Intelligence» و«Raison» و«Bon Sens» كلها ترجمت بكلمة «عقل»، وبعضهم يترجم كلمة «Intuition» بكلمة «حدس»، ويترجمها الآخر بالبداهة أو الانتباه أو الاستبصار، وكذلك كلمة «Conscience» فقد ترجمها بعضهم بالشعور، وبعضهم الآخر بالوعي أو الوجدان أو الضمير.

ويرى بعض الدارسين المعاصرين أن ثمة نقصاً في دقة التعبير عن المصطلحات الأجنبية الموضوعية باللغة العربية، ومن مظاهر نقص الدقة، التعبير عن عدة مصطلحات أجنبية بمصطلح عربي أو لفظ عربي واحد، فقد ترجم المصطلحات «Essence» و«Substance» بمصطلح عربي واحد هو جوهر، علماً بأن الأول يعني المادة لا الجوهر.

ومن مظاهر نقص الدقة في المصطلح العلمي عدم التوافق بين المصطلح وما يراد له من مدلول، فتوليد «مصعقة» في مقابل المصطلح الأجنبي «Paratonnerre» وهو اسم آلة من صعق للجهاز الذي يستقبل الصاعقة ويدراً خطرهما وأذاها غير دقيق، وسماها آخرون «مانعة صواعق»، والأدق أن تسمى «واقية صواعق» لأن هذا الجهاز لا يصعق ولا يمنع الصاعقة، وإنما يجذبها ويذهب بمفعولها، فهو يقي منها. أما المصعقة فهي تفيد عكس ذلك»^(٦).

ولقد أدى الاختلاف في ترجمة المصطلحات والتباين في استخدامها إلى ضروب من التشتت في المعاهد والجامعات والكليات والأقسام، كما أن لغياب المنهجية وجهاً آخر من وجوه تشتت الجهد أو سبب فيه.

وتتبدى الحاجة إلى المنهجية حين تواجه هذا الاختلاف بين اللغات الأجنبية في التعبير عن المصطلح الواحد، كما تتبدى حين يصطرع النقل والتعريب والمجاز والوضع والنحت.

ومن الأمور التي أدت إلى اختلاف الوضع في المصطلحات أيضاً: «أن المبعوثين في الخارج عملوا بعد عودتهم والتحاقهم بالجامعة، ومنهم من تخرج في جامعات شرقية، ومنهم من تخرج في جامعات غربية، عمل كل منهم على وضع بعض المصطلحات الخاصة به، وقد يعتمد إلى تغييرها بعد ذلك، وإذا كان الشخص الواحد لا يتقيد هو نفسه بالمصطلحات التي اختارها فما بالك بالمتترجمين الآخرين الذين قد يوافقونه على اختياره أو يخالفونه ويخالفون أنفسهم؟ وإذا كانت

معاني المصطلحات تختلف باختلاف القائل والسامع فكيف تتضح وتفهم؟ مع الأخذ بالحسبان أن الألفاظ حصون المعاني وتثبيت المصطلحات العلمية هو الحجر الأساسي في بناء العلم»^(٧).

وإذا أضفنا إلى التشتت وغياب المنهجية في وضع المصطلحات عدم التنسيق بين الجهات العاملة في وضعها حتى في الجامعة الواحدة أدركنا الخطر الذي يسببه هذا المعوق في عملية التعريب على نطاق الساحة القومية.

٤. الضعف في اللغتين العربية والأجنبية:

إذا كانت ركائز التعريب في العملية التعليمية التعلمية تقوم على التمكن من مادة الاختصاص والتمكن من اللغتين العربية والأجنبية فمن الملاحظ أن ثمة ضعفاً في إتقان اللغتين العربية والأجنبية لدى المدرسين والدارسين في الوقت نفسه، وأن ثمة شكوى من تدني مستوى الأداء اللغوي لدى الجانبين، وهذا الضعف هو عائق يحول دون الارتقاء بالتعريب في الجامعات العربية.

٥. القصور في توظيف التقنية:

إن العصر الذي نحيا تحت ظلاله إنما هو عصر العلم والتقانة «التكنولوجيا»، ولقد عملت الدول المتقدمة على توظيف التقنية في جميع شؤون حياتها في الوقت الذي نلاحظ فيه أن الدول النامية ما تزال تحبو في هذا المجال، وإذا كانت ثورة المعلوماتية قد جعلت القوة في يد الأمم العارفة فإن مجتمعنا العربي ما تزال الفجوة بينه وبين مجتمع المعرفة واسعة، وما يزال يسعى للتوجه نحو مجتمع المعرفة. وثمة نقص كبير في البرامج التربوية اللغوية على الشبكة «الانترنت»، ويتمثل هذا القصور في برامج تعليم اللغة العربية لأبنائها وغير الناطقين بها، وفي برامج التعلم الذاتي وتأهيل معلمي اللغة العربية وتدريبهم، والترجمة الآلية والمعجمات... إلخ، إضافة إلى النقص في توفر قاعدة معلومات عن الكتاب العلمي العربي.

ومن التحديات التي تواجهها اللغة العربية في ميدان المعلوماتية واستخدامها على الشبكة «الانترنت» تعدد مواصفات محارفها، إذ إن اللغة العربية تأتي في المرتبة الخامسة في العالم من

حيث عدد المتكلمين بها، فهي تحيء قبل الفرنسية والألمانية واليابانية والإيطالية، ومع ذلك فقد اعتمدت مواصفات محارف هذه اللغات، وفرضت رسمياً، ولم يتحقق ذلك عربياً، وهذه الحال هي نفسها في كل المواصفات الأخرى لاستعمال اللغة العربية في جميع التطبيقات المكتوبة والمحلية^(٨).

وإن تعدد المواصفات يؤدي إلى إشكالات في الشبابة «الانترنت» وفي البحث في قواعد المعطيات وفي الإعلام، ويسبب العديد من الإشكالات في مجالات تعرف الحروف العربية، ولدى المدقق الإملائي، والمدقق الصرفي، والمدقق النحوي، وفي التحليل والتركيب، وتوليد النص الآلي، والترجمة بين اللغات، وتعرف الكلام وتركيبه، والفهم الآلي للنص^(٩).

وتدل الإحصاءات على أن نسبة مستخدمي الشبابة من العرب لا تزيد على ١.٤% وإن معظم هؤلاء المستخدمين العرب للشبابة يتعاملون مع مواقع غير عربية وخاصة إنجليزية وفرنسية، كما أن نسبة ما هو متوفر على الشبابة بالعربية لا تزيد على ١%، وبعضه كتب بالعامية في الأعم الأغلب، ويقوم بعض الشبان حالياً بكتابة اللغة العربية بأحرف لاتينية على مواقع الشبابة، بعد أن طوروا حروفاً و أرقاماً لاتينية تقابل حروف العربية من غير حاجة إلى استخدام الحركات، وما ذلك إلا مظهر من مظاهر الشعور لديهم بأن الحروف اللاتينية أرفع من حروف لغتهم الأم، وما علموا أن هذا السلوك يؤدي إلى تغييب لغتهم، وفقدان هويتهم^{(١٠)!!!}

٦. غياب المتابعة الجدية:

ما أكثر المؤتمرات والندوات التي عقدت على نطاق الساحة القومية لمعالجة قضايا التعريب! وما أكثر التوصيات والمقترحات التي خلصت إليها تلك المؤتمرات والندوات! وما أقل ما نفذ منها!

ويرجع السبب في عدم التنفيذ إلى عدم المتابعة الجدية، إذ ما إن ينتهي المؤتمر من أعماله حتى تتعرض تلك التوصيات إلى الإهمال من الجهات المنفذة، ولا لجان للمتابعة، ولا مسؤولية على من لم يتم بالتنفيذ، وتبقى الأمور معلقة، وتتوالى المؤتمرات لينطلق بعضها من الصفر

متحدثاً عن أهمية التعريب من دون الالتفات إلى التوصيات، وتعرف ما نفذ منها وما لم ينفذ، وتعرف الأسباب والمعوقات التي حالت دون التنفيذ.

كما أن المؤتمرات التي تعقدها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، والتوصيات التي تنتهي إليها ليست ملزمة للدول الأعضاء ويا للأسف! ولكم نتمنى أن يكون لها صفة الإلزام ما دامت هادفة إلى خدمة الأمة والحفاظ على شخصيتها وهويتها وذاتيتها الثقافية متمثلة في لغتها.

٧. ضعف الترجمة من العربية وإليها:

إذا كانت أمتنا العربية قد عُنيَت بالترجمة إبان ألقها الحضاري في العصر العباسي، فترجمت عن الثقافات المختلفة من يونانية وفارسية وهندية... الخ، وكانت ثمة مكافآت مجزية للمترجمين فإن أمتنا في حياتنا المعاصرة مقصورةً أيما تقصير في نقل تراثها المشرق إلى الآخرين، وتعريف أبناء المجتمعات الأخرى بقيمة هذا التراث وغناه في مختلف ميادين المعرفة، كما أن ما ينقل إلى اللغة العربية من الثقافات الأخرى محدود جداً، وتدل الإحصاءات على أن نسبة ما يترجم إلى العربية خلال عقود لا يعادل إلا جزءاً يسيراً مما تترجمه دولة كالليونان أو إسبانيا في عام واحد.

٨. غياب التخطيط اللغوي:

تعمل الأمم الحية على وضع سياسة لغوية للحافظ على لغتها والعمل على سيرورتها وانتشارها في بلادها وفي خارجها، كما تعمل على وضع خطة لغوية في ضوء تلك السياسة، وتحرص على أن يقوم أبناء المجتمع بالالتزام بتلك الخطة ما دامت اللغة مؤسسة اجتماعية إنسانية.

ولقد التزمت سورية العربية لغتها القومية في العملية التعليمية التعلمية منذ أن حصلت على استقلالها، وحتى إبان الانتداب الفرنسي، على الرغم من كل محاولات التضييق والتهميش التي تعرضت لها العربية إبان ذلك الانتداب، وظلت حريصة على العناية بلغتها فأصدرت

القوانين في الخمسينيات من القرن الماضي والبلاغات في السبعينيات والثمانينيات والقرارات الرامية إلى تعزيز اللغة العربية في جميع مناحي الحياة، ثم أصدر السيّد الرئيس بشار الأسد في عام ٢٠٠٧ قراراً بناءً على أحكام المرسوم التشريعي رقم ٢٥/ لعام ١٩٧١ يقضي بتشكيل لجنة مهمتها إنجاز خطة عمل وطنية للتمكين للغة العربية والحفاظ عليها والاهتمام بإتقانها، والارتقاء بها، ومتابعة خطوات التنفيذ بالتعاون مع الجهات المعنية.

وقامت اللجنة المشكلة بوضع الخطة، وتتابع تنفيذها مع الجهات المعنية، وحبذا لو تستأنس الدول العربية بتلك الخطة، وحبذا لو تضع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم خطة قومية للنهوض باللغة العربية على أن تستأنس بها الدول الأعضاء في وضع خططها الوطنية أيضاً.

٩. فتور الانتماء:

من معوّقات التعريب فتور الانتماء، إذ إن المعتز بلغته الأم لا يرضى بديلاً عنها في شؤون حياته كافة، وعلى أرضه، وتراب وطنه، فكيف إذا كانت لغته الأم هي اللغة العربية ذات العمق الحضاري في مسيرة الحضارة البشرية؟ وما هو ذا الكيان الإسرائيلي يقيم كيانه على إحياء اللغة العبرية، إذ كانت لأغلبية المهاجرين اليهود إلى أرض فلسطين لغة في ألمانيا والنمسا وروسيا وبولونيا وأوروبا الشرقية عامة، وكانت لهذه اللغة آدابها، ولكنهم تركوها وآدابها ليحيوا لغة أخرى مانت عملياً منذ ألفي سنة ألا وهي العبرية، وأين اللغة العبرية من العربية؟

لقد أعاد الكيان الإسرائيلي الحياة إلى لغته الميتة في تعليمه الرسمي والخاص وفي جميع شؤون حياته، وما هي ذي جامعاتها تدرس باللغة العبرية، وسمت الجامعة الأولى لديها الجامعة العبرية وليس اليهودية أو الإسرائيلية نسبة إلى اللغة والثقافة التي تريد إحياءها، ولا توجد في إسرائيل مدرسة واحدة تدرس بغير العبرية كما يقول الدكتور عزمي بشارة، ويشير إلى أن خبراء التخطيط الأمريكي أنفسهم يمتدحون التجربة الإسرائيلية في التعليم أمام مستمعهم العرب في الوقت الذي يشجعون فيه العرب على الانتقال إلى التدريس بالإنجليزية^(١).

ولقد أكد المفكر الإيطالي «ليلوباسوا»: «أن من اجتشت منه لغته اجتشت منه الحياة، وعد كائناً منسياً غير مشخص، ضائعاً وسط جموع من كائنات منسية أيضاً وغير مشخصة، مسخراً لأشخاص لا يعرفهم، ونهباً لأحداث لا رقابة له عليها، ولقرارات لا يشارك فيها»^(١٢).

إلا أن الاعتزاز باللغة الأم والحفاظ عليها لا يعنيان الجمود والانغلاق، ونحن في عصر العولمة وانفتاح المجتمعات والثقافات بعضها على بعضها الآخر، إذ لا بدّ من تعلم اللغات الأجنبية وخاصة الإنجليزية إلى جانب الاعتزاز باللغة القومية وإتقانها.

ثالثاً. سبل تذليل المعوّقات

ما دامت المعوّقات التي تحول دون التعريب قد أصبحت معروفة في الأعم الأغلب، كان التركيز على تذليل هذه المعوّقات هو السبيل إلى تجاوزها، ويتمثل هذا التذليل في:

١. حسم موضوع التعريب بإصدار القرار السياسي اللازم:

والعمل على تطبيق ما تنص عليه دساتير الدول العربية من حيث إن اللغة الرسمية هي اللغة العربية في جميع مرافق الحياة تعليمياً وإعلامياً وتراسلاً... الخ، وليس ثمة أي مسوّغ منطقي لهذا التريث وعدم الإقدام على فرض اللغة العربية، لغة الدستور، واللغة القومية، ولغة القرآن، واللغة الأم، في جميع مناحي الحياة، وها هي ذي الحجج والأدلة تشير إلى أن من يتعلم بلغة الأم هو الأجدى تربوياً واجتماعياً واقتصادياً وإبداعاً وابتكاراً، وليس ثمة ما يحول دون تدريس مقرر أو مقررين باللغة الأجنبية. أما أن يتخلى العرب عن لغتهم الأم في المدارس والجامعات الخاصة فهذا أمر مستغرب، ويصعب على مواطن ياباني أو فرنسي أو ألماني أن يفهم كيف يمكن أن يولد أطفال لوالدين فرنسيين أو يابانيين أو ألمانين... الخ ولكنهم لا يتحدثون لغتهم الأم لا في البيت ولا في المدرسة، ولا يدرسون العلوم في بلدهم بلغتهم الأم، فهذا أمر بدهي بنظر مواطن تلك البلاد، ومطلوب حتى من المهاجر من بلده، فكيف بالحرّي ممن ولد فيها؟

٢. وضع خطة لغوية للتمكين للغة العربية والحفاظ عليها والاهتمام بإتقانها والارتقاء بها:

على غرار خطة العمل الوطنية للتمكين للغة العربية في سورية، على أن يضطلع بإنفاذها جميع قطاعات المجتمع ولا يلقي التنفيذ على كاهل جهة واحدة، انطلاقاً من أن تعليم اللغة مسؤولية جماعية، كما أن الحفاظ عليها مسؤولية المجتمع كله.

٣. سرعة البت في وضع البديل باللغة العربية للمصطلحات الأجنبية:

ذلك لأن التمهّل يؤدي إلى الإهمال، ولأن في هذا التمهّل تعزيزاً لاستخدام المصطلحات الأجنبية وسيورتها على الألسنة والأفلام، وعندها يصبح من الصعوبة بمكان محوها.

ولا بدّ من الاستعانة بأسلوب الفريق في وضع المصطلحات وتوليدها على أن يكون ثمة متخصصون في اللغة والترجمة والعلم نفسه... ولا بدّ أيضاً من الاتفاق على المصطلحات الموحدة والعمل على سيورتها وانتشارها في جميع مجالات الحياة، وللإعلام دور كبير في تعزيز استعمال هذه المصطلحات بالتنسيق بين مجامع اللغة العربية والجامعات.

٤. إقامة دورات مكثفة للعاملين على الأرض العربية من أبناء الناطقين بغير العربية:

لتمكينهم من اكتساب أساسيات اللغة العربية بغية احترام لغتنا وثقافتنا، وعدم التنازل عنها للتخاطب مع هؤلاء العاملين باللغة الأجنبية أو بلغاتهم، وهم في أمس الحاجة إلى العمل في منطقتنا العربية وبخاصة في دول الخليج العربي.

٥. تفعيل الترجمة إلى اللغة العربية ومنها إلى اللغات الأخرى:

وتخصيص الإمكانات المادية اللازمة لهذه الترجمة، ودعم المركز العربي للتعريب والتأليف والترجمة والنشر وهو أحد المراكز المتخصصة على نطاق الساحة القومية، وتوفير الإمكانات له أطراً وميزانية حتى يضطلع بالأدوار المنوطة به على الصعيد القومي.

كما أن على الجامعات العربية أن تأخذ بالحسبان الأعمال المترجمة في الترقية لأعضاء

الهيئة التدريسية في الجامعات، وتخصيص جوائز في الجامعات والمراكز للمراكز المترجمة التي تعتمد المصطلحات الموحدة إن في الجامع أو في مركز تنسيق التعريب، إذ لوحظ أن ثمة جامعات عربية لا تعد الترجمة عملاً علمياً يدخل في ترقية عضو هيئة التدريس من مرتبة إلى أخرى، وهذا ما أثر سلباً في حماسة أعضاء هيئة التدريس نحو الترجمة ما دام الجهد المبذول لا يدخل في الترقية، علماً بأن الجهود المبذولة على درجة كبيرة من الأهمية.

وحبذا لو تستأنس جامعاتنا العربية بما قامت به الجامعات السورية عندما تشترط عند تعيين عضو هيئة التدريس في الجامعة أن يعمل على ترجمة أطروحته في الدكتوراه إلى اللغة العربية إغناء لعملية التعريب.

٦. إعداد المدرسين الأكفاء:

إن المدرس الكفي المتمكن من مادة تخصصه ومن لغته الأم ومن اللغة الأجنبية يسهم إيماء إسهام في التعريب، ولا بدّ من إضافة شرط آخر للمدرس الكفي وهو أن يكون مؤهلاً تربوياً، ذلك لأن المدرس قد يكون متمكناً من لغته، ومن مادة تخصصه، إلا أنه مخفق في إيصال مادته إلى طلابه بالأساليب التربوية الشائقة مما يؤثر في تحقيق الأهداف.

ولقد حصرت الجامعات السورية على توفير هذه الشروط كافة في إعداد مدرسي التعليم العالي، إذ لا ينقل المدرسون الجدد المتمرنون في جميع الاختصاصات من مرتبة إلى أخرى قبل أن يخضعوا لامتحان في العربية ويثبتوا نجاحهم فيه، كما أن من شروط التعيين في الجامعات والمعاهد المتوسطة وفي جميع الاختصاصات شرط النجاح في امتحان شفاهي وكتابي في اللغة العربية، وإحداث دورات تأهيلية في اللغة العربية والترجمة.

ولم تكن الجامعات بهذه الإجراءات للنهوض باللغة العربية، وإنما عملت على أن جعلت سلامة اللغة العربية شرطاً ينص عليه في تقويم الإنتاج العلمي للترقية في سلم هيئة التدريس.

ومن الإجراءات التي تساعد على عملية التعريب في مجال إعداد المدرسين الأكفاء القادرين على التعليم بالعربية أن يتم انتداب أساتذة من الجامعات التي تتخذ التعريب للتدريس بالعربية في جامعات تسعى إلى التعريب وإلقاء محاضرات في هذه الجامعات لفترات كافية تشجيعاً للأساتذة المحليين، وكسراً للحاجز النفسي الذي يحسون به تجاه إلقاء محاضراتهم بالعربية، ولا بدّ هنا من تشجيع هؤلاء على الكتابة وإلقاء الدروس والمحاضرات والمشاركة في الندوات باللغة العربية الفصيحة وكتابة البحوث باللغة العربية أيضاً^(١٣).

ومن بين هذه الإجراءات أيضاً تنظيم برنامج تبادل الزيارات بين مدرسي المادة الواحدة في الجامعات العربية، وحضور الأساتذة الذين يدرسون بالأجنبية إلى الجامعات العربية التي تدرس بالعربية للاطلاع على تجاربها والإفادة منها.

ولا بدّ من العمل على تخفيف الأعباء التدريسية والإدارية عن أعضاء الهيئة التدريسية وتوجيه جزء من نشاطهم إلى التعريب الذي سيؤدي بدوره إلى رفع مستواهم العلمي بصورة غير مباشرة.

ومن الإجراءات المساعدة أيضاً تشجيع المدرسين على مطالعة كتب التراث ذات العلاقة بتخصصاتهم لمدهم بمصطلحات علمية تعينهم على إغناء لغتهم في مجالات تخصصهم.

ولم تقتصر الإجراءات المتخذة في الجامعات السورية على مجال التمكين للغة العربية فقط، وإنما عُنيت بالتمكين للغات الأجنبية، إذ تقرر تعليم اللغة الإنجليزية بدءاً من الصف الأول من مرحلة التعليم الأساسي وتعليم اللغة الفرنسية بدءاً من الصف السابع، وهما مادتان إجباريتان في مرحلة التعليم ما قبل الجامعي. وفي المستوى الجامعي تدرس اللغة الأجنبية على مدار السنوات الجامعية كلها، إذ يركز على النواحي اللغوية في السنتين الجامعيتين الأولى والثانية، ويركز على النواحي الوظيفية في ضوء اختصاصات الدارسين في السنتين الثالثة والرابعة.

ومن الإجراءات المتخذة أيضاً الإكثار من المبعوثين للاطلاع والبحث في الدول الأجنبية وإلزام الطلاب الذين يرغبون في التسجيل لنيل درجة الماجستير باتباع دورة مكثفة باللغة الأجنبية

ونجاحهم بها، ويخضع الطالب الذي يسجل لنيل شهادة الدكتوراه إلى اختبار تقيمه الجامعة سنوياً في اللغة الأجنبية، ولا يتم التسجيل لنيل درجة الدكتوراه إلا بعد نجاحه في هذا الاختبار.

وعندما يكون الدارس متمكناً من اللغة العربية والأجنبية تغدو عملية اكتساب المصطلحات وفهمها وتمثلها والانتقال بها من لغة إلى أخرى عملية ميسرة وسهلة، وهذا يساعد في الارتقاء بمسيرة التعريب.

وفي عملية إعداد المدرسين الأكفاء لا بدّ من توفير مستلزمات هذا الإعداد من أجهزة ومعدات وكتب ومراجع ودوريات وتقنيات... الخ.

٧. وضع مساق «وضع المصطلحات وتوليدها»:

على أن يكون متطلباً جامعياً أساسياً في الكليات الجامعية، ويتضمن بعض مفرداته الأصول التراثية في التخصصات المختلفة، وتوجيه الباحثين في معاهد التراث إلى اختيار موضوعات رسائلهم في الماجستير والدكتوراه من مجالات التراث العلمي العربي.

كما أن وضع مساق خاص بالترجمة في كل تخصص يساعد أيما مساعدة في عملية التعريب.

٨. الإيمان والإرادة:

من سبل تذليل معوّقات التعريب الإيمان به، فمن كان مؤمناً بالتعريب ومتحمساً له يذلل كل عقبة تقف أمامه. أما الأعداء التي يقدمها المترددون والمسوفون من حيث عدم توافر الكتب والمدرسين والمصطلحات... الخ فلا يمكن أن تقف أمام ذوي الحزم والإرادة القوية، ورحم الله شاعرنا العربي إذ يقول:

وما استعصى على قوم منالٍ إذا الإقدام كان لهم ركابا

ورحم الله محمد عبد الكريم الخطابي الذي قال له بعض رفاقه عندما أعلن ثورته: «فلننتظر حتى تكون لنا أسلحة، فأجابه: تحولوا إلى مجاهدين تأتكم الأسلحة، السلاح الأول هو أن تؤمنوا بضرورة القيام بالواجب».

حواشي الفصل

- ١- الدكتور أحمد هيكّل . ندوة اللغة العربية بين الواقع والمأمول . الجمعية الخيرية الإسلامية . القاهرة، مارس ٢٠٠١ . ص. ١٠٤.
- ٢- الدكتور عزمي بشارة- تحويل الصراع على اللغة إلى صراع على الهوية- جريدة الحياة- العدد ١٦١٦٢ تاريخ ٥ تموز ٢٠٠٧.
- ٣- الدكتور محمود أحمد السيّد- اللغة العربية وتحديات العصر- وزارة الثقافة السورية- دمشق ٢٠٠٨ ص ١٠٦.
- ٤- عبد الله العروي - ثقافتنا في ضوء التاريخ- المركز الثقافي العربي- بيروت ط٢- ١٩٨٨ ص ٢٨.
- ٥- الدكتور محمود أحمد السيد- في قضايا التعريب- دمشق ٢٠٠٢ ص ٢٢.
- ٦- الدكتور ممدوح خسارة- إشكالية الدقة في المصطلح العلمي -مجلة التعريب- دمشق- العدد السابع- حزيران ١٩٩٤.
- ٧- الدكتور محمود أحمد السيّد- المرجع الخامس ص ١٤٨.
- ٨- الدكتور محمد مراياتي- قضايا راهنة حول اللغة العربية والشابكة- مجمع اللغة العربية- دمشق ٢٠٠٦ ص ١٠.
- ٩- الدكتور محمود أحمد السيد- المرجع الثالث ص ٦٤.
- ١٠- الدكتور محمود السيّد- لغة الغالب والمغلوب تفاعل أم تغيب؟ ندوة اللغة والهوية «دول الخليج العربي أنموذجاً»- الدوحة -شباط «فبراير» ٢٠٠٩ ص ١٧.
- ١١- الدكتور عزمي بشارة- المرجع الثاني.
- ١٢- الدكتور عثمان السعدي- العبرة الشاملة والتحكم بالتكنولوجيا المعاصرة في الكيان الإسرائيلي - جامعة الكويت- كلية التربية- قسم أصول التربية- ص. ٥.
- ١٣- الدكتور محمود أحمد السيّد- المرجع الثالث ص ٨٠.

الفصل الخامس

المبادئ الأساسية في وضع المصطلح وتوليده

محتويات الفصل:

أولاً- سلامة لغتنا العربية في تطورها

ثانياً- المبادئ الأساسية في وضع المصطلح وتوليده:

١- مجمع اللغة العربية في دمشق

٢- مجمع اللغة العربية في القاهرة

٣- المجمع العلمي العراقي

٤- مجمع اللغة العربية في الأردن

٥- مكتب تنسيق التعريب

٦- من ثمار التنسيق

ثالثاً- وضع المصطلحات بين المؤيدين والمعارضين والمعتدلين

١- المعارضون

٢- المؤيدون

٣- المعتدلون

رابعاً- اجتهادات في وضع المصطلحات وتوليدها

خامساً- من سبل الارتقاء بوضع المصطلحات وتوليدها

الفصل الخامس

المبادئ الأساسية في وضع المصطلح وتوليده

نحاول في هذا البحث الموجز أن نشير إلى أن سلامة اللغة العربية في تطورها، وأن نقف على المبادئ الأساسية في وضع المصطلح وتوليده، وأن نقدم بعض الاتجاهات في وضع المصطلحات وتوليدها، نخلص أخيراً إلى ذكر عدد من سبل الارتقاء بوضع المصطلحات وتوليدها.

أولاً - سلامة لغتنا العربية في تطورها

غنيّ عن البيان أن الأفكار والمفاهيم والأحكام ليست خالدة أبداً كالمقدسات الدينية، ولكنها كالإنسان في تطوره، والأفكار تحملها الظروف الاجتماعية ثم تلدها أو تجهضها، وتنميتها أو تحملها، ثم ترعاها أو تشردها.

وإذا كان الولد سرّ أبيه فإن الأفكار سرّ ظروفها الاجتماعية سواء في تناغمها أم تناقضها، تفهم مدلولاتها وأبعادها على أساس العلاقات التي تربطها بأبعاد الزمان والمكان، وتقدر أهميتها بما تؤديه من وظائف في حياة الفرد والجماعة^(١).

ومن المسلم به أن اللغة تتكون من عاطفة وفكر ومجتمع، وأن العاطفة تنمو وترتقي لدى الفرد كما تنمو وترتقي لدى الجماعة، وأن فكر الإنسان في تطور دائم، فهو ينمو ويتوسع ويكتسب خبرات جديدة طوال حياته.

وليس ثمة مجتمع يبقى آسناً، وإنما ظلت المجتمعات في تطور دائم، فانتقلت من البداوة إلى الحضارة، ومن الهمجية إلى التمدّن والرقى، ولقد تبعت اللغة هذا التطور لأنها ظاهرة اجتماعية لا بل كائن حيّ يخضع لقوانين الحياة وقاموس الارتقاء والنمو. ولا بد من توالي الدثور والتوالد فيها أراد أصحابها ذلك أم لم يريدوا، فالشجرة تبدل أغصانها وأوراقها أو تموت وكذلك هي حال اللغة، فهي في تغير مستمر في أصواتها وتراكيبها وعناصرها النحوية وصيغها ومعانيها وإن اختلفت سرعة التطور من مرحلة إلى أخرى^(٢).

واللغة طاقة إبداعية غير محدودة، وكل فعل كلامي، منطوقاً كان أم مكتوباً يتضمن عنصراً ذاتياً على درجة من الإبداع يحرك سكونية اللغة، فهي في تطور مستمر ولا تعيش إلا بالنسغ

الحي الذي يسري في عروقها من شعر شعرائها وفكر مفكرّيها، وإن بإمكان اللغة أن تتجدد وتحيا مادام الشعب الذي يتكلمها يتجدد ويحيا ويبدع، ومن غير إنسان متجدد تؤول اللغة إلى حالة الموت^(٣).

ولغتنا العربية كانت في حركة دائبة، إذ إنّها لا تعرف الركود في مسيرتها إلا في عصر الانحدار «فاستطاعت في الجاهلية أن تعبر عن تجارب أصحابها، وعندما ظهر الإسلام بمفاهيمه الجديدة استطاعت أن تتمثل هذه المفاهيم وأن تعبر عنها أيما تعبير، ففي الوقت الذي كان يغلب فيها على مفردات العربية في الجاهلية المضمون الحسي نرى أن المضامين المعنوية المجردة قد شقت طريقها إلى مفردات اللغة. فكلمة «مجد» معناها العزة والرفعة، والأصل فيها امتلاء بطن الدابة بالعلف، والفعل «قضى» معناه حكم والأصل فيه القطع الحسي، وكلمة «الأسلوب» معناها الطريقة والوسيلة والفن من القول، والأصل السطر من النخيل، والفعل «عقل» معناه فهم والأصل عقل الناقة أي ربطها، إذ إن العقل يربط الأهواء ويمنعها من الانفلات»^(٤).

ولقد ورث الإسلام بعد ظهوره ألفاظاً كانت شائعة في البيئة العربية بمدلولات معينة ترتبط بحياة العرب قبله ملتبسة بضروب من الوثنية والعادات الاجتماعية غير السليمة فكان لابد من تغييرها بإحلال غيرها محلّها على نحو ما أبدل تحية «السلام عليكم» بـ «عم صباحاً وعم مساء» وفي ذلك مغزى إنساني ونفسي واسع.

ومن منطلق التغيير النفسي نحو الأمثل والأفضل عمد الإسلام إلى ترك ألفاظ اجتماعية متداولة قبله إلى ألفاظ أخرى تلائم قيمه في المساواة المطلقة بين المؤمنين وإن تفاوتوا في الوضع الاجتماعي كأن يكون بعضهم حراً والآخر مملوكاً فسمى القرآن المملوك «فتى» والمملوكة «فتاة» ولم يسمه «عبدًا» أو يسمّها «أمة» وحث على الإحسان إليهما، ونهى ذوي الفحش ومن لا ذمة له ولا مروءة عن إكراه الإماء على البغاء، فقال تعالى معرضاً ببعض المنافقين: ﴿ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصّناً﴾^(٥).

وفي ضوء هذا المنطلق الإنساني صدرت السنة النبوية، فنهى الرسول ﷺ عن أن يقال عبدي وأمتي، وأمر أن يقال فتاي وفتاتي، فأنزل المماليك بذلك منزلة الأبناء ذكوراً وإناثاً، وهذا ما يسمى في ضوء علم اللغة الحديث بالتطور المتسامي^(٦).

وفي العصر العباسي استطاعت اللغة العربية أن تطوّر لها الثقافات القديمة محتفظة بأصولها وقواعدها، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن اللغة العربية ليست باللغة التي كتب عليها الجمود، وإنما هي لغة أصيلة مرنة، عبرت عن حاجات العصر الجديد واتجاهاته، فازدادت مفرداتها غنى بالوضع تارة، وبالاشتقاق تارة أخرى، وبالنحت تارة ثالثة، وتنوعت أساليبها وفق مقتضيات العصر، فظهرت مصطلحات جديدة اقتضتها طبيعة العصر في ميادين المعرفة كلها من فلسفة وطب وعلوم ورياضيات... الخ.

وإذا كانت اللغة ظاهرة اجتماعية تزدهر بازدهار الأمة وتضعف بضعفها فإن العربية بلغت أوج ازدهارها في العصر العباسي، ولقد أورد الجاحظ في «البيان والتبيين» طائفة من الألفاظ التي استخدمها المتكلمون في جدلهم العقدي حتى العصر الذي هو فيه «الهوية والماهية» من ما هو؟ وما هي؟ والتلاشي من لا شيء^(٧).

وإذا كانت اللغة قد أصيبت بالجمود في عصر الانحدار فليس مرد ذلك إلى اللغة نفسها، بل إلى المتكلمين بها، فقد كانوا جامدين فجمدت اللغة بجمودهم، وكانوا منزوين فانزوت اللغة معهم، وكانوا بعيدين عن الحياة فبعدت اللغة عن الحياة وإلى هذا أشار الدكتور طه حسين قائلاً: «إذا كان المتكلمون باللغة العربية تنقصهم الحياة فلا عيب على اللغة ألا تحيا، وإذا كانت تنقصهم المرونة فلا عيب فيها ألا تكون مرنة لأن العربية ليست شيئاً يعيش في السماء، أو يعيش في الجو، بل هي شيء يعيش في النفوس والقلوب، وتنطق به الألسن، شيء ملازم للأحياء يؤدي ما في نفوسهم»^(٨).

وأطل العصر الحديث، فبدأت المحاولات لفك الأغلال التي قيدت اللغة ودفعها إلى الاستجابة لمطالب النهضة العلمية والتقانية، إلا أن فريقاً من الباحثين مالوا إلى التمسك باللغة كما كانت عليه في أول أمرها قبل الإسلام وأيام الأمويين وصمموا على استخدام الأفصح، فإذا استخدم كاتب كلمة «فنان» قالوا له: هذا خطأ، والصواب «الريز» لأن الفنان يعني حمار الوحش الذي يفتن في جريه، وإذا قال صبية بسيطة، قالوا هذا خطأ وصوابه صبية ساذجة، لأن البسيطة تعني الأرض الواسعة، وهذا ما دعا هؤلاء إلى التقييد بما ورد في المعاجم من صيغ ورفض ما لم يرد فيها.

والواقع أن الحرص على سلامة اللغة ضرورة قومية، إلا أن هذا الحرص يجب ألا يدفعنا إلى التعصب والتزمّت ضد كل تطور، لأن سنة التطور أقوى من السدود التي توضع في طريق اللغة، ولا يمكن بحال من الأحوال الحيلولة بين اللغة وتطورها.

وهناك من يبالغ ضد هذا التحيز ضد كل تطور فيقول: «إن سمعي لم يتألم قط أكثر من تألمه من لفظ أو إضافة جاءنا بها المشتغلون بعلم التربية فنسبوا إلى التربية «تربوي» وأشعرنا بعد ذلك بألفاظ وتراكيب لو حلفنا لأهل عصور العربية بالطلاق والعناق أنها عربية ما صدقوا ولا آمنوا»^(٩).

إن هذا الموقف لا يخدم اللغة في نظري لأن لغتنا من أخصب اللغات وأكثرها ملاءمة للتطور، والمحافظة على سلامة اللغة لا تنفي أن اللغة في تطور دائم، ولا سلامة للغة إلا في هذا التطور، فإذا كنا نريد للغتنا السلامة فلا تكون السلامة في الجمود، ولكن في الاحتفاظ بأصول اللغة وقواعدها ونظامها، ثم في تعبيرها عن حاجات العصر ومتطلباته، وأكمل اللغات وأرقاها ما واکب روح العصر واستوعب متطلباته.

ثانياً- المبادئ الأساسية في وضع المصطلح وتوليده

كان شعور الرواد الأوائل الذين عاصروا بداية عصر النهضة مع الغرب أن لغتنا العربية من الاتساع والقدرة بحيث تستطيع التعبير عن معطيات الحياة والعلم والوارد من الخارج بلغة عربية سليمة.

ومن هؤلاء الرواد الأوائل رفاة الطهطاوي الذي أسس مدرسة الألسن وأحمد فارس الشدياق الذي دعا في مجلته إلى العمل الجماعي لتعريب مصطلحات العلوم والفنون، وإبراهيم اليازجي الذي كتب في مجلة «الضياء» مطالباً بتعريب المصطلحات العلمية^(١٠).

وكان هؤلاء الرواد يمثلون الإرهاصات الأولى للمجامع اللغوية والعلمية في البلاد العربية، التي أخذت على عاتقها خدمة اللغة العربية، والحفاظ على سلامتها والعمل على سيرورتها وانتشارها، ووضع المصطلحات بالعربية مقابل المصطلحات الأجنبية.

ونحاول فيما يأتي تعرّف المبادئ التي اعتمدتها بعض المجامع اللغوية في وضع المصطلحات

وتوليدها:

١- المجمع العلمي العربي بدمشق:

بدأ أعماله عام ١٩١٩ متوخياً خدمة اللغة في المجال الحكومي وذلك بإصلاح لغة الدواوين، ولغة التعليم والتدريس والكتب المدرسية، ومواجهة مقاصد الحضارة الواسعة ومطالب الحياة العصرية في القرن العشرين.

ونص بند من بنود إنشاء المجمع على أن يتم تعليم كل العلوم في الجامعات السورية باللغة العربية فقط، وأن يعمل المجمع على مد الجامعات بما فيها حقها من تيسيرات تعريبية، وانطلاقاً من الإيمان بالتعريب لم يستسلم الأساتذة للعجز الذي كان يهيمن على اللغة العربية بفعل التثريك الذي مس أركان الدولة كلها، ولم يترثوا في عملية التعريب حتى تتوافر المصطلحات إنما رأوا أن البداية هي التي تفسح المجال لتوليدها المصطلحات، وأن الاستعمال هو الذي يعمل على توحيدها، وهكذا كانت مسيرة التعريب تدور في نطاق:

- ١- الإيمان بالتدريس في الجامعات السورية باللغة العربية.
 - ٢- أساس كل عمل هو البداية.
 - ٣- اعتماد الترجمة من اللغات العلمية.
 - ٤- اعتماد التعريب التدريجي الشامل ضمن خطة شاملة للتعريب.
 - ٥- علاج كل خطأ بالتدريب والتوجيه والمعايشة وتحسين اللغات الأجنبية.
 - ٦- تعريب الطب يجيء في أولى الأولويات.
- وشتم رجال المجمع عن سواعدهم بحثاً وتنقياً في بطون المعاجم عن المفردات العربية القديمة بغية وضع المصطلحات مقابل المصطلحات الأجنبية، وها هو ذا الطبيب محمد جميل الخاني يقول: «إن كل معنى يجول في الذهن لا بد أن يكون له لفظ في اللغة العربية ولو كان كامناً في أغوار معاجمها، وينبغي ألا يجتاز المعرب عقبة من عقبات المصطلحات دون تذليلها بترجمتها إلى العربية ولو تكبد في ذلك أعظم المشقات»^(١).

وذكر الأمير مصطفى الشهابي في معجمه «الألفاظ الزراعية» منهجه في وضع المصطلحات متمثلاً في تحري لفظ عربي يؤدي معنى اللفظ الأعجمي، وإذا كان اللفظ الأعجمي

جديداً وليس له مقابل في لغتنا ترجم بمعناه كلما كان ذلك قابلاً للترجمة أو اشتق له لفظ عربي مقابل بوسائل الاشتقاق والمجاز والنحت وإذا تعذر وضع لفظ عربي بالوسائل المذكورة عمد إلى التعريب مع مراعاة قواعده على قدر المستطاع^(١٢).

ورسم الأستاذ الدكتور جميل صليبا الطريقة الصحيحة التي يجب على العلماء اتباعها في وضع المصطلحات العلمية متمثلة في القواعد الآتية^(١٣):

القاعدة الأولى: هي البحث في الكتب العربية القديمة عن اصطلاح مستعمل للدلالة على المعنى المراد ترجمته، ويشترط في هذه القاعدة أن يكون اللفظ الذي استعمله القدماء مطابقاً للمعنى الجديد، فالقدماء أطلقوا لفظ الجوهر على المعنى الذي تدل عليه كلمة Substance وأطلقوا لفظ المقولات على المعنى الذي تدل عليه كلمة Categories.

القاعدة الثانية: هي البحث عن لفظ قديم يقرّب معناه الحديث فيبدل معناه قليلاً ويطلق على المعنى الجديد، مثال ذلك ترجمة لفظ Intuition بالحدس، وقد أشار إلى هذا اللفظ الجرجاني وابن سينا من القدماء.

القاعدة الثالثة: هي البحث عن لفظ جديد لمعنى جديد مع مراعاة قواعد الاشتقاق العربي كأن يستعمل لفظ الشخصية للدلالة على Personnalite، ولفظ الاهتمام للدلالة على Interet ولفظ التكيف للدلالة على Adaptation، فهذه كلها اصطلاحات حديثة لم يستعملها القدماء، ولكنه شبيه بما استعمل القدماء من استعمال كلمة «قوة» للدلالة على Puissance وكلمة إمكان للدلالة على Possibilite.

وقالوا إن الإمكان في الشيء هو جواز إظهار ما في قوته إلى الفعل وطبيعته بين الواجب والممتنع، فاشتقوا من الإمكان التمكين بمعنى إخراج الشيء من القوة إلى الفعل بالإرادة، وقد يجيء التمكين عندهم بمعنى آخر، وهو أن يكون تفعيلاً من المكان فنقول مكنت الحجر في موضعه إذا وفيته حقه من بسط المكان وتسويته ليلزمه ولا يضطرب.

القاعدة الرابعة: هي اقتباس اللفظ الأجنبي بحروفه على أن يصاغ صياغة عربية، وهو ما نطلق عليه اسم التعريب كقولنا هرمية في ترجمة Hormique أو قولنا الديمقراطية في ترجمة Democratie.

ويؤكد الباحث الدكتور صليبا منهجيته في وضع المصطلحات بما ورد في كتاب «الموامل والشوامل» لأبي حيان التوحيدي في تراثنا العربي إذ يقول «على أي رأيك تستعفي أن تفهم حقيقة إلا أن تكون في لفظ عربي، فإن عدمت لغة العرب رغبت عن العلم، لكننا -أيذك الله- لا نترك البحث عن المعاني في أي لغة كانت وفي أي عبارة حصلت»^(١٤).

وتلك هي نماذج من الأسس المعتمدة في وضع المصطلحات في رحاب المجمع العلمي العربي بدمشق.

٢- مجمع اللغة العربية في القاهرة:

نصت المادة الثانية من لائحته على أن للمجمع أن يستبدل بالكلمات العامية والأعجمية التي لم تعرب غيرها من الألفاظ العربية. وذلك بأن يبحث أولاً عن ألفاظ عربية في نطاقها، فإذا لم يجد بعد البحث لها أسماء عربية وضع أسماء جديدة بطرائق البحث المعروفة من اشتقاق أو مجاز أو غير ذلك، فإذا لم يوفق في ذلك التجأ إلى التعريب للمحافظة على حروف اللغة وأوزانها بقدر الطاقة^(١٥).

وأجاز المجمع استعمال بعض الألفاظ الأعجمية عند الضرورة على طريقة العرب في تعريبهم، وعمل المجمع في ميدان المصطلحات وضعاً وتوليداً على:

- ١- الحفاظ على التراث العربي وإيثار ترجمة المصطلح مع إجازة التعريب.
- ٢- الوفاء بأغراض التعليم العالي ومتطلبات الترجمة والتأليف والثقافة العلمية العالمية.
- ٣- مساندة النهج العلمي العالي في أسلوب اختيار المصطلح والتقريب بينه في العربية وبين نظيره في اللغات العالمية الحية لتسهيل المقابلة بينهما للمشتغلين بالعلوم الأساسية وتطبيقاتها.
- ٤- تعريف كل مصطلح تعريفاً علمياً معجمياً.
- ٥- الإبقاء على المصطلح العربي القديم وتفضيله على الجديد إلا إذا شاع الجديد.
- ٦- قبول ما استعمله المولدون مما جرى على الأقيسة من مجاز أو اشتقاق مع إجازة الاشتقاق من أسماء الأعيان في لغة العلوم.
- ٧- إجازة استعمال بعض الألفاظ الأعجمية للضرورة^(١٦).

وعمل المجمع في منهجيته أيضاً على:

- ١- ترك القدم على قدمه ما دام صالحاً.
 - ٢- اعتماد الاشتقاق أو المجاز.
 - ٣- وضع مصطلحات سهلة وميسرة.
 - ٤- اعتبار استعمال الناس حجة.
 - ٥- إباحة المحذور في سبيل الضرورة العلمية وتنزيل الحجة منزلة الضرورة^(١٧).
- كما اعتمد المجمع بعض الأسس الأخرى في أثناء الممارسة العملية تمثلت في:
- ١- الأخذ بمبدأ القياس في اللغة، ويجوز النحت عندما تلجئ إليه الضرورة العلمية.
 - ٢- ينسب إلى لفظ الجمع عند الحاجة دولي، جماهيري.
 - ٣- يجوز جمع المصدر عندما تختلف أنواعه: إشعاعات، تمديدات.
 - ٤- يجوز إدخال «ال» على حرف النفي المتصل بالاسم: اللاهوائي، اللاسلكي.
 - ٥- يجوز الاشتقاق من الجامد للضرورة في لغة العلم: مُهدرج، مكبرت.

٣- المجمع العلمي العراقي:

كانت المنهجية التي اتبعها المجمع العلمي العراقي لا تختلف عن منهجية كل من مجمعي دمشق والقاهرة، ويقول الدكتور جواد علي في هذا الصدد: «وطريقة المجمع في دراسة المصطلحات وإقرارها ووضعها هي أن يدرس المجمع المصطلح المعروض عليه في لغة الاختصاص كأن يستعرض حده وتعريفه عند المختصين أو في الكتب الخاصة، ويتعرف أصله ونشأته ثم يسمع آراء المختصين فيما اختاروه من كلمات عربية مناسبة، ثم يستعرض ما ورد في الكتب العربية قديماً وحديثاً لغوية كانت أم اختصاصية من كلمات موافقة له مما قد يفني بالمراد، فإذا وقف على كلمة صالحة موافقة له مؤدية للمعنى الاصطلاحي ورأى فيها الرشاقة والسلامة عقد رأيه وبت في الأمر»^(١٨).

وعمل المجمع من خلال لجانه المختصة على اتباع ما يأتي:

- ١- تفضيل اللفظ العربي على المولّد والمولّد على الحديث إلا إذا اشتهر، واستعمال اللفظ العربي الأصيل إذا كان المصطلح الأجنبي مأخوذاً عنه مثل لفظ الكحول Alcohol.

- ٢- تجنب تعريب المصطلح الأجنبي إلا في الأحوال الآتية:
- إذا أصبح مدلوله شائعاً بدرجة كبيرة يصعب معها تغييره.
- إذا كان مشتقاً من أسماء الأعلام.
- في حال الأسماء العلمية لبعض العناصر والمركبات الكيميائية.
- إذا كان من أسماء المقاييس أو الوحدات الأجنبية.
- إذا كان مستعملاً في كتب التراث مثل إسطراب.
- ٣- وإن لم يتيسر مصطلح عربي ففي الاشتقاق والتوليد والقياس والمجاز متسع كبير.

٤- مجمع اللغة الأردني:

انطلق مجمع اللغة الأردني في عملية وضع المصطلح وتوليده من رؤيته أن المصطلح الأصيل المستمد من التراث أو ذلك المسكوك بالوسائل المتاحة للغة من قياس أو اشتقاق أو مجاز يجب أن يكون الهدف الأسمى لوضع المصطلح العربي. ومن هنا كان حرص المجمع على دقة المقابل العربي بالترجمة، ويفضل أن يكون المصطلح الوليد عربياً تراثياً كلما كان ذلك ممكناً، أو تحديد المصطلح الأجنبي إذا كان من الشيع والذيع بحيث أصبح علماً.

إلا أن المجمع في الوقت نفسه يرى أننا نكون أقدر على النهوض بتعريب العلوم والملحق بالجديد فيا إذا جعلنا الأولوية للتعريب لا للترجمة^(٩).

٥- مكتب تنسيق التعريب:

عمل مكتب تنسيق التعريب بالرباط، وهو أحد المكاتب التابعة للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، على وضع خطة لوضع المصطلحات وتنسيقها مستأنساً بقرارات المجمع اللغوية، ومما جاء في هذه الخطة:

- أ- استعمال لفظة عربية واحدة مقابل التعبير الأجنبي، ولا تستعمل المرادفات إلا فيما ندر وعند الضرورة، وبذلك يتحقق توحيد المصطلحات.
- ب- وضع مصطلح عربي مقابل كل دلالة إذا كان للمصطلح الأجنبي أكثر من دلالة واحدة.
- ج- دراسة المصطلح الأجنبي دراسة وافية وتعرف مدلوله العلمي ومفهومه الدقيق ومعناه

الاصطلاحي الخاص المستعمل في حقل الاختصاص قبل الإقدام على وضع مقابله العربي.

د- عدم الاقتصاد على اعتماد لغة أجنبية واحدة مصدراً وحيداً للمصطلحات الأجنبية.

هـ- استعمال الألفاظ العربية المتداولة التي سبق أن استخدمها العلماء العرب الأقدمون، وألا يجتهد في وضع لفظ جديد مناسب مع الأخذ بالحسبان المصطلحات التي وضعتها المجامع واللجان المختصة.

و- الاكتفاء بوجود مناسبة أو مشابهة بين مدلول المصطلح اللغوي ومدلوله الاصطلاحي ولا يشترط في المصطلح أن يستوعب كل معناه العلمي.

ز- الابتعاد عن الكلمات المثقلة بعدة معان.

ح- الالتزام قدر الإمكان بالقوائم الدلالية والسوابق واللواحق والصيغ القياسية التي يعدها المجمع الموحد.

ط- جواز اللجوء إلى النحت أو التركيب المزجي بشرط أن تكون اللفظة المنحوتة مقبولة أو شائعة.

ي- استعمال الكلمات الدخيلة أو المستعربة عند اللزوم.

ك- اختيار اللفظ الأسهل من بين مختلف اللغات الأجنبية لنقله إلى العربية بأخف ما يمكن على اللسان العربي دون التزام لغة أجنبية واحدة.

ل- الحرص في تعريب الكلمة على وضعها في صيغة يسهل جمعها والنسبة إليها والاشتقاق منها.

م- اعتبار المصطلح المعرب عربياً يخضع لقواعد اللغة العربية.

ن- جواز التصرف في صيغ النسبة للتمييز أو منع اللبس وجواز النسبة إلى المفرد والجمع^(٢٠).

٦- من ثمار التنسيق:

كانت أولى المحاولات في سبيل توحيد المصطلحات تكليف لجنة المصطلحات العلمية في كلية الطب بالجامعة السورية وضع ترجمة عربية لمعجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات للدكتور

«Clairville» ثم كانت الخطوة الثانية صدور المعجم الطبي الموحد بإشراف اتحاد الأطباء العرب وبالتعاون مع مجلس وزراء الصحة العالمية والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. ويشتمل المعجم على المصطلحات الطبية باللغات الثلاث: الإنجليزية والفرنسية والعربية، وقد جاء في مقدمة المنهج المعتمد في وضع المصطلحات وتوليدها على النحو الآتي:

١- استعملت كلمة عربية واحدة مقابل التعبير الأجنبي، ولم تستعمل المترادفات إلا فيما ندر.

٢- استعملت الكلمات العربية المتداولة التي استعملها الأطباء العرب الأقدمون إذا كانت تفي بالغرض العلمي وترك الكلمات الدخيلة التي وجد ما يقابلها في العربية.

٣- استبعدت الكلمات الدخيلة إلا إذا كانت اسماً لشخص أو مشتقة من اسمه أو كانت مستعملة في لغات متعددة.

٤- ابتعدت اللجنة عن الألفاظ الوعرة ما أمكن.

٥- لم تلجأ اللجنة إلى النحت أو التركيب المزجي إلا فيما ندر كأن تكون الكلمة قد شاع استعمالها^(٢١).

ويتبدى من خلال عرضنا السابق في وضع المصطلح وتوليده أن ثمة قواسم مشتركة بين الجهات المعنية، وأنه إذا خلصت النوايا فإن عملية توحيد المصطلحات ليست بعملية مستحيلة وها هي ذي تجربة المعجم الطبي الموحد ماثلة أمامنا إذ إن الأطباء السوريين وهم السباقون في عملية التعريب تخلوا عن كثير من المصطلحات التي وضعوها من قبل في سبيل التوحيد، توحيد الفكر بين أبناء الأمة الواحدة ولا تخفى على أي منا الفائدة الكبيرة من تثبيت المصطلحات العلمية حتى لا تتبدل الحقائق بتبدل الألفاظ التي أفرغت فيها، إذ إن الألفاظ حصون المعاني، وتثبيت المصطلحات العلمية هو الحجر الأساس في بناء العلم، فإذا أقيم هذا البناء على أساس متحرك لم يبلغ الغاية التي أنشئ من أجلها على حد تعبير المرحوم الأستاذ الدكتور جميل صليبا والذي يرى أن تثبيت المصطلحات لا يفيد العلماء وحدهم بل يفيد العلماء والمتعلمين كما يفيد جمهور القراء فله إذاً فائدة تربوية وفائدة اجتماعية معاً.

أما الفائدة التربوية فهي أن تثبيت الاصطلاحات يستلزم تحديد معاني الألفاظ وتوضيحها

فلا يستعمل اللفظ إلا فيما وضع له، ولا يدل على المعنى الواحد إلا بلفظ واحد وفي ذلك تيسير لعمل المعلمين والمتعلمين معاً لأن المعاني إذا كانت محددة سهل على المعلم شرحها، وعلى المتعلم فهمها، كذلك الألفاظ إذا كانت مطابقة المعاني صار استعمالها أدق ووضوحها أتم. وأما الفائدة الاجتماعية فهي أن تحديد معاني الألفاظ يسهل على الناس التفاهم فيما بينهم، فلا يتكلمون بما لا يعلمون، ولا يمارون فيما لم يتضح لهم من المعاني، فإذا أردت أن تحسم الخلاف بين الناس، وتحقق التفاهم بين أصحاب المذاهب المتشابهة فابدأ أولاً بتحديد المعاني تحديداً علمياً واضحاً، وهذا التحديد يقرب الآراء بعضها من بعض، ويوفر على الناس الكثير من الجهد والوقت^(٢٢).

ثالثاً- وضع المصطلحات وتوليدها بين المؤيدين والمعارضين والمعتدلين

لم يكن ثمة اتفاق بين الدارسين على وضع المصطلحات وتوليدها، ولكل فريق أنصار وخصوم، ونحاول فيما يأتي تسليط بعض الأضواء على حجج الفريقين:

١- المعارضون:

يرى أنصار هذا الاتجاه أن اللغة العربية لغة بدواة تفتقر إلى التجريد ولا تستطيع حمل المصطلحات الحضارية، وأن العربية لا عهد لها بالمخترعات والمكتشفات الحديثة، وأن ثمة عدم دقة في مصطلحاتها الموضوعية على المصطلح الأجنبي، إذ إن المصطلحات العربية سواء أكانت قديمة مستمدة من التراث أم عربية حديثة مترجمة قد لا تكون دقيقة دقة المصطلح الأجنبي وأن لغة العلم إنما هي لغة عالمية، فضلاً عن قلة المصطلحات العربية القديمة وعدم جدواها.

ولقد حاول بعض الدارسين رصد مشكلات وضع المصطلحات للغوي المعاصر فوجد «أن أهم مشكلاته تتمثل في تعدد المصطلحات واللبس وعدم الدقة ونقص المصطلحات وعدم الشيوخ وسيرورة المصطلحات الأجنبية، وعند بحث الأسباب الكامنة وراء هذه الظاهرة وجد أنها تتمثل في حداثة هذا العلم في العربية، وتنوع البيئات التي يصدر عنها المصطلح»^(٢٣). ونتج عن هذه الأسباب اضطراب الباحثين في تحديد المدلول الحقيقي للمصطلح ووصول المعرّبين إلى أحكام مغايرة للواقع الحقيقي لحقيقة المصطلح وانشغال عدد من المتخصصين بالبحث عن مصطلح دقيق يؤدي المعنى بطريقة مثلى، وإظهار اللغة العربية على أنها لغة ضعيفة.

ويأتي في طليعة المعارضين لتأصيل المصطلح بالعودة إلى التراث المرحوم الدكتور محمد كامل حسين الذي يرى أن ثمة ضخامة في عدد المصطلحات التي نحتاجها في هذا العصر، وأن لا فائدة من المصطلحات المعروفة لدى العلماء القدماء لقلتها من جهة ولأن المصطلحات القديمة مفردة لا تتبع نظاماً خاصاً، كما أن اختلاف المناهج ومذاهب التفكير العلمية تجعل التطابق بين مدلولات المصطلحات القديمة والحديثة محالاً.

ولقيت دعوة الدكتور محمد كامل حسين صدى لدى كثيرين حتى إن الدكتور إبراهيم مدكور رأى أن قضية تأصيل المصطلح بالعودة إلى التراث أخذت تتراجع لديه، ودعا الجمع إلى جمع المصطلحات القديمة، وإن كان يرى أنها أصبحت لا تفي بالحاجة، ولا يتردد في أن يعرب كما عرب قديماً.

ويرى بعض الدارسين المعاصرين أن ثمة نقصاً في دقة التعبير عن المصطلحات الأجنبية الموضوعية باللغة العربية. ومن مظاهر نقص الدقة، التعبير عن عدة مصطلحات أجنبية بمصطلح عربي أو لفظ عربي واحد، فقد ترجم المصطلحان substance, essence بمصطلح عربي واحد هو جوهر، علماً بأن الأول يعني المادة لا الجوهر.

ومن مظاهر نقص الدقة في المصطلح العلمي عدم التوافق بين المصطلح وما يراد له من مدلول، فتوليد «مصعقة» في مقابل المصطلح الأجنبي paratonnerre وهو اسم آلة من صق للجهاز الذي يستقبل الصاعقة ويدراً خطرها وأذاها، غير دقيق، وسماها آخرون «مانعة صواعق» والأدق أن تسمى «واقية صواعق» لأن هذا الجهاز لا يصعق ولا يمنع الصاعقة وإنما يجذبها ويذهب مفعولها فهو يقي منها، أما المصعقة فهي تفيد عكس ذلك^(٢٤).

ويرى بعض الدارسين المعارضين للجوء المعربين إلى النحت أن النحت يشوه الكلام العربي إن لم يؤخذ بحذر فلا مسوّغ للتمحل في الإتيان بلفظ «حلقظة» لأحلام اليقظة، و«الصوفنة» للصورة الفنية.

٢- المؤيدون:

يذهب مؤيدو العودة إلى التراث لوضع المصطلحات وتوليدها إلى أن شكوى المختصين من نقص المصطلحات العربية غير صحيح، فالعربية مقارنة باللغات الأخرى مطوع، ولها قدرة

فائقة في ارتحال المصطلح ونحته أو اشتقاقه، ولها من المرونة ما يمكنها السيطرة على المعاني بصيغها وحركاتها وغزارة مادتها ما يجعلها دقيقة وصالحة للتعبير، كما أن لها من ضروب التوليد ما يمكنها من إعطاء المصطلحات الجديدة نفساً جديداً، وهذا كله يعود إلى جذورها التي تزيد على ستة آلاف سنة، فلن نعدم مطلقاً فضلاً من الألفاظ لتغطية مختلف المصطلحات.

وفي العصر الحديث ألفينا العربية لا تستعصي على استيعاب كل ما جد من علم وتقنية معتمدة في ذلك على أصولها القديمة الأربعة: القياس والاشتقاق والتعريب والنحت فكثرت في العصر الحديث المترجمات والمعربات من الألفاظ وفق أساليب العربية وعلى وفق نظائر لها استعملها العرب في العصور المختلفة فترجموا عدداً كبيراً من الألفاظ الناجمة عن علم وصناعة على وزن اسم الآلة مفعال وفعالة، وبالمثل نحتوا ألفاظاً نمت العربية وواجهت بها كل عصر قبل ظهور الإسلام وبعده إلى عصرنا هذا الذي تطورت فيه الحياة فإذا نحتوا من عبد شمس وعبد الدار عبشمي وعبدري فإنهم نحتوا في العصر العباسي الهوية والتلاشي، ونحتوا البسملة والحوقلة وفي العصر الحديث نحتوا درعمي نسبة إلى دار العلوم^(٢٥).

والسير على نهج الفصحى في النحت يعين على ترجمة كثير من المصطلحات العلمية الكثيرة التي لا تؤدي العربية معناها كقولنا الدبابات البرمائية وهذا طريق من طرق نمو اللغة. ويميل بعض الدارسين إلى أنه لا حجر على أي متكلم بالفصحى يصوغ جملاً عربية تشبه في نظامها جمل العرب في مفرداتها وأبنية كلماته ودلالة ألفاظها، وإن لم تكن تلك الجمل بعينها مما قاله العرب، وقد أحسن «ابن جني» حين عقد في كتابه «الخصائص» فصلاً ذهب فيه إلى أن ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب، فالاشتقاق الأصغر قياسي، والمشتقات تنمو وتكثر حين الحاجة إليها، وقد يسبق بعضهم بعضاً في الوجود، ومنهم من يخطئ استخدام تكاتف بمعنى تعاون أو وضع كتفه إلى جانب كتف زميله^(٢٦) ويذهبون إلى التقيد بما ورد في المعاجم من صيغ ورفض ما لم يرد فيها، ولطالما سمعنا «ليس من كلام العرب» إلا إذا نص النحويون على أن صيغة بذاتها قياسية.

ومن الواضح أن في ذلك تقييداً لا مسوّغ له لأن اللغة أدق من قواعدها، وأوسع من معاجمها، وأن التقيد بما ورد منها في المعاجم القديمة ينقص من قدرتها على التطور والنمو، فهناك

كلمات كثيرة لم يعرفها لسان العرب، وهناك ظواهر في بناء الجملة العربية الحديثة لا تكاد تبدو شائعة في الضوابط التي استخرجها النحاة من لغة القرون الأولى، فالجملة العربية الحديثة تعرف تراكم المصادر على نحو لم يعرف قديماً بالقدر والانتشار نفسيهما، ويعرف النثر العربي الحديث اتجاهها إلى فك حالة الإضافة باستخدام حروف الجر^(٢٧).

ويرى بعض الدارسين أن ثمة خطراً على اللغة العربية من الاقتراض اللغوي، ومن مخاطر ضياع القيمة التعبيرية للجزر العربي فكلمة «ورشة» المعربة عن workshop لا جامع بين مدلولها ومدلول الجزر «ورش» الذي يدل على الجموح.

ومن المخاطر أيضاً إرباك المعجمية العربية وذلك بإدخال جذور جديدة يصعب تصنيفها في إطارها الذي يعتمد على نظام الأسر اللغوية المؤلفة من الجزر واشتقاقاته وهذا ما يؤدي إلى بلبلة فمثلاً كلمة «تلفاز» هل نضعها في «تلف» أو «لفز» أو نتماد الأصل الرباعي «تلفز» على إشكالاته أو نتماد الاسم كاملاً فنضعها تحت «تلفاز» أو «تلفزة»^(٢٨).

ويذهب بعض الباحثين إلى الاقتداء بمنهجية سلفنا في وضع المصطلحات وتوليدها، «وهي» هو ذا أبو الريحان البيروني يندد بالترجمين الأوائل الذين أخذوا الألفاظ اليونانية وأدخلوها باللغة العربية دون بيان معناها الحقيقي فيقول في مستهل كتابه «تحديد نهايات الأماكن» مبيناً تأثير ذلك في المتعلمين ونحن نراهم يستعملون في الجدل وأصول الكلام والفقه طرائق المنطق ولكن بألفاظهم المعتادة فلا يكرهونها، فإذا ذكر لهم «إيساغوجي وفاطيفوريوس، وباري أرمنياس، وأنالوطيقا» يشمئزون منها وحق لهم ذلك فالجناية من المترجمين إذ لو نقلت الأسامي إلى العربية فقليل «كتاب المدخل والمقولات والعبارة، والقياس والبرهان» لوجدوا أنفسهم متسارعين إلى قبولها غير معرضين عنها^(٢٩).

وهكذا نرى أن أصحاب هذا الاتجاه لا يجيزون التعريب لأنهم يرون فيه إفساداً للعربية وتشويهاً لها وعندهم أن الترجمة هي السبيل الأوفق والأولى بالاتباع.

٣- المعتدلون:

ويفضل هؤلاء في سياق تعريب العلوم البدء بمحاولة ترجمة المصطلحات الأجنبية التي يراد نقلها إلى الساحة العلمية، ولكنهم لا يعارضون نقل المصطلحات الأجنبية بطريق التعريب، وهم

إذ يفضلون البدء بالترجمة لأن في الترجمة مزايا علمية وقومية يتمثل أهمها في الظفر بحقائق علمية فكسوها لباساً عربياً يرشحها للتمثل والمضم والاسْتيعاب في سهولة ويسر بالإضافة إلى ما يعنيه ذلك من إغناء اللغة العربية وتطوير مادتها.

واختيار البدء بالترجمة مشروط بشرطين متلازمين أولهما الفهم التام الدقيق لمفهوم المصطلح الأجنبي، وثانيهما أن يكون المصطلح العربي المقابل مناسباً لفظاً وصياغة وخالياً من الشذوذ والإغراب في أصواته وبنائه أي أن تكون صورته النطقية مقبولة ومستساغة، وشكله الصرفي مأنوساً بحيث يسهل استخدامه بطريقة تعمل على استقراره وانتشاره في الوسط العلمي المعين، فإذا كان المصطلح العربي المناسب موجوداً بالفعل فنعم ذلك، وإلا كان اللجوء إلى ابتكار بطريق التوليد.

وللتوليد جانبان: توليد في الصيغة وتوليد في الدلالة.

والتوليد في الصيغة قد يكون بالوضع أو النحت، ونعني بالوضع ابتكار كلمة جديدة من أصل عربي بطريق الاشتقاق أو القياس أو ما إلى ذلك من ضروب التوليد اللفظي فإن لم يسعفنا الحال لجأنا إلى النحت، وهو منهج مأخوذ به في اللغة العربية منذ أقدم عصورها. أما التوليد في الدلالة فيكون بتوظيف كلمات قديمة في معنى جديد بالتوسع في دلالاته على ضرب من الجازم فالتوليد يعني اختراع كلمة جديدة أو توظيف كلمة قديمة في معنى جديد.

وإذا لم يوفق الدارس إلى ترجمة مصطلحاته الأجنبية إلى ما يقابلها في العربية بالوسائل المشار إليها فلا ضير عليه أن يلجأ إلى التعريب، والتعريب أسلوب مشروع وله أحكامه وضوابطه التي تعني في الأساس إخضاع المصطلح الأجنبي لشيء من التعديل أو التغيير في بنيته ليطابق النظم الصوتية والصرفية في العربية، فالتعريب في مجال المصطلحات تابع للترجمة وتال لها متى كانت الترجمة الدقيقة عصية المنال.

وإذا صعب الأخذ بالتعريب في ضوء ضوابطه وأحكامه المقررة فلا مانع من نقل المصطلح الأجنبي بصورته الأصلية كاملة غير منقوصة، حتى يستقر مفهومه ويتضح بصورة لا لبس فيها ولا غموض. وليس ثمة بأس من التعريب وخاصة في المراحل الأولى من نقل العلوم ولكن بأقذار مناسبة وحيث تكون الحاجة ملحة إلى هذا النهج^(٣٠).

ويذهب بعض هؤلاء المعتدلين إلى القول إن التعريب يمكن أن يتم بكتابة المصطلح الأجنبي بالحروف العربية حينما يكون المصطلح لفظة شائعة في جميع اللغات مثال: رادار، أيدز أو سيدا، فاكس، يونسكو، وتتألف هذه الألفاظ كما هو معلوم من مجموعة حروف يدل كل واحد منها على معناه بإحدى اللغتين الإنكليزية أو الفرنسية على أن يكتب إلى جانب ذلك المعنى الذي تدل عليه باللغتين العربية والأجنبية. ومن الضروري كتابة الاسم الأجنبي بالحروف العربية وذلك حين يكون اسم علم أو اسماً لاتينياً لجنس من النبات أو الحيوان ولا يوجد له اسم مقابل باللغة العربية أو لا يمكن ترجمة ذلك الاسم مثل كوكا كولا، شامبانزي، كونغورو...^(٣١).

والواقع أن اللغة ليست بقاصرة عن تمثل المصطلحات الجديدة، وهذه المصطلحات الجديدة تتطلب تسمية لها فإذا لم توضع التسمية العربية فوراً استعملت التسمية الأجنبية واستخدمها الناس فسرت على ألسنتهم، والمسألة متوقفة على السرعة في وضع المصطلحات العربية تجاه ما يقابلها من مصطلحات أجنبية.

رابعاً- اجتهادات في وضع المصطلحات وتوليدها

١- من الاجتهادات التي ظهرت في مجال الاقتصاد مصطلح «الخصخصة» أو «التخصيص» مقابل المصطلح privatization وتعني نقل ملكية الدولة إلى الخواص.

ويتساءل بعضهم لماذا لا نستخدم مصطلح «الخصوصية» كما استخدمنا مصطلح «العولمة» بمعنى وضع الشيء على مستوى العالم، والصيغة الصرفية واحدة هي «فوعلة» وتدل على تحويل الشيء إلى وضعية أخرى مثل «قوبلة» أي وضع الشيء في صيغة «قالب» والخصوصية ليست مشتقة من فعل خص يخص حتى يقال تخصيص بل من خاص مفرد خواص^(٣٢).

والعولمة ترجمة لكلمة Mondialization الفرنسية التي تعني جعل الشيء على مستوى عالمي سواء تعلق الشيء بالاقتصاد أو بالسياسة أو بالثقافة. والكلمة الفرنسية المشهورة لكلمة Globalization الإنكليزية التي ظهرت أول ما ظهرت في أمريكا وهي تفيد معنى تعميم الشيء وتوسيع دائرته ليشمل الكل. وبهذا المعنى يمكن أن نفترض أن الدعوة إلى العولمة بهذا المعنى إذا صدرت من بلد أو جماعة فإنها تعني تعميم نمط من الأنماط التي تخص ذلك البلد أو تلك

الجماعة وجعله يشمل الجميع أي العالم كله.

٢- ومن الاجتهادات في مجال اللغة استخدام مصطلح الألسنية لترجمة مصطلح Linguistique الفرنسي وLinguistics الإنكليزي. ولمصطلح الألسنية تاريخ طويل فقد اطرده الظن أنه مصطلح اختص به أهل المغرب عموماً ثم تواتر الظن بأنه أخص بالمدرسة التونسية لابتكار بعض أبنائها إياه، وكلا الظنين واهم إذ إن مصطلح الألسنية كان مولده في فلسطين، ثم احتضنت لبنان شأنه، وقد رافقته في نشأته جملة من المصطلحات المتبلورة ذهنياً منها مصطلح «المعجمية» ومصطلح «الثنائية» أما واضعه فهو أوغسطين الدومينيكي حين نشر سنة ١٩٣٧ كتابه «المعجمية العربية في ضوء الثنائية والألسنية والسامية». ثم اطرده استعمال المصطلح في المدرسة اللبنانية خاصة عندما عززه أنيس فريحة وريمون طحان بسلسلة عام ١٩٧٢ عنوانها «الألسنية»^(٣٣).

غير أن مصطلح الألسنية لم يكن بين المتخصصين العرب يسير التمثيل فكأنما ظل يجر إثم النسبة إلى الجمع، ولهذا السبب عدل عنه إلى غيره. ومن المادة اللغوية (لسن) انبثق المصطلح الأكثر تجريداً والأبعد ائتلافاً والأعم تصوراً وهو لفظ «اللسانيات»، وقد ظهر في الجزائر عام ١٩٦٦ وعززه ظهور مجلة اللسانيات عن معهد العلوم اللسانية والصوتية في عام ١٩٧١، وقد شاع المصطلح واستخدمته الدراسات على اختلاف مشاربها، ولكن المترجمين اللبنانيين مازالوا على ما يبدو حريصين على استخدام المصطلح القديم، ولعل من الأفضل استخدام المصطلح الأكثر شيوعاً وانسجاماً مع القواعد العربية وأصولها.

٣- وفي مجال النصوص وضع مصطلح النص المفرّج مقابل hyper text، والنص المفرّج في علم الحاسوب هو تسمية مجازية في تقديم المعلومات يترابط فيها النص والصورة والأصوات والأفعال معاً في شبكة من الترابطات مركبة وغير تعاقبية مما يسمح لمستعمل النص (القارئ سابقاً) أن يجول في الموضوعات ذات العلاقة دون التقيد بالترتيب الذي بنيت عليه هذه الموضوعات، وهذه الوصلات تكون غالباً من تأسيس مؤلف وثيقة النص المفرّج أو من تأسيس المستعمل حسب ما يمليه مقصد

ففي كلمة (بحيرة) على سبيل المثال في المجال الأدبي يمكن أن تقود إلى أشكال البحيرات في العالم ماضياً وحاضراً ويمكن أن تقدم نموذجاً لبحيرة جنيف وحين يكون النص معداً إعداداً أدبياً يمكن أن تقدم أسماء وربما نماذج من القصائد التي قيلت في البحيرات وأحياناً اللوحات الفنية وغيرها، وقد يسمع الإنسان ولا ينظر فحسب صوت شاعر يلقي نصاً على شاطئ بحيرة أو هدير أمواج أو صوت رياح وهي تصفر فوق البحيرة، وللمستعمل أن يطلب أي مؤثرات مساعدة وعندها يصبح النص مرفلاً.

والنص المرفل hyper media هو مصطلح لاحق للنص المفرّغ وإغناء له وقد دخل مجدداً في علم الحاسوب وعالم الإعلام والتربية، وهو في علم الحاسوب دمج الرسوم والأصوات والفيديو أو أي تشكيل آخر في منظومة ترابطية بشكل رئيسي لحزن المعلومات واستدعائها وفي النص المرفل تربط المعلومات بشكل يسمح للمستعمل أن يقفز عند عملية البحث عن المعلومات من موضوع إلى آخر متصل به، ويسمح للمستعمل أيضاً القيام بتداعيات بين الموضوعات بدلاً من التنقل المفروض تتابعياً من موضوع إلى آخر كما في قائمة ألفبائية. فمثلاً إن عرضاً متشعباً حول الملاحنة قد يحوي وصلات بموضوعات مثل التنجيم وهجرة الطير والجغرافيا والأقمار الصناعية والرادار. وإذا قدمت هذه المعلومات بشكل رئيسي من خلال صيغة النص فهي أقرب إلى النص المفرع Hypertext. أما إذا داخلها الفيديو والموسيقا والتشخيص أو عناصر أخرى في العرض فإن النص يكون مرفلاً Hypermedia وهذا يعني أن الأخير أكثر تعقيداً وتنوعاً وأوفر حركة وأغنى ارتباطاً. والنص المفرع اشتق من مصطلح (فرع) الدارج في فن الشروح والخواشي عند العرب^(٣٥) أما المرفل فقد جاء في المعجم الوسيط رفل يرفل رفلأً ورفولاً ورفلاناً بمعنى جَرَّ ذيله وتبخر في سيره ونلاحظ الحركة مع التبخر، ومنه المضعف رفل يقال رفل في ثيابه أو في مشيه أي رفل^(٣٦).

٤- ثمة من يفرق بين مصطلح (الحداثة modernity) الذي يعني نزعة عامة باتجاه روح العصر والمستقبل، وبين الحداثية modernisim وهو مصطلح محدد يدل على تذهب خاص منشق من المفهوم العام للحداثة، وفيه أحياناً جنوح نحو التنكر

للقديم والتهاون بسلامة اللغة.

وفي كل اجتهاد لابد من توخي الاختصار وسهولة النطق في المصطلح الدخيل حينما يعرب، وتحاشي المفردات التي أدخلتها الصحافة المسموعة أو المكتوبة في صورتها الأعجمية من غير صقل. وعلى سبيل المثال:

وضع برجزة على وزن فعللة بدلاً من بوجوازية، ويمكن أن تشتق منها الفعل تبرجز أي صار برجزياً.

ووضع تلفزة للدلالة على المصدر في حين أن تلفاز يمكن استعماله للدلالة على الجهاز. ووضع سترجة على وزن فعللة بدلاً من استراتيجية.

والمقصود من هذه الطريقة في الاشتقاق هو صقل الألفاظ الأعجمية وتهذيبها بتطويعها لكي تلائم الذوق العربي، خصوصاً أن بعض المفردات الأعجمية التي يحتاجها هي في أصلها طويلة فإذا جاءت في صيغة الجمع (استراتيجيات، تكنولوجيات) أو في صيغة المثني «تلفزيونان» فإنها تصبح مستقلة^(٣٧).

خامساً- سبل الارتقاء بوضع المصطلحات وتوليدها

من السبل التي يمكن اعتمادها للارتقاء بوضع المصطلحات وتوليدها:

- ١- الإفادة من خصائص اللغة العربية ومرونتها في وضع المصطلحات وتوليدها وعدم اللجوء إلى وضع المصطلحات الأجنبية كاملة إلا إذا أعوزتنا سبل الاشتقاق والنحت والترجمة والمجاز.
- ٢- سرعة البت في وضع البديل باللغة العربية ذلك لأن في التباطؤ والإمهال تعزيزاً لاستخدام المصطلحات الأجنبية وسيورتها على الألسنة والأقلام، وعندها يصبح من الصعوبة بمكان محوها.
- ٣- التنسيق بين الجامعات في الدولة الواحدة ثم بين هذه الجامعات والجامعات العربية وبين هذه الجامعات والمعاهد المتخصصة ومراكز البحوث وجامع اللغة والمنظمات العربية المعنية في العمل على توحيد المصطلح وسيورته وانتشاره.
- ٤- الاستعانة بأسلوب الفريق في وضع المصطلحات وتوليدها، على أن يكون ثمة

- متخصصون في اللغة ومتخصصون في الترجمة، ومتخصصون في العلم نفسه.. الخ.
- ٥- اعتماد المجتمع وتقبله للمصطلحات، إذ إن اللغة ظاهرة اجتماعية وليست ملكاً لفرد معين، وقد اقترح بعضهم كلمة (مثالة) مقابل (Fax) واقترح آخرون (الناسوخ)، إلا أن الاستخدام الذي شاع هو (فاكس) وهي كلمة علمية، حتى إن بعضهم لجأ إلى استخدام الفعل منها فقال (فكّس) أي استخدم الفاكس أو أرسل فاكساً. وعلى هذا النحو أخذت كلمة (شيفرة) مقابل (chiffre) الفرنسية كما استخدمت كلمة (code) الإنكليزية، ولم يشع استخدام (راموز) العربية، وإنما شاعت كلمة (كود) الإنكليزية، وبعضهم أخذ الفعل (يشقّر) و(يكوّد).
- ٦- العبرة في الاستخدام في شيوع المصطلحات وسيورتها، فبعد أن استخدم الناس (التلفون) في كلامهم جاءت مقترحات (المحاور، المقول، الهاتف) وسرت بعد ذلك كلمة الهاتف، ولكن ليس ثمة مسوغ لاستخدام التلفون بعد ذلك ما دام البديل العربي موجوداً، واللغة العلمية لا تحيا إلا بالتداول والاستعمال، كما أنه ليس ثمة مسوّغ لاستخدام كلمات (الديموغرافية، والبسيكولوجية، والسوسيولوجية، والميتودولوجية) مادامت البدائل العربية لهذه الكلمات موجودة (السكانية، والنفسية، والاجتماعية، والمنهجية) وثمة أسماء انقرضت أو تكاد تنقرض من الاستعمال الدارج مثل ٠أوتوموبيل، وكلمة جورنال)، إذ طردتهما كلتاهما السيارة والصحيفة أو الجريدة.
- ٧- الابتعاد عن التمثل في وضع المصطلحات من قبل أفراد وفرضها على الآخرين، إذ لا مسوغ لاستخدام مصطلح تكنجة ما دامت المجامع وضعت التقانة مقابل تكنولوجيا وصدّرت (استراتيجية العلوم والتقانة) على النطاق القومي. وهناك من نحت كلمة الزمكنة لبعدي الزمان والمكان و(يعصرن) لجعله ملائماً للعصر. وكما سبقّت الإشارة إلى أن العبرة للاستعمال، فالاستعمال هو الذي يفرز، وهو الذي يعزز بقاء مصطلح دون غيره.
- ٨- قيام الإعلام بمسؤوليته في تعزيز المصطلحات من خلال الكلمة المسموعة والمكتوبة

والمرئية، فالتنسيق بين أجهزة الإعلام والمجامع والجامعات يسهم أيما إسهام في سيرورة المصطلحات وانتشارها.

- ٩- الأخذ بالحسبان الأعمال المترجمة في الترقية لأعضاء الهيئات التدريسية في الجامعات.
- ١٠- تخصيص جوائز في الجامعات والمجامع والمراكز للكتب المترجمة التي تعتمد المصطلحات التي تم إقرارها وقبولها.
- ١١- الربط الوثيق بين وضع المصطلح وتوحيده من جهة واستخدامه في الترجمة والتأليف والتدريس والبحث العلمي من جهة أخرى.
- ١٢- العناية بالتراث والبحث في أمهات الكتب فيه، وفي المخطوطات العلمية، عن المصطلحات في ميادين العلوم المختلفة، وتوجيه الباحثين في معاهد التراث إلى اختيار موضوعات رسائلهم في الماجستير والدكتوراه في مجال التراث العلمي العربي.
- ١٣- تمكين الدارسين في الجامعات من اكتساب المهارات اللغوية في اللغة الأجنبية وإتقانها إضافة إلى تمكينهم من إتقان المهارات اللغوية في اللغة العربية وذلك في ضوء نصوص وظيفية في مجالات اختصاصاتهم.
- ١٤- اعتماد التقنيات والحواسيب في الترجمة وفي تعليم اللغة وتعلمها، واعتماد معاجم حاسوبية في العلوم المختلفة.
- ١٥- الاستعانة بالأبحاث المتطورة بشأن الترجمة الآلية التي تدخل في اللغة العربية شريكة مع اللغات الأخرى.
- ١٦- وضع مساق في العلوم والحضارة العربية على أن يكون متطلباً أساسياً في الكليات الجامعية تتضمن مفرداته الأصول التراثية في التخصصات المختلفة.
- ١٧- تعزيز الانتماء إلى الأمة ولغتها. إذ بقدر ما يكون الانتماء عالياً تتحقق الأهداف وتذلل الصعاب.
- ١٨- ضرورة الانتقال من استهلاك العلم والتقانة إلى استنباطها عربياً ورصد الأموال الكافية للبحث العلمي في جميع الميادين.

خاتمة:

والخلاصة التي ننتهي إليها أن اللغة في تطور دائم، وأن سلامة اللغة العربية في تطورها ومواكبتها لروح العصر، وأنه آن لنا أن نتجاوز موضوع قدرة اللغة العربية على توليد المصطلحات ووضعتها إلى مشكلة أساسية في ظل العولمة، وهي أن نحافظ على ذاتيتنا الثقافية وهويتنا الحضارية، وإن يكون لنا نصيب في الحضارة البشرية والتجربة الإنسانية والإسهام في إغناء الحضارة الإنسانية نأخذ منها كما يأخذ غيرنا، ونبلغ الآخرين بلغتنا كما يبلغوننا بلغتهم على حد تعبير «عبد القادر المهيري»^(٣٨)، إذ لا مكان في هذا العالم إلا للأحياء المبدعين والأقوياء بإيمانهم وانتمائهم والمعتزين بأمّتهم عملاً دؤوباً، وصدقاً مع مجتمعهم وأنفسهم، وعزيمة جبارة تذلل العقبات.

الهوامش:

- ١- الدكتور حامد عمار- من همونا التربوية والثقافية- مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة الطبعة الأولى ١٩٩٥ ص ٥١.
- ٢- الدكتور محمود أحمد السيد- شؤون لغوية- دار الفكر- دمشق ١٩٨٨ ص ٤٩.
- ٣- الدكتور رفيق عطوي- تعليم اللغة العربية (صعوبات وحلول)- مؤتمر التدريس الفعال لمهارات اللغة العربية في المستوى الجامعي- جامعة الإمارات العربية المتحدة- العين ١٩٩٨ ص ٣٠٢.
- ٤- المرجع الثاني ص ٥٠.
- ٥- سورة النور (٣٣).
- ٦- الدكتور كاسد ياسر الزبيدي- الوزن الحضاري للعربية والتحديات المستقبلية- مجلة التعريب- العدد السابع عشر- حزيران ١٩٩٩ ص ١٩.
- ٧- المحاضر- البيان والتبيين- الطبعة الثالثة- مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٩/١.
- ٨- نقلاً عن الدكتور محمود أحمد السيد- المرجع الثاني- ص ٥١.
- ٩- المرجع السابق ص ٥٤.
- ١٠- أحمد الضبيب- المصطلح العربي في عصر العولمة- مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد ٧٣ الجزء ٣ تموز ١٩٩٨ ص ٦٩٥.
- ١١- مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ٣١٥/٤.
- ١٢- شحادة الخوري- التعريب والمصطلح- مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق- المجلد ٧٣ الجزء الرابع ص ٨٠٩.
- ١٣- الدكتور جميل صليبا- المعجم الفلسفي- دار الكتاب اللبناني- بيروت- الطبعة الأولى ١٩٧١ ص ١٢.
- ١٤- أبو حيان التوحيد- الهوامل والشوامل- القاهرة ١٩٥١ ص ١٠٤ نقلاً عن الدكتور جميل صليبا- المرجع السابق- ص ١٥.
- ١٥- مجلة مجمع فؤاد الأول للغة العربية ٢٢/١.
- ١٦- محمود مختار- مجمع اللغة العربية بالقاهرة ولغة العلم- مجلة مجمع اللغة العربية- الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية- القاهرة ١٩٨٥ الجزء ٥٧ ص ١٨.
- ١٧- محمد هيثم الخياط- نحو منهجية موحدة لوضع المصطلح العربي الحديث- الموسم الثقافي الثاني عشر لمجمع اللغة العربية الأردني- عمان ١٩٩٤ ص ٩٥.
- ١٨- مجلة المجمع العلمي العراقي- بغداد سنة ١٩٦٩ المجلد ١٧ ص ٢٩.
- ١٩- محمود السمرة- مجلة مجمع اللغة الأردني- العدد المزدوج ١٥-١٦ سنة ١٤٠٢ هجرية ص ٩٦.
- ٢٠- محمد هيثم الخياط- نحو منهجية موحدة لوضع المصطلح العربي الحديث- مرجع سابق.
- ٢١- مجلس وزراء الصحة العرب واتحاد الأطباء العرب ومنظمة الصحة العالمية والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم- المعجم الطبي الموحد- الطبعة الرابعة ١٩٨٤ (المقدمة).
- ٢٢- الدكتور جميل صليبا- المعجم الفلسفي- مرجع سابق ص ٨.

- ٢٣- مصطفى طاهر الحيادة- مشكلات تعريب المصطلح اللغوي المعاصر- ملخص رسالة ماجستير في كلية الآداب بجامعة اليرموك بإشراف الأستاذ الدكتور سمير استيئية- مجلة التعريب- العدد السابع- حزيران ١٩٩٤ ص ٢٠١.
- ٢٤- الدكتور ممدوح خسارة- إشكالية الدقة في المصطلح العلمي- مجلة التعريب العدد السابع- حزيران ١٩٩٤.
- ٢٥- الدكتور كاصد الزيدى- الوزن الحضاري للعربية والتحديات المستقبلية- مرجع سابق ص ٢٠.
- ٢٦- الدكتور رمضان عبد التواب- العربية الفصحى وتحديات العصر- محاضرات الموسم الثقافي الخامس بجامعة مؤتة ١٩٨٨-١٩٨٩ ص ١٦٤.
- ٢٧- الدكتور محمود أحمد السيد- شؤون لغوية- مرجع سابق- ص ٥٣.
- ٢٨- الدكتور ممدوح خسارة- مخاطر الافتراض اللغوي على العربية- مجلة التعريب العدد السابع عشر ١٩٩٩ ص ٢٥.
- ٢٩- الدكتور محمد زهير البابا- التعريب بين الماضي والحاضر- مجلة التعريب، العدد العاشر ص ٣٠.
- ٣٠- الدكتور كمال بشر- التعريب بين التفكير والتعبير- مجلة التعريب، العدد التاسع ١٩٩٥ ص ٤٢.
- ٣١- الدكتور محمد زهير البابا- التعريب بين الماضي والحاضر- مرجع سابق ص ٤٤.
- ٣٢- الدكتور محمد عابد الجابري- قضايا في الفكر المعاصر- مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ١٩٩٧ ص ١٣٥.
- ٣٣- الدكتور عبد السلام المسدي- قاموس اللسانيات- الدار العربية للكتاب- تونس ١٩٨٤ ص ٦٩.
- ٣٤- الدكتور حسام الخطيب- الأدب والتكنولوجيا وجسر النص المفرغ- المكتب العربي لتنسيق الترجمة والنشر- دمشق ١٩٩٦ ص ٧٩.
- ٣٥- المرجع السابق ص ٨٠.
- ٣٦- المعجم الوسيط- مجمع اللغة العربية- القاهرة ج ١/ ط ٣/ ص ٣٦٢.
- ٣٧- الدكتور حنفي بن عيسى- القواعد العامة للترجمة- مجلة التعريب- العدد السابع عشر- حزيران ١٩٩٩ ص ٤٤.
- ٣٨- عبد القادر المهيري- من قضايا العربية في عصرنا- مجلة المعجمية- جمعية المعجمية العربية- تونس ١٩٨٥ ص ٨.

الفصل السادس

التجربة السورية في وضع المصطلحات

محتويات الفصل:

أولاً- أهمية وضع المصطلحات.

ثانياً- من أسباب فوضى المصطلحات.

ثالثاً- التجربة السورية في وضع المصطلحات.

أ- معجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات للدكتور «كلير فيل».

ب- معجم المصطلحات الجراحية.

ج- المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية.

د- معجم المصطلحات الحديثة.

هـ- معجم مصطلحات العلوم الفيزيائية.

رابعاً- صوى على طريق منهجية وضع المصطلحات.

الفصل السادس

التجربة السورية في وضع المصطلحات

نحاول في هذا البحث الموجز أن نتعرف أهمية وضع المصطلحات، وأن نشير إلى عدد من أسباب فوضى المصطلحات على نطاق الساحة القومية، ومن ثمّ نقف على بعض من مناحي التجربة السورية في وضع المصطلحات، لنرسم أخيراً عدداً من الصوى في مجال منهجية وضع المصطلحات وتوليدها.

أولاً . أهمية وضع المصطلحات

وجه الملك الصيني قديماً السؤال التالي إلى الفيلسوف الصيني «كونفوشيوس»:

أريد أن أصلح الدولة فيماذا أبدأ ؟

فأجابه الفيلسوف:

ابدأ بإصلاح اللغة وحدد المصطلحات.

ولكم كانت إجابة هذا الفيلسوف الحكيم دقيقة وصائبة! ذلك لأن تحديد المصطلحات يساعد على وضوح الرؤية وإيجاد اللغة المشتركة فهماً وتمثلاً وأداءً، كما أن تثبيت المصطلحات العلمية لا يفيد العلماء وحدهم، بل يفيد المعلمين والمتعلمين في الوقت الذي يفيد فيه جمهور القراء، فله إذن فائدة تربوية وفائدة اجتماعية معاً.

أما الفائدة التربوية فهي أن تثبيت الاصطلاحات يستلزم تحديد معاني الألفاظ وتوضيحها، فلا يستعمل اللفظ إلا فيما وضع له، ولا يدل على المعنى الواحد إلا بلفظ واحد. وفي ذلك تيسير لعمل المعلمين والمتعلمين معاً لأن المعاني إذا كانت محددة سهل على المعلم شرحها، وعلى المتعلم فهمها، وكذلك الألفاظ إذا كانت مطابقة للمعاني صار استعمالها أدق ووضوحها أتم^(١).

وأما الفائدة الاجتماعية فهي أن تحديد معاني الألفاظ يسهل على الناس التفاهم فيما بينهم، فلا يتكلمون بما لا يعلمون، ولا يحاورون فيما لم يتضح لهم من المعاني، فإذا أردت أن

تحسم الخلاف بين الناس، وتخفف التفاهم بين أصحاب المذاهب المتشابهة فابداً أولاً بتحديد هذه المعاني تحديداً علمياً واضحاً، لأن هذا التحديد يقرب الآراء بعضها من بعض، ويوفر على الناس كثيراً من الوقت والجهد.

وإذا كانت الألفاظ التي يستعملها المترجمون المحدثون هي من أكثر الألفاظ احتياجاً إلى التحديد لأنهم لا يطلقون على المعنى الواحد لفظاً واحداً، فإن استمرار هذه الحال يؤدي إلى كثير من الفوضى والاضطراب، فبعضهم يترجم كلمة Intuition بكلمة «حدس»، وبعضهم يترجمها بالبدهة أو الاكتناه أو الاستبصار، وبعضهم يترجم كلمة Conscience بالشعور، وآخرون يترجمونها بالوعي^(٢).

ولو كان ثمة اتفاق على مصطلح واحد يستخدمه المترجمون والمعلمون والكتاب... الخ لأدى ذلك إلى تواصل لغوي فعال وفهم مشترك بين المرسل من طرف والمستقبل من جهة أخرى.

ثانياً. من أسباب فوضى المصطلحات

من الملاحظ على وضع المصطلحات على نطاق الساحة القومية غياب المنهجية الموحدة لوضع المصطلحات وتوليدها، وغياب التنسيق بين الجهات المعنية بوضع المصطلحات والعفوية لدى بعض واضعي المصطلحات، فالموبايل وضع له «النقل، الجوال، الخليوي، المحمول، الجيبي»، وثمة محلية في وضع بعض المصطلحات من غير الاستناد إلى الرصيد اللغوي المشترك والمتداول على الصعيد القومي، إضافة إلى عدم اعتماد معيار للاستعمال وغياب المتابعة لتعرف الصعوبات بغية تجاوزها.

ومن الملاحظ أيضاً تعدد المقابلات للمصطلح الواحد فقد وضعت المقابلات التالية: «إدغام، تماثل، تشابه، مماثلة، مجاورة، مشابهة، انسجام، استيعاب أمام Assimilation» ووضع «اتفاق، اتحاد، تحالف أمام Alliance»، وسمّة وتأشيرة أمام Visa، ومِلاك في الشام هو كادر في مصر، ودائرة في الشام هي مصلحة في مصر، ومصرف في الشام هي بنك في مصر، والإضبارة في الشام هي مَلَف في مصر، والخطّار في مصر مقابل Pendule في حين هو النّوّاس في الشام، والرّقاص في العراق.

ولقد حاول بعض الباحثين أن يرصد أسباب فوضى المصطلحات فألفى أن من بين هذه الأسباب^(٣):

١- جهل واضعيها: إذ إن بعض المصطلحات الجديدة يصلنا بطريق الأنباء الصحفية والإذاعية، وتقع مسؤولية ترجمة هذه الأنباء لوسائل الإعلام المختلفة على عاتق المترجمين العاملين لدى هذه الوكالات بناء على اجتهاداتهم الشخصية، ذلك لأن المترجم لا يمكن أن يكون عالماً بمختلف حقول المعرفة العلمية والتقنية، فيعمد إلى تعريف المصطلح «فاكس مثلاً» أو أن يضع له مقابلاً عربياً بناء على المعنى المعجمي للكلمة، أو على تصوره للاختراع الجديد. ويشق المصطلح طريقه إلى ألسنة العامة والخاصة قبل أن ينتبه له العلماء والمتخصصون ومجامع اللغة العربية، فيسعون إلى تصويبه أو إيجاد البديل الأفضل للمصطلح الأجنبي، ولكن بعد فوات الأوان.

٢- تعدد واضعيها: ثمة عشرات الهيئات العامة والخاصة في الوطن العربي تعنى بوضع المصطلحات «مجامع اللغة العربية، الاتحادات العلمية والمهنية العربية، المنظمات العربية، الشركات الأجنبية، دور النشر العربية... الخ». وفي غياب التنسيق بين هذه الجهات المختلفة يحدث التكرار والتباين في المصطلحات.

٣- تعدد مناهج واضعيها: فبعضهم يميل إلى المصطلحات العربية التراثية مثلاً، في الوقت الذي يتجه فيه بعضهم الآخر إلى الألفاظ العربية الحديثة، وبعضهم يمنع التعريب (أي نقل المصطلح الأجنبي بصورته الأصلية مثل «بنك وتلفون» وآخرون لا يجدون حرجاً في الإكثار منه، وبعضهم يشجع على النحت في الوقت الذي يعترض عليه آخرون.

٤- غياب وسائل النشر المصطلحي الفعّالة: ثمة قصور في نشر المصطلحات وبعضها موحد وموحد على نطاق الساحة القومية، إذ يكاد لا يخرج من الهيئة العلمية الواضعة له.

٥. الجهل بالمصطلحات التراثية والحديثة من حيث قلة الجهود للتعريف بالتراث العلمي للأمة العربية وضعف وسائل النشر المناسبة للتعريب بما تنتجه المجامع اللغوية والهيئات العلمية الأخرى.

٦- اختلاف الخلفية الثقافية واللغوية للمترجمين: فالآلة الواحدة قد تسمى اسمين تبعاً للغة المصدر أو المترجم منها، فالحاسوب: حاسب آلي في مصر من Computer، وهو

«نظام» أو «رتابة» في المغرب العربي من الكلمة الفرنسية Ordateur. ومرض
«الإيدز» في الإنجليزية و«السيدا» في الفرنسية... وهكذا.

٧- غياب التنسيق العربي الفعّال في مجال المصطلحات، ويحدث ذلك حتى في البلد الواحد
وبين جامعاته ومؤسساته العلمية، كما أن هنالك غياباً للتنسيق بين اتحاد المجامع اللغوية
العربية وبينه وبين مكتب تنسيق التعريب.

٨- غياب الالتزام الصارم والدقيق من المؤلفين والمترجمين وتقاعسهم في البحث عن
المصطلحات العلمية الصحيحة والمناسبة...

ثالثاً. التجربة السورية في وضع المصطلحات

بدأ المجمع العلمي العربي بدمشق أعماله عام ١٩١٩ «مجمع اللغة العربية حالياً»
متوخياً خدمة اللغة العربية في المجال الحكومي، وذلك بإصلاح لغة الدواوين، ولغة التعليم
والتدريس والكتب المدرسية. ومواجهة مقاصد الحضارة الواسعة ومطالب الحياة العصرية في
القرن العشرين.

ونص بند من بنود إنشاء المجمع على أن يتم تعليم كل العلوم في الجامعات السورية باللغة
العربية فقط، وأن يعمل المجمع على مد الجامعات بما فيها حقها من تيسيرات تعريبية.

وانطلاقاً من الإيمان بالتعريب لم يستسلم الأساتذة للعجز الذي كان يهيمن على اللغة
العربية بفعل التثريب الذي مس أركان الدولة كلها، ولم يترثوا في عملية التعريب حتى تتوافر
المصطلحات، وإنما رأوا أن البداية هي التي تفسح في المجال لتوليدها المصطلحات، وأن
الاستعمال هو الذي يعمل على توحيدها^(٤).

وهكذا كانت مسيرة التعريب تدور في نطاق:

١. الإيمان بالتدريس باللغة العربية في الجامعة السورية.

٢. أساس كل عمل هو البداية.

٣. اعتماد الترجمة من اللغات العلمية.

٤. اعتماد التعريب التدريجي الشامل ضمن خطة شاملة للتعريب.

٥. علاج كل خطأ بالتدريب والتوجيه والمعايشة وتحسين اللغات الأجنبية.

٦. تعريب الطب يجيء في مقدمة الأولويات.

وشمّر رجال المجمع عن سواعدهم بحثاً وتنقيباً في بطون المعاجم عن المفردات العربية القديمة بغية وضع المصطلحات مقابل المصطلحات الأجنبية، وها هو ذا الطبيب محمد جميل الخاني يقول: «إن كل معنى يحول في الذهن لا بدّ أن يكون له لفظ في اللغة العربية ولو كان كامناً في أغوار معاجمها، وينبغي ألا يتجاوز المعرب عقبة من عقبات المصطلحات دون تذليلها بترجمتها إلى العربية، ولو تكبد في ذلك أعظم المشقات».

وفي ضوء هذا التوجه قام الدكتور مأمون الحموي بوضع المصطلحات الدبلوماسية وقد طبع معجم المصطلحات الدبلوماسية في دمشق عام ١٩٤٩ واشتمل على ٤٠٠ مصطلح.

وقام الدكتور عدنان الخطيب برصد لغة القانون في الدولة العربية، وقد طبع هذا العمل في دمشق عام ١٩٥٢.

ومن يتصفح مجلة مجمع المعهد العلمي العربي بدمشق يجد بحوثاً عن المصطلحات العلمية، أنجزتها كوكبة من العلماء في مختلف ميادين المعرفة، وكانت تعبّر عن رأي أصحابها، ومنها:

. إسهامات الدكتور أمين معلوف في النبات وأسماء النجوم.

. إسهامات الدكتور جميل الخاني في علم الطبيعة.

. إسهامات الدكتور داود الشلبي في الجواهر.

. إسهامات الدكتور حسني سبيح والدكتور مرشد خاطر في الطب الباطني.

. إسهامات الدكتور صلاح الدين الكواكي في الكيمياء.

ومن المبادئ التي روعيت في هذه الإسهامات:

١- يصاغ للدلالة على الحرفة أو شبهها من أي باب من أبواب الثلاثي مصدر على وزن

فَعَالَة بكسر العين مثل غِرَاسَة، نَحَالَة، سِمَاكَة... الخ.

٢. تصاغ «مفعلة» قياساً من أسماء الأعيان الثلاثية الأصول للمكان الذي تكثر فيه الأعيان سواء أكان من الحيوان أم من النبات أم الجماد مثل: مَلْبَنَة، مَزِيدَة، مَبْقَرَة...

٣. يصاغ قياساً من الفعل الثلاثي على وزن مَفْعَل ومفعلة ومفعال للدلالة على الآلة التي يعالج بها الشيء «مبضع، مملسة».

٤. يصاغ «فُعَال» للمرض مثل: زُهَار، صُدَاع، كُسَاح، غُصَاب...

٥. يصاغ «فَعَال» للاحتراف مثل: زَهَّار، نَحَّال.

٦. ينسب إلى جمع التكسير مثل: أخلاقي، وظائف، ملوكي، شعوي، ملائكي... الخ.

٧. يفضل استخدام كلمة واحدة في وضع المصطلحات، فكلمة «حديدية» نجدها في الفرنسية أربع كلمات Un morceau de fer، وكلمة «مشى» في العربية نجدها ثلاث كلمات في الفرنسية Il a marché.

ومن الأعمال الرائدة التي تم وضعها في مجال المصطلحات:

أ - معجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات للدكتور «كليرفيل»:

نقله إلى العربية الأساتذة مرشد خاطر، أحمد حمدي الخياط، محمد صلاح الدين الكواكي، وطبعته الجامعة السورية عام ١٩٥٦، ويشتمل هذا المعجم على ١٤٥٣٤ مصطلحاً.

ويقول المترجمون: «لقد جرينا في هذه الترجمة على الأسس أو القواعد الآتية:

١- تحري المعنى الصحيح لكل كلمة من كلمات هذا المعجم والكثير من مرادفاتها لانتخاب الكلمة العربية الصريحة الموافقة لهذا المعنى أولاً، فإن كان لهذه الكلمة أو المصطلح ترجمة سابقة صحيحة أثبتناها، وإن كان لها مرادفات بمعناها نفسه أثبتنا بعض تلك المرادفات زيادة في الإيضاح، وإن لم يكن لهذه الكلمة ترجمة صحيحة عمدنا إلى وضع ترجمة صحيحة ما أمكن وفق معناها الحقيقي، مستعينين في ذلك ببعض طرق الاشتقاق المقررة، فإن كانت الكلمة آلة عمدنا إلى اشتقاق اسم آلة من معناها كالمص والمبعدة، وإن كان مكاناً أو موضعاً لفعل ما استعملنا لها اسم مكان كالمصرة والمعد، وإن كان مصدراً لعمل ترجمناها بالفعل الماضي لذلك العمل.

ودرجنا في ترجمتنا على بعض الأوزان المخصصة قديماً لإيضاح بعض المعاني كوزن فَعَلَ للدلالة على المرض كالفَيْل لداء الفيل، وخصصنا وزن استفعل للكلمات التي يقصد منها الاستشفاء كاستلقاح واستمصال، واستعملنا وزن «فَعول» و«فَعولية» في ترجمة الكلمات المنتهية بـ «Able» و «Abilité» فقلنا: «رَدود» و«رَدودية» فيما كان يستعمل فيه قابل للرد أو قابلية للرد، كما قالت العرب شَرُوب في «Potable» مثلاً، ووزن «فُعال» للداء في حشو أو عضو: ككُبَاد، وُعْصَاب، وُضْدَاع... الخ.

٢. في الكلمات التي لم نختد إلى ترجمة صحيحة لها، كنا نعمل لوضع كلمة أقرب ما تكون من معناها الصحيح كالحمة.

٣. لم نعمل إلى التعريب جهدنا، ما خلا الأسماء الخاصة التي سعينا إلى تعريبها بشكل أقرب ما يكون لفظها في لغتها التابعة لها.

٤. لم نلجأ إلى الاشتقاق من بعض الكلمات المعربة إلا في الحاجة القصوى كالبِسْطَرَّة.

٥. اضطررنا للنحت في بعض الكلمات التي تدعو الحاجة إليه بإلحاح كالنسبة والإضافة إلى تلك الكلمات كالكريراء منحوتة من الكرية الحمراء وجمعها كيريراوات، وكريضاء للكزية البيضاء وجمعها كريضات أو كريضاوات.

٦. لقد تركنا أكثر الأسماء الكيماوية والمصطلحات الكيماوية على حالها غالباً، خشية الفوضى والاضطراب... لعل أرباب التخصص فيها يقومون بواجبهم في مثل ذلك من إقرار إجماعي يفصل فيها.

٧. لقد حرصنا في أكثر ما أثبتناه من كلمات عربية على شكلها على أصح وجوها بحسب ما عثرنا عليه من كتب اللغة الموثوق بها.

ب - معجم المصطلحات الحراجية:

وهو معجم بالإنجليزية والفرنسية والعربية مع تعريف المصطلحات بالعربية وقد وضعه الأمير مصطفى الشهابي، وقام الجمع العلمي العربي بدمشق بطبعه عام ١٩٦٢، وقد نقله إلى

العربية عن الترجمة الفرنسية المعوّل عليها لدى منظمة الأغذية والزراعة التابعة للأمم المتحدة (فاو).

يشتمل المعجم على ٩٨٧ مصطلحاً بالإنجليزية يقابلها أكثر من ذلك العدد في كل من الإفرنسية والعربية مع تعريفاتها بالعربية، وأصل هذه المصطلحات وتعريفاتها إنجليزي، وله ترجمة إفرنسية دقيقة هي التي نقلت إلى العربية.

اعتمد الأمير في وضع المصطلحات العربية أو تحقيقها القرارات العلمية التي اتخذها مجمعا دمشق والقاهرة في قياسية عدد من الأوزان والجموع مثل:

١- إجازة الاشتقاق من أسماء الأعيان لضرورة علمية فقال بَرَعَمَ Ecussonner من البُرْعَم، وأَقْلَمَ Acclimater من الإقليم. والمشتقات من أسماء الأعيان عند القدماء تعد بالئات مثل: كَبِرَتَ من الكبريت، وذَهَبَ من الذهب، وعصفر من العصفرة، وَبَنَجَ من البنج... الخ.

٢- قرار التضمن أي تضمين الألفاظ اللغوية معاني اصطلاحية كتضمن فعل شَجَرَ معنى «غَرَسَ Planter».

٣. قرار اشتقاق «فعالة» للحرفة من أبواب الثلاثي كالغراسة من غَرَسَ، والرِسامة من رَسَمَ.

٤- قرار إجازة النسبة إلى جمع التكسير عند الحاجة فالدُّوْلِي غير الدُّوْلِي، والبساتيني غير البستاني، ولقد أسمى المعجم «معجم المصطلحات الحراجية» لا معجم المصطلحات الحرجية نسبة إلى الحَرْجَة وإنما إلى الحِراج. واستعملت كلمة «حَرْجَة لا غابة أمام كلمة Forêt»، والحراج والأحراج هي التي كانت تستعمل في كتبنا القديمة «الحراج السلطانية» في زمن الأيوبيين والمماليك وقوانين الدولة العثمانية.

٥. إجازة جمع الصفة التي تكون على وزن فعلاء بالألف والتاء مثل خضراوات وشجراوات.

٦. إجازة تركيب «لا» النافية مع الكلمة العربية مع مراعاة الذوق، وذلك في مثل «لا أحيائي Abiotique».

٧- قياسية مصادر سميت «المصادر الصناعية» وهي التي يزداد فيها على الكلمة ياء النسب

والتاء مثل فعّاليّة Activité. وأمثال ذلك عند القدماء كثير كقولهم جاهليّة وكميّة وكيفيّة وعروبيّة...

٨- قبول كلمات مولّدة مشهورة وردت في المعجم الوسيط مثل شَتَل وكذلك شَتَلٌ للتكثير والمبالغة والشتلة أي الغرسة، والمشتل، ومثل شَجَر بمعنى غرس Planter، وقد جعلت الألفاظ المولدة بين قوسين تفريقاً لها عن غيرها.

وتجدر الإشارة إلى أن المصطلحات الإنجليزية المرتبة على حروف المعجم هي الأساس، وقد جعل لكل منها رقم، ووضع فهرس عربي وآخر فرنسي للمصطلحات العربية والفرنسية، فصار من السهل على من يطالعون العلوم الحراجية بإحدى هاتين اللغتين الرجوع إلى الأصل حيث يجدون المصطلح الإنجليزي والتعريف العربي.

ولقد تضمن المعجم فهرساً للألفاظ العربية وأرقامها وقد رتبت ترتيباً ألفبائياً وفهرساً للألفاظ الفرنسية، وقد رتبت ترتيباً ألفبائياً أيضاً.

ج - المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية للأستاذ الدكتور جميل صليبا، وقد قامت بطبعه دار الكتاب اللبناني بيروت عام ١٩٧١:

أشار واضعه الأستاذ الدكتور جميل صليبا إلى الطريقة الصحيحة والسبل الواضحة التي يجب على العلماء اتباعها في وضع المصطلحات العلمية، وهي عنده تنحصر في القواعد الآتية:

القاعدة الأولى: هي البحث في الكتب العربية القديمة عن اصطلاح مستعمل للدلالة على المعنى المراد ترجمته، ويشترط في هذه القاعدة أن يكون اللفظ الذي استعمله القدماء مطابقاً للمعنى الجديد، فإذا وجدناه مطابقاً له أطلقنا عليه دون تبديل أو تغيير، مثال ذلك أن القدماء أطلقوا لفظ (الجوهر) على المعنى الذي تدل عليه كلمة «Substance»، وأطلقوا لفظ المقولات على المعنى الذي تدل عليه كلمة «Catégories».

والقاعدة الثانية: هي البحث عن لفظ قدم يقرب معناه من المعنى الحديث فيبدل معناه قليلاً، ويطلق على المعنى الجديد، مثال ذلك ما ترجمنا به لفظ Intuition فقد أطلق على هذا المعنى اسم «الحُدس».

والقاعدة الثالثة: هي البحث عن لفظ جديد لمعنى جديد مع مراعاة قواعد الاشتقاق العربي كأن يستعمل لفظ «الشخصية» للدلالة على Personnalité، ولفظ «الاستبطان» للدلالة على «Introspection»، ولفظ الاهتمام للدلالة على Intérêt، ولفظ «التكيف» أو «الموافقة» للدلالة على Adaptation، فهذه كلها اصطلاحات حديثة لم يستعملها القدماء. وهذا شبيه بما فعله القدماء من استعمال كلمة «قوة» للدلالة على Puissance، وكلمة «فعل» للدلالة على Acte وكلمة «صورة» للدلالة على Forme، وكلمة «إمكان» للدلالة على Possibilité.

والقاعدة الرابعة: هي اقتباس اللفظ الأجنبي بحروفه على أن يصاغ صياغة عربية، وهو ما يطلق عليه اسم «التعريب» كقولنا «هرمية» في ترجمة Hormique أو قولنا الديمقراطية في ترجمة Démocratie.

د - معجم المصطلحات الحديثة:

صنّف هذا المعجم بالعربية الدكتور نور الدين العتر الأستاذ في كلية الشريعة بجامعة دمشق، وقد ترجمه وصاغه بالفرنسية الدكتور عبد الله الشيرازي الصباغ عضو الهيئة التدريسية في الكلية، والدكتور داود عبد الله كريل. وقام بجمع اللغة العربية بدمشق بطابعته عام ١٩٧٦.

ولقد رتب فيه المصطلحات ترتيباً ألفبائياً، وفي كل صفحة من صفحات المعجم ثلاثة جداول:

. جدول المصطلحات وشرحها باللغة العربية إلى اليمين.

. جدول ترجمة المصطلحات وشروحها باللغة الفرنسية.

. جدول الإحالات إلى مصادر الاصطلاحات.

والواقع يعد هذا العمل في مجال المعجمات المتخصصة، وكان العمل في ميدان المعجمات المتخصصة قد بوشر فيه من قبل فقد وضع الأستاذ الدكتور حسني سبوح «معجم الألفاظ والمصطلحات الفنية الواردة في أمراض الجملة العصبية» وقامت الجامعة السورية بطابعته عام ١٩٣٥، وكان آنئذ أستاذاً للأمراض العصبية والباطنية في المعهد الطبي العربي بدمشق، وصدر في دمشق أيضاً "معجم الرياضيات المعاصرة" وقد قام بوضعه ثلاثة من أساتذة الرياضيات في جامعة

دمشق وهم: الدكتور صلاح الأحمد، والدكتور موفق دعبول والدكتورة إلهام الحمصي عام ١٩٨٣.

هـ - معجم مصطلحات العلوم الفيزيائية عام ٢٠٠٧:

قامت لجنة مصطلحات العلوم الرياضية والمعلوماتية والفيزيائية والكيميائية بوضع معجم مصطلحات العلوم الفيزيائية عام ٢٠٠٧.

وقد عملت على توحيد المصطلحات المستعملة فعلاً في الجامعات السورية، تمهيداً لتوحيد المصطلحات في هذا الميدان في الوطن العربي كله.

والمعجم ثلاثي اللغات «عربي وإنجليزي وفرنسي»، ويشتمل على تعريفات المصطلحات، كما أنه يشتمل على الأصول اللاتينية واليونانية للمصطلح إن وجدت.

ويراعي هذا المعجم في اختيار المصطلح الموحد ما يساعد على توحيد المصطلحات في الوطن العربي كله.

وقد تضمنت خطة العمل أربع مراحل وهي:

المرحلة الأولى:

١. جمع مصطلحات علم الفيزياء من الكتب الجامعية وتذخيرها في الحاسوب «عدد الكتب التي زودت بها اللجنة ٨٠ كتاباً بلغ عدد مصطلحاتها زهاء ٧٦٥٠ مصطلحاً».

٢- تنظيم جداول المصطلحات: جدول يتألف من ستة أعمدة أو حقول: اثنان منها للمصطلح باللغة الإنجليزية والفرنسية، وثالث لمصطلحات الجامعات السورية المقابلة للمصطلح بلغة أجنبية، ورابع للمصطلح المقابل الذي اختارته اللجنة، والخامس مقابل للمصطلح في معجم هيئة الطاقة الذرية السورية والسادس لمعجم مصطلحات مكتب تنسيق التعريب، ولقد اختيرت مصطلحات مكتب تنسيق التعريب باعتبارها موحدة في الوطن العربي كله، وقد فضّلت على مصطلحات مجامع اللغة العربية لأنها أوسع انتشاراً منها وذيوعاً.

٣- تحديد الكتب الجامعية التي اعتمدت مصطلحاتها في المشروع: أقرت اللجنة الاكتفاء في هذه المرحلة بالكتب الجامعية التي حوت فهرساً بالمصطلحات المستعملة فيها.

٤- اختيار المصطلح الموحد بين الجامعات السورية، وقد قبلت اللجنة أحياناً أكثر من مصطلح عربي واحد مقابل المصطلح الأجنبي إذا كانت جميعها تؤدي المعنى بالدرجة نفسها من الجودة مع تفضيل أحدها في حالات، وتفضيل آخر في حالات أخرى وفق السياق أو التركيب.

المرحلة الثانية:

- إعداد نسخة ثلاثية اللغات بإدخال اللغة الفرنسية وإصدارها، وتقوم هذه المرحلة على:
- ١- عرض ما تقرره اللجنة من المصطلحات على لجنة تنسيق المصطلح في الجمع بغية إزالة التضارب بينها وبين اختصاصات أخرى وحرصاً على اتساق المصطلحات.
 - ٢- إرسال نسخة من مصطلحات الفيزياء الموحدة إلى الجامعات باللغتين العربية والإنجليزية فقط لدراستها وإبداء الملاحظات عليها.

٣. إعداد النسخة الثلاثية اللغات بإدخال الفرنسية وإصدارها، ومن ثم ترسل إلى الجامعات.

المرحلة الثالثة:

. إصدار نسخة منقحة مع تعريفات موجزة للمصطلحات.

المرحلة الرابعة:

يُوسَّع المعجم بالمصطلحات التي لم ترد في الكتب الجامعية المدروسة، بالاعتماد على معجم أو أكثر من المعجمات المعتمدة على نطاق واسع «معجم أكسفورد أو معجم لونجمان في الفيزياء على سبيل المثال».

ملاحظات:

- ١- رتبت المصطلحات في المعجم بمدخل إنجليزي يعتمد الترتيب الهجائي الإنجليزي لحروف كلماتها، ورقمت وفق أرقام متسلسلة تعطي رقماً لكل مصطلح، فيبقى ملازماً له في مسارد اللغات الثلاث.

٢. تضمن المعجم مسردين مدخل أحدهما فرنسي، ومدخل الآخر عربي، ويرافق كل مصطلح فيها رقمه حتى يسهل الرجوع إليه في المدخل الإنجليزي، ومنه إلى أي واحدة من اللغات الثلاث.

٣. اتبع المعجم علامات الترقيم الاصطلاحية التالية:

: تدل على أن ما بعدها شرح أو تعليق.

() تدل على أن ما بين القوسين هو رمز أو اختصار للمصطلح.

، أو ' تفصل بين المقابلات المتعددة العربية أو الأجنبية.

٤- استخدمت المختصرات التالية للدلالة على الأصل الذي تيسر للمصطلح الإنجليزي،

وكتب تحته أكسفورد. Lat: لاتيني. Gr: يوناني، Ar: عربي، Ge: ألماني، It: إيطالي...

٥- إثبات حرف العلة في أواخر كلمات المصطلحات العربية بصرف النظر عن محلها من

الإعراب، حفاظاً على الأصل الكامل للكلمة مثل: «موازي» مقابل: Parallel.

رابعاً. صوى على طريق منهجية وضع المصطلحات

ثمّة ضرورة ملحة على الصعيد القومي لوضع مصطلحات موحدة، على أن يلتزم باستخدامها المعنيون كافة، ولنتخذ من التجربة السورية مثلاً لنا في هذا المجال، فلقد كان أساتذة الجامعة السورية يستخدمون المصطلحات التي اتفقوا عليها في كلية الطب في ضوء معجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات للدكتور «كليرفيل»، ولكن عندما ظهر المعجم الطبي الموحد تخلوا عن كثير من المصطلحات التي كانوا يستخدمونها، والتزموا المصطلحات الواردة في المعجم الطبي الموحد ما دام موحداً، ولقد زاد عدد المصطلحات في هذا المعجم من ٢٥٠٠٠ مصطلح إلى ١٥٠٠٠٠ مصطلح.

ومن الأمور التي روعيت في وضع المصطلح الشيعي ويسر التداول والملاءمة اللغوية، ففي المظهر الصوتي روعيت سهولة اللفظ وخفته وطواعيته للاشتقاق وجواز التعريب على سنن القدماء ووضع منهجية لتعريب ونقل الأصوات وحروف اللغات الأجنبية إلى العربية، وفي المظهر الصرفي روعي التوسع في الاشتقاق، وإعطاء الأهمية للقياس والأخذ بالنحت والتركيب المزجي،

وفي المظهر الدلالي روعي الأخذ بالمجاز والدقة الدلالية بين المصطلح ومفهومه، واختيار المصطلح الواحد للمفهوم الواحد وتعريف المصطلح، وفي المظهر الاجتماعي روعي قبول السماع من المحدثين والاستئناس برأي أهل الصناعة والحرف.

وتتجه المعاجم حالياً في بعض من مساراتها إلى الاختصاص الواحد، ومن مواصفات هذه المعاجم ذات الاختصاص الواحد:

١- مقابلة المصطلح بالتعريف الذي يكشف مفهومه ويبين حدوده لا الاكتفاء بمجرد وضع مقابل عربي له.

٢- الدقة والشمولية فلا بدّ من وضع هيكلية دقيقة محكمة تنأى به عن التداخل في المفاهيم.

٣- الخلو من الترادف والاشتراك والتضاد.

٤- الاقتصار على إيراد مصطلحات العلم المخصوص به.

٥- الانطلاق من رؤية شمولية للدوال والمدلولات.

٦- احتوائه على الشرح وضرب الأمثلة.

٧- تعدد الألسنة أو ثنائية اللسان على الأقل.

وتتلخص منهجية وضع المصطلحات في المعاجم المتخصصة في^(٥):

١- تعريب المصطلح وتوليده ووضع قيد الاستعمال ونقل المعاني والأفكار.

٢- المراجعة الدائمة للمعاجم المتخصصة لاستيعاب المصطلحات الجديدة.

٣- مراعاة الصوتية والبنوية.

٤- مراعاة النطق السهل في رسم الألفاظ المعربة.

٥- الضبط بالشكل للمعرّب حرصاً على صحة نطقه.

٦- تفضيل اللفظة الواحدة على العبارة.

٧- مراعاة الإيقاع الصرفي العربي دون الوزن الصرفي.

٨. النقل وفق مقتضى حروف العربية البحتة من غير زيادة فيها فقرة توضع حروفها العربية في حين أن Kobba الأجنبية المقابلة لها لا نجد فيها حرف القاف.
٩. تفضيل الكلمة التي تسمح بالاشتقاق على الكلمة التي لا تسمح.
ومن الأمور التي لا بدّ من أخذها بالحسبان:
 ١. ضرورة إشراك المثقفين في نشر المصطلح.
 ٢. ضرورة تدريس مقرر أسس وضع المصطلحات العلمية في الجامعات.
 ٣. اضطلاع الحكومات العربية بمسؤولياتها في إلزام الجهات المعنية بقرارات مجامع اللغة العربية وتوصياته ومقترحاته، وتوحيد المصطلحات على المستوى القومي.
 ٤. توزيع المسؤوليات على الجامعات ودور النشر والإعلام ومؤسسات الترجمة والمنظمات العربية والإقليمية والدولية... الخ للقيام بأدوارها في هذا المجال.
 ٥. إنشاء شبكة عربية للمعلومات والأنشطة المصطلحية.
 ٦. توحيد المصطلحات، على أن يقوم مكتب تنسيق التعريب بالتنسيق مع اتحاد المجامع اللغوية العربية بهذا الخصوص.

حواشي الفصل:

- ١- الدكتور جميل صليبا- المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية- دار الكتاب اللبناني- بيروت- ١٩٧١ ص٩.
- ٢- المرجع السابق ص١٠.
- ٣- الدكتور محمود إسماعيل صالح- فوضى المصطلحات في الكتابات العربية- مجلة دراسات مصطلحية- العدد الثالث ٢٠٠٣ المغرب ص١١٨.
- ٤- الدكتور محمود أحمد السيد- في قضايا التعريب- مطبعة العجلوني- دمشق ٢٠٠٢ ص٩٧.
- ٥- الدكتور وليد محمد سراقي- فوضى المصطلح اللساني- مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق- مجلد ٨٣ ج ٢ عام ٢٠٠٨ ص٣٩٥.

الفصل السابع

من جهود مجمع اللغة العربية بدمشق في وضع المصطلحات

محتويات الفصل:

أولاً- مبادئ ومنطلقات.

ثانياً- من أساليب العمل.

ثالثاً- من إنجازات المجمع.

رابعاً- توصيات

الفصل السابع

من جهود مجمع اللغة العربية بدمشق في وضع المصطلحات

غني عن البيان أن مجمع اللغة العربية بدمشق يعد من أقدم الجامعات اللغوية العربية على نطاق الساحة القومية، إذ إنه أنشئ عام ١٩١٩ وكان اسمه إبان افتتاحه «المجمع العلمي العربي» وقد هدف آنذاك إلى خدمة اللغة العربية في المجال الحكومي، وذلك بإصلاحه لغة الدواوين، ولغة التعليم والتدريس والكتب المدرسية، ومواجهة مقاصد الحضارة الواسعة ومطالب الحياة العصرية في القرن العشرين، واعتماد اللغة العربية في تعليم كل العلوم في الجامعات السورية، ومدّ الجامعات بالتيسيرات التعريبية.

ونحاول فيما يلي تعرف المبادئ التي انطلق منها المجمعيون، وتبسيط الأضواء على بعض من أساليب عملهم، وذكر باقية من إنجازاتهم عبر مسيرة المجمع حتى وقتنا الحالي.

أولاً. مبادئ ومنطلقات

انطلقت مسيرة التعريب في سورية من المبادئ الآتية:

١- الإيمان بالتعريب والتدريس باللغة العربية في الجامعة السورية، إذ لم يستسلم الأساتذة للعجز الذي كان يهيمن على اللغة العربية بفعل التتريك الذي مس أركان الدولة كلها، وظلوا مصرين على التدريس باللغة العربية إبان الانتداب الفرنسي على سورية، ولم تفلح محاولات الانتداب في تحويل التدريس من العربية إلى الفرنسية على الرغم من كل المحاولات التي باءت كلها بالإخفاق، إلا أن الأمانة التاريخية تدفعنا إلى ذكر أن ثمة من كان منصفاً من العلماء الفرنسيين في تهنئة أساتذة الجامعة السورية على اعتمادهم اللغة العربية في التدريس، فهذا هو ذا السيّد «بونور» مدير المعارف العام في المفوضية العليا إبان الانتداب الفرنسي يخاطب أساتذة الجامعة السورية في احتفال أعد فيها قائلاً: «لستم مخطئين في اختياركم اللغة العربية في التدريس، بل كونوا واثقين أنكم أحسنتم صنعاً بانتقائها، فإن من يزعمون أن اللغة العربية غير صالحة للتعبير عن مصطلحات العلم الحاضر هم على خطأ مبین، فالتاريخ يثبت أن لغة الضاد كسائر اللغات الأخرى

غنية باشتقاقاتها، وكافية بكثرة تراكيبها، للتعبير عن الأفكار الجديدة والارتباطات الحديثة التي تربط تلك الأفكار، وأن فلاسفة العرب حينما نقلوا في القرن التاسع إلى لغتهم رسائل أرسطو طاليس تمكنوا من نقل العلوم إلى لغتهم كما في عهد ابن سينا والغزالي وابن رشد، فما ينكر أحد والحال هذه أن اللغة العربية صالحة لمماشة اللغات الأخرى، وللتعبير عن الأفكار العلمية الحديثة، واعلموا أن اندفاعكم إلى إيجاد مؤسسة علمية كبيرة عربية اللسان هو على ما أرى أكبر دليل على حذاقتكم، فظلو محافظين على هذه الأداة البديعة التي نحن مدينون لها بكثير من الأعمال الباهرة، وبعدد من الأشكال الجميلة التي تجلّى بها الفكر البشري».

ويتابع قائلاً: «إنني أهنئ العرب، وأتمنى ألا يضيعوا هذا الاحترام المقدر للغتهم، لأن من يدافع عن لغته، يدافع عن أصله وعن حقه وعن كيانه وعن لحمه ودمه، وإنكم تفهمتم هذا الأمر جيداً»^(١).

٢- البدء بالعمل وعدم التريث. فلم يترثوا حتى تتوافر المصطلحات، وإنما رأوا أن البداية هي التي تفسح في المجال لتوليد المصطلحات، وأن الاستعمال هو الذي يعمل على توحيدها^(٢).

٣. اعتماد الترجمة من اللغات العلمية.

٤. اعتماد التعريب التدريجي الشامل ضمن خطة شاملة للتعريب.

٥. علاج كل خطأ بالتدريب والتوجيه والمعايشة وتحسين اللغات الأجنبية.

٦. تعريب الطب يجيء في مقدمة الأولويات.

٧. تحديد شروط النقل العامة في وضع المصطلحات، فهذا هو ذا الأمير مصطفى الشهابي يحدد هذه القواعد قائلاً: «شروط النقل العامة التي أرى مراعاتها في مختلف العلوم لا تتعدى تلك التي اتبعها العلماء من قدماء النقلة والمؤلفين العرب، وخلاصتها على التسابع:

أ. تحري لفظ عربي يؤدي معنى اللفظ الأعجمي، وهذا يقتضي أن نكون مطلعين اطلاعاً واسعاً على الألفاظ العلمية المبنوثة في المعاجم العربية وفي مختلف كتبنا العلمية القديمة.

ب. إذا كان اللفظ الأعجمي جديداً، أي ليس له مقابل في لغتنا، ترجمناه بمعناه كلما كان

قابلاً للترجمة، أو اشتقنا له لفظاً عربياً مقارباً، ونرجع في وضع اللفظ العربي إلى الوسائل المتمثلة في الاشتقاق والمجاز والنحت والتركيب المزدجي.

ج . إذا تعذر علينا وضع لفظ عربي بالوسائل السابقة عمدنا إلى التعريب مراعين قواعده قدر المستطاع»^(٣).

وكانت ندوة توحيد منهجيات وضع المصطلحات العلمية في الرباط عام ١٩٨١ قد أوصت أن يعمل على توليد المصطلحات العلمية الجديدة بالأفضلية على النحو التالي: التراث أولاً.

التوليد بما فيه من مجاز واشتقاق وتعريب ونحت ثانياً^(٤).

ثانياً- من أساليب العمل

تنفيذاً للشرط الأول المتمثل في تحري لفظ عربي يؤدي معنى اللفظ الأعجمي قام رجالات المجمع بالبحث والتنقيب في بطون المعاجم عن المفردات العربية القديمة بغية وضع المصطلحات مقابل المصطلحات الأجنبية انطلاقاً من أن كل معنى يجول في الذهن لا بد أن يكون له لفظ في اللغة العربية ولو كان كامناً في أغوار معاجمها، وينبغي ألا يتجاوز المعرب عقبة من عقبات المصطلحات دون تذليلها بترجمتها إلى العربية، ولو تكبد في ذلك أعظم المشقات كما أشار إلى ذلك الطبيب المجمع محمد جميل الخاني.

وكان هذا التوجه ماثلاً في معجم العلوم الزراعية الذي وضعه الشهابي، إذ إنه رصد كثيراً من الألفاظ العلمية الماثورة في المعاجم العربية وفي مختلف الكتب العلمية القديمة، فها هو ذا يقول: «عمدت في وضع المصطلحات الزراعية إلى الأمهات من كتب اللغة ولا سيما «المخصص» لابن سيدة، ومخطوطة «كتاب الفلاحة» لابن وحشية و«الفلاحة الأندلسية» لابن العوام الأشبيلي، ومخطوطة كتاب «فضل الخيل» لشرف الدين الدمياطي، و«علم الفلاحة» لعبد الغني النابلسي، و«القانون» لابن سينا، ومخطوطة «الجامع لصفات أشات النباتات» للإدريسي، و«رسائل الأصمعي في الخيل»، والكتب التي ألفت في عصر النهضة في مصر والشام»^(٥).

ومن الاجتهادات التي قدمها الدكتور محمد صلاح الدين الكواكي في مجمع اللغة العربية بدمشق استقراء بعض الصيغ في ترانثا واقتراح توليد كلمات جديدة في ضوئها، ومن الصيغ التي أشار إليها صيغة فَعَلان للدلالة على الحركة والاضطراب مثل غَلِيان وهيجان، واقتراح بالقياس عليها ١٥ مصطلحاً كيمائياً وفيزيائياً مثل نَوَسان وروَضان ترجمة للتعبير «Mouvement de vat et vient» وصيغة «فُعالة» للدلالة على بقية الشيء مثل صُبابة واقتراح بالقياس عليها (٣٦) مصطلحاً كيمائياً وطبياً منها كُثافة لما يبقى بعد التكتيف، والعامية تستخدم «العُفارة» لما يبقى بعد الجني وصيغة «مفعول» الدالة على ألم في العضو المسمى به فقد جمع (١١) كلمة منها «معمود» لمن يشتكى من ألم في معدته، ومدموغ للمصاب بدماغه، واقتراح بالقياس عليه «مزهور» للمصاب بالزهري، و«مسكور» للمصاب بمرض السكر، وحديثاً كان ثمة اقتراح أن يطلق «مأدوز» للمصاب بمرض الإيدز.

وصيغة «فاعول» للدلالة على الآلة، اقترح بناءً عليها مصطلح «راؤوس» للرؤوس النووية، وصيغة «أفعولة» قاس عليها صيغة «أطروحة» وهي دراسة مفصلة لموضوع، و«أقصوصة»، وقد شاعت هاتان الكلمتان^(٦).

ومن الصيغ التي اعتمدها المجمع صيغة «فُعَال» للدلالة على المرض، وصيغة «فَعَل» للدلالة على الداء، وصيغة «تَفَعَال» للدلالة على الكثرة والمبالغة، وصيغة «الافتعال» للالتهاب، وصيغة «مَفْعَلَة» للمكان، وفَعَالَة لاسم الآلة... الخ.

وإذا كان المجمعون قد شمروا عن سواعدهم للبحث والتنقيب في المعاجم العربية عن بعض الصيغ والقياس عليها فإنهم في الوقت نفسه، قد ذهب بعضهم إلى الاستئناس ببعض الألفاظ العامة ملء الفراغ بالمعاجم الكبرى التي عَقَلت عن جمع تلك الألفاظ العلمية المستخدمة عند الفلاحين والمهنيين والبيطرة مثل كلمة «الشادوف» وهي أداة السقي القديمة في مصر، والجَبَالَة والحَفَّارة... الخ^(٧).

وفي مجال الترجمة في البند الثاني من الشروط التي وضعها الشهابي مال مجمع دمشق إلى الترجمة بالمعنى فوضع الدكتور حسني سبح عبارة «نظام المجاري» ترجمة لعبارة Tout á l'égout بدلاً من عبارة «الكل إلى الكنيف» وهي ترجمة حرفية لها.

ووضع الأمير الشهابي مقابل عبارة «Marqué en Tête» الفرنسية كلمة «أغرّ» ولم يعمد إلى الترجمة الحرفية لها «معلّم في رأسه»^(٨).

وأجاز المجمع وضع «لا» قبل الاسم المفرد دلالة على النفي إذا وافق هذا الاستعمال الذوق ولم ينفر منه السمع.

وترجم الدكتور صلاح الدين الكواكبي اللاحقة Phile على صيغة فَعُول، فقال في «Hydrophile» جذوب الماء^(٩).

وفي مقابل اللاحقة «aie» و«erie» اقترح استعمال صيغة «مُفَعَّلَة» مثل «مُزَيَّنَة» ترجمة لكلمة Olivaie ومُزَيَّنَة ترجمة لكلمة «Orangerie» أي بستان البرتقال، وذلك لما فوق الثلاثي، ومُفَعَّلَة لما كان ثلاثياً فقال «مُلبَّنة» ترجمة لـ «Laiterie»، وترجمة اللاحقة isme على صيغة المصدر الصناعي Socialisme.

وفي مقابل اللاحقة «able» رأى الشهابي أن هذه اللاحقة لا تستقر على بناء واحد، إذ إنها تدل تارة على القابلية المنفصلة كما في aimable بمعنى قابل لأن يحب، ومرة على القابلية الفاعلة كما في variable بمعنى قابل للتغير أو التبديل، ومرة على صفة كما في raisonnable بمعنى «عاقل»، وذلك بحسب ما تتصل به^(١٠).

ولجأ الشهابي إلى صيغة لتصغير السابقة الفرنسية «sous» إذ يقول: «ومن المعروف عند النباتيين أن بين كل حلقة وأخرى من تلك الحلقات حلقة صغيرة يدل عليها الفرنسيون بإضافة المصدر «sous» فيقال «sous genre» جُنيس، وعلى هذا النحو وردت كلمة شُعْبَة وطُرُقَة ورُتْبَة^(١١).

وأبان الشهابي أن في الاشتقاق مجالاً لتنمية اللغة ولا سيما المصطلحات العلمية، والاشتقاق من الأعيان في العلوم العصرية هو اليوم ضرورة بادية للعيان أمام أعيننا، فكهرب من الكهرباء، وبُلِّر من البلور، ومغنط من المغناطيس، وبستنة من البستان».

وأجاز المجمع الاشتقاق من أسماء الأعيان مطلقاً ودون قيد الضرورة، ولهذا نجد أن استخدام «حاسوب» مقابل الكمبيوتر، قد اشتقت منه الفعل «حوسب» لتخزين المعلومات فيه، والمحوسب لمن يقوم بالعمل.

وأجاز المجمع الخروج على القياس للضرورة العلمية، فأباح استعمال «مُتَوَتَة» للأرض كثيرة شجر التوت بتصحيح عينها بدلاً من إعلاها لتكون «مَتَاتَة»^(١٢).

وفي مجال النحت أصدر المجمع قراراً ينص على أن النحت ظاهرة لغوية احتاجت إليها اللغة قديماً وحديثاً، ولم يلتزم فيها الأخذ من كل الكلمات ولا موافقة الحركات والسكنات، وقد وردت من هذا النوع كثرة تُجيز قياسيته، ومن ثم يجوز أن ينحت من كل كلمتين أو أكثر اسم أو فعل عند الحاجة، على أن يراعى ما أمكن استخدام الأصلي من الحروف دون الزوائد، فإن كان المنحوت اسماً اشترط أن يكون على وزن عربي، والوصف منه بإضافة ياء النسب، وإن كان على وزن «فَعْلَل» أو «تَفَعَّلَل» إلا إذا اقتضت الضرورة غير ذلك، وذلك جريباً على ما ورد من الكلمات المنحوتة^(١٣).

ومارس الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي هذا النوع من الاشتقاق في الكيمياء إذ يقول: «لقد دفعتني الحاجة الملحة إلى النحت مثلما فعل الغربيون في مصطلحاتهم العلمية لأني وجدت فيه حلاً للمعضلة وتيسيراً لاجتياز العقبات التي تعترض المؤلف والمترجم، وذلك لمرونة الاشتقاق والوصف من الكلمة المنحوتة وسهولته»، ويقدم الكواكبي باقة من الكلمات عمل على نحتها من قبل:

خَلْمَهَة: تحليل خلي من خل وإمالة.

حمضئيل: من حامض وحائيل.

حَمْضَلُون: حامض خلون من حمض وخلون.

إلا أن الدكتور الشهابي تحفظ على كثير من الصيغ التي وردت في النحت إذ يقول: «إن الكلمة المنحوتة: «المسجناحيات» بدلاً من مستقيمت الأجنحة، و«غُضرنفيات» بدلاً من غُضروفيات الزعانف، وأشبه هذه الرطانات المستهجنة التي يلجأ إليها بعض المؤلفين لا حاجة لها البتة، وكلمتان هنا أصلح بكثير من كلمة نائية تشذ عن التراكيب العربية، ويستغلق فيها المعنى، ورأى أنه لا سبيل إلى إيجاد قواعد للنحت يمكن تطبيقها في كل المجالات»^(١٤).

كما عارض المجمعي الدكتور وجيه السمان موضوع النحت لما في الكلمات المنحوتة من مجافاة للدقة والوضوح، وهما من أهم خصائص اللغة العلمية، إذ يقول: «في اعتقادي أن النحت مستثقل على الأغلب، وينبغي ألا يستعمل إلا عندما تدعو إليه الضرورة، ولا سيما عند ترجمة المصطلحات التي هي مركبة في اللغات الأجنبية»^(١٥).

وفي موضع آخر يقول السمان: «وعلى كل حال ينبغي أن يظل النحت قليل الاستعمال حديثاً لأن اللغة العربية لا تتقبله بسهولة، وخير للمصطلح أن يتألف من كلمتين مضافتين أو من ثلاث كلمات أحياناً من أن ينحت نحتاً مستثقلاً... ومن العجيب أن بعض أصحاب النظر في اللغة ومن ألفوا فيها مؤلفات حسنة عاجلوا النحت فجاءت منحوتاتهم رديئة سقيمة لا يقبلها أحد»^(١٦).

أما أسلوب المجاز في توليد المصطلحات فقد رأى الشهابي أنه من الأساليب الفعالة في وضع المصطلحات العلمية إذ يقول: لا بدّ لنا من الرجوع إلى المجاز في وضع عدد كبير من مصطلحات العلوم والمخترعات الحديثة كالقطار والشاحنة والحافلة... الخ^(١٧).

وثمة من لجأ إلى التعريب الجزئي لبعض الكلمات فاستخدم كلمة (ربعيل) مقابل كلمة quartile لأنها تدل على الحدود التي تقسم السلسلة إلى أربعة أقسام متساوية، واستعملت كلمة (عشريل) مقابل كلمة decile لأنها تدل على الحدود التي تفصل السلسلة إلى عشرة أقسام متساوية، واستعملت كلمة (مئيل) مقابل كلمة centile، وقد استخدم بعض أساتذة الفلاسفة

المعاصرين هذا النوع من التعريب الجزئي فوضعوا كلمة (فكرولوجيا) مقابل كلمة idéologie، وجمالوجيا مقابل Esthétique.

إلا أن الأمير الشهابي لم يوافق على هذا المنحى إذ يقول: «فالاقتصار على تعريب الكاسعة الدالة على العلم أو البحث ولصقتها بكلمة عربية النجار أمر لا أظن أن الذوق العربي يسوغه، ومن الأصح أن يقال: علم الأفكار مقابل idéologie، وعلم الجمال مقابل Esthétique، وقد شاع هذا المصطلح.

وإذا أريد أن تترجم الكلمة الفرنسية الواحدة بكلمة عربية واحدة يمكن اللجوء إلى المصدر الصناعي فيقال: فكريّات وأسطوريّات... أما إذا جاز مسايرة المتساهلين في شؤون التعريب وجب تعريب الكلمة الأعجمية كلها فيقال: إيديولوجية واستاتيكا، ومع هذا فالتعريب لا يجوز اللجوء إليه في مثل هذه الكلمات التي تسهل ترجمتها»^(١٨).

وكان رأي الشهابي صريحاً في إدخال حروف أو أصوات جديدة إلى العربية في أثناء تعريب الكلمات الأجنبية، إذ إنه لم يوافق أولئك الذين لا ينطقون بالأسماء العلمية المعربة إلا كما ينطق بها في اللغات الأوروبية، وتساءل مستنكراً: ما الذي يجبرهم على التعاجم، ولماذا لا ينطقون بالحرف (O) واواً، وبالحرف (E) ياء كما في ميكروب Microbe؟ ثم يتابع قائلاً: «وعندما يقتبس الأوروبيون من العربية كلمات فيها أحرف خلت منها لغاتهم لا يضيفون إلى تلك اللغات أحرفاً جديدة، فالفرنسيون مثلاً عندما فرنسوا كلمة «قبة» قالوا: كُبة Koubba بالكاف ولم يضيفوا حرف القاف إلى لسانهم»^(١٩).

وقد وضع بعض رجال التعريب في أثناء ترجمة المصطلحات الأجنبية كلمات عربية ذات حروف قريبة من حروف المصطلح الأجنبي وإيقاع قريب منه، وكان ممن ذهبوا هذا المذهب الدكتور صلاح الدين الكواكبي فترجم مصطلح Affinage الذي يعني تكرير البترول إلى تأفين فقال: التأفين من تأفن بمعنى تتبع أواخر الأمور كما في القاموس، وتأفين البترول الخام أي تتبع أمر تصفيته للحصول عليه أنقى ما يكون»^(٢٠).

ونقل الكواكي مصطلح البوصلة Boussole إلى موصلة لأن الغاية من تلك الأداة هي دلالة مستخدمها على الاتجاه الموصل إلى مقصوده، وأبان أن كلمة «لافتة» وهي من أصل تركي «يافتج» عزيت أولاً إلى «يافتة» لكن مدلولها العام وهو لفت النظر إلى مضمونها حوّل لفظها من يافتة المعربة إلى (لافتة) العربية^(٢١).

وثمة أساليب اعتمدها المجمع في عمله ومن هذه الأساليب:

- ١- صياغة «فعالة» بكسر العين للدلالة على الحرفة أو شبهها من أي باب من أبواب الثلاثي مثل غراسة، نحالة، سِماكة... الخ.
- ٢- صياغة «مفعلة» قياساً من أسماء الأعيان الثلاثية الأصول للمكان الذي تكثر فيه الأعيان سواء أكان من الحيوان أم من النبات أم الجماد مثل: مَلْبَنَة، مَزِيدَة، مَبْقَرَة...
- ٣- صياغة «مَفْعَل ومفعلة ومفعال» للدلالة على الآلة التي يعالج بها الشيء مثل «مَبْضَع، مُمْلَسَة».
- ٤- صياغة «فُعَال» للمرض مثل: زُهار، صُدَاع، كُساح، عُصاب...
- ٥- صياغة «فُعَال» للاحتراف مثل: زَهَّار، نَحَّال...
- ٦- النسبة إلى جمع التكسير مثل: أخلاقي، وظائف، ملوكي، شعوبي، ملائكي... الخ.
- ٧- تفضيل استخدام كلمة واحدة في وضع المصطلحات، فكلمة «حديدة» نجدها في الفرنسية أربع كلمات Un morceau de fer، وكلمة «مشى» في العربية نجدها ثلاث كلمات في الفرنسية Il a marché^(٢٢).

ثالثاً. من إنجازات المجمع

لسنا الآن في صدد حصر جميع الإنجازات التي قام بها المجمع، وإنما نشير إلى بعضها، ومن هذه الإنجازات^(٢٣):

- ١- معجم الألفاظ والمصطلحات الفنية الواردة في أمراض الجملة العصبية:
قام الأستاذ الدكتور حسني سبيح بوضعه، وقامت الجامعة السورية بطباعته عام ١٩٣٥.
- ٢- المصطلحات الدبلوماسية:
وقد طبع في دمشق عام ١٩٤٩ واشتمل على ٤٠٠ مصطلح، وقام الدكتور مأمون الحموي بوضعه.
- ٣- معجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات للدكتور «كليرفيل»:

نقله إلى العربية الأساتذة مرشد خاطر، أحمد حمدي الخياط، محمد صلاح الدين الكواكبي، وطبعته الجامعة السورية عام ١٩٥٦، ويشتمل هذا المعجم على ١٤٥٣٤ مصطلحاً، وقد أبان المترجمون القواعد التي اتبعوها في عملهم من حيث تحري المعنى الصحيح لكل كلمة من كلمات هذا المعجم، والكثير من مرادفاتهما لانتخاب الكلمة العربية الصريحة الموافقة لهذا المعنى أولاً بالاستعانة ببعض طرق الاشتقاق المقررة، فإن كانت الكلمة آلة اشتق اسم آلة من معناها كالممص والمنبذة، وإن كان مكاناً أو موضعاً لفعل ما استعمل اسم مكان كالمصرة والمعد، وإن كان مصدرًا لعمل ترجم بالفعل الماضي لذلك العمل، كما تمت الاستعانة ببعض الأوزان المخصصة قديماً لإيضاح بعض المعاني، وفي الكلمات التي لم يُهتد إلى ترجمة صحيحة لها وضعت لها كلمة أقرب ما تكون إلى المعنى الصحيح لها، ولم يعمد إلى التعريب ما خلا الأسماء الخاصة فقد عربت بصورة أقرب ما تكون للفظتها في لغتها التابعة لها، كما لم يعمد إلى الاشتقاق من بعض الكلمات المعربة إلا في الحاجة القصوى كالبسترة، وكان ثمة اضطراب للنحت في بعض الكلمات، وتركت الأسماء والمصطلحات الكيماوية على حالها غالباً خشية الفوضى والاضطراب.

٤. معجم المصطلحات الحراجية:

وهو معجم بالإنجليزية والفرنسية والعربية مع تعريف المصطلحات بالعربية وقد وضعه الأمير الشهابي، وقام المجمع العلمي العربي بدمشق بطبعه عام ١٩٦٢، وقد نقله إلى العربية عن الترجمة الفرنسية المعول عليها لدى منظمة الأغذية والزراعة التابعة للأمم المتحدة (فاو).

يشتمل المعجم على ٩٨٧ مصطلحاً بالإنجليزية، وله ترجمة إفريقية دقيقة هي التي نقلت إلى العربية، وقد اعتمد الأمير في وضع المصطلحات العربية أو تحقيقها القرارات العلمية التي اتخذها مجعاً دمشق والقاهرة في قياسية عدد من الأوزان والجموع مثل قرار إجازة الاشتقاق من أسماء الأعيان لضرورة علمية على غرار ما هو مستخدم عند القدماء من مثل كبرت من الكبريت وذَهَب من الذهب... الخ، وقرار التضمن أي تضمين الألفاظ اللغوية معاني اصطلاحية فضمن فعل شَجَر معنى غرس Planter. وقرار اشتقاق فعالة للحرفة من الثلاثي، وقرار إجازة النسبة إلى جمع التكسير عند الحاجة كالدولي والبساتيني، والحراجية، وقرار جمع الصفة التي تكون على وزن

فعلاء بالألف والتاء وإجازة تركيب «لا» النافية مع الكلمة العربية مع مراعاة الذوق، وقياسية المصادر الصناعية... الخ.

٥- المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية:

وضعه المجمعي الأستاذ الدكتور جميل صليبا، وقامت بطبعه دار الكتاب اللبناني بيروت عام ١٩٧١، وقد أشار واضعه إلى السبل التي يجب على العلماء اتباعها في وضع المصطلحات العلمية من حيث البحث في الكتب العربية القديمة عن اصطلاح مستعمل للدلالة على المعنى المراد ترجمته، بشرط أن يكون المعنى القديم مطابقاً للمعنى الجديد، ومن حيث البحث عن لفظ قديم يقرب معناه من المعنى الحديث فيبدل معناه قليلاً ويطلق على المعنى الجديد، ومن حيث البحث عن لفظ جديد مع مراعاة قواعد الاشتقاق العربي كأن يستعمل لفظ «الشخصية» للدلالة على Personnalité، ولفظ «الاهتمام» للدلالة على Intérêt، فهذه كلها اصطلاحات حديثة لم يستعملها القدماء، وأخيراً من حيث اقتباس اللفظ الأجنبي بحروفه على أن يصاغ صياغة عربية، وهو ما يطلق عليه اسم «التعريب».

٦- معجم المصطلحات الحديثة:

صنّف هذا المعجم بالعربية الدكتور نور الدين العتر الأستاذ في كلية الشريعة بجامعة دمشق، وقد ترجمه وصاغه بالفرنسية الدكتور عبد الله الشيرازي الصباغ والدكتور داود عبد الله كريل. وقام بجمع اللغة العربية بدمشق بطابعته عام ١٩٧٦.

٧- معجم مصطلحات العلوم الفيزيائية عام ٢٠٠٧:

وقامت لجنة مصطلحات العلوم الرياضية والمعلوماتية والفيزيائية والكيميائية بوضع هذا المعجم، وقد عملت على توحيد المصطلحات المستعملة فعلاً في الجامعات السورية تمهيداً لتوحيد المصطلحات في هذا الميدان في الوطن العربي كله. والمعجم ثلاثي اللغات «عربي وإنجليزي وفرنسي»، ويشتمل على تعريفات المصطلحات، كما أنه يشتمل على الأصول اللاتينية واليونانية للمصطلح إن وجدت.

وقد تضمنت خطة العمل في هذا المعجم أربع مراحل:

المرحلة الأولى: جمعت فيها مصطلحات علم الفيزياء من الكتب الجامعية وتذخيرها في الحاسوب وتنظيم جداول لها وتحديد الكتب الجامعية التي اعتمدت مصطلحاتها واختيار المصطلح الموحد بين الجامعات السورية.

المرحلة الثانية: إعداد نسخة ثلاثية اللغات بإدخال اللغة الفرنسية.

المرحلة الثالثة: إصدار نسخة منقحة مع تعريفات موجزة للمصطلحات.

المرحلة الرابعة: توسيع المعجم بالمصطلحات التي لم ترد في الكتب الجامعية المدروسة، بالاعتماد على معجم أو أكثر من المعجمات المعتمدة على الصعيد العالمي كمعجم أكسفورد.

رابعاً. توصيات

بعد الاطلاع على جانب من الجهود التي قام بها مجمع اللغة العربية بدمشق، يمكن تقديم التوصيات التالية في العمل على:

١- رصد ما قامت به المجمع اللغوية كافة على نطاق الساحة القومية في مجال وضع المصطلحات في ميادين المعرفة كلها، وتخزينها، ومن ثم العمل على نشرها بوساطة الشبكة «الإنترنت».

٢- وضع منهجية موحدة لوضع المصطلحات يعتمدها مكتب تنسيق التعريب واتحاد المجمع اللغوية العربية، وتعميمها على الجامعات العربية والجهات المعنية.

٣- إصدار تشريعات تلزم الوزارات المعنية في الدول العربية باستخدام المصطلحات الموحدة التي تم الاتفاق عليها وإقرارها في مؤتمرات التعريب.

٤- وضع خطة عمل قومية للتمكين للغة العربية، على أن تستأنس بها الدول العربية في وضع خططها الوطنية للتمكين في بلدانها.

٥. اتخاذ القرار السياسي لحسم قضية التعريب في المؤسسات التربوية والتعليمية الرسمية والخاصة في التعليم ما قبل الجامعي وفي التعليم الجامعي، بغية استخدام اللغة العربية في العملية

التعليمية التعليمية، إذ لا فائدة من وضع المصطلحات إذا لم تستعمل، وإذا ظلت الجامعات العربية تدرّس باللغات الأجنبية.

٦. رفع وتيرة المحتوى الرقمي بالعربية على الشبابة.

٧. رفع وتيرة ما يترجم من أمهات الكتب العلمية.

٨. التنسيق الفعال بين مكتب تنسيق التعريب واتحاد المجامع اللغوية العربية واتحاد الجامعات العربية في مجال وضع المصطلحات ونشرها وتعميمها.

٩. رصد التراث العلمي في المخطوطات العلمية التي لم تحقق بعد والمنتشرة في المكتبات العالمية، وإجراء البحوث والدراسات عنها بالتعاون مع معهد التراث العلمي العربي في جامعة حلب، وهو الجهة المعنية بهذا الموضوع.

١٠. تشكيل لجنة متابعة بعد كل مؤتمر من مؤتمرات التعريب لتنفيذ القرارات والتوصيات التي تم التوصل إليها في كل مؤتمر.

حواشي الفصل

- ١- مجلة المعهد الطبي العربي- السنة الثامنة- ١٩٣٠ ص ٤٥.
- ٢- الدكتور محمود أحمد السيد- في قضايا التعريب- مطبعة العجلوني- دمشق ٢٠٠٢ ص ٩٧.
- ٣- الدكتور مصطفى الشهابي- المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القدام والحديث- مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق- ط٢- ١٩٦٥ ص ٩٣.
- ٤- مجلة مجمع دمشق ٤/٥٦- ٨٨٧.
- ٥- الدكتور مصطفى الشهابي- معجم العلوم الزراعية- ط٢- مكتبة لبنان- بيروت ١٩٨٢ المقدمة.
- ٦- الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي- الأوزان العربية في المصطلحات العلمية - مجلة مجمع دمشق ٣١٣٧: ٤٠٥.
- ٧- الدكتور مصطفى الشهابي- العامي والمولد في علوم الزراعة والمواليد- مجلة مجمع دمشق ٢١٣٢: ٣٩٠ و ٣٩٢.
- ٨- الدكتور مصطفى الشهابي- المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القدام والحديث- مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق- ط٢- ١٩٦٥ ص ٩٣.
- ٩- المرجع السابق ص ٣٢.
- ١٠- المرجع السابق ص ٧٧.
- ١١- مجلة مجمع دمشق ٣/٣٨ ص ٣٦٤.
- ١٢- الدكتور مصطفى الشهابي- المصطلحات العلمية- مرجع سابق ص ١٦٤.
- ١٣- المرجع السابق ص ٢٠٤.
- ١٤- المرجع السابق ص ١٥٧.
- ١٥- الدكتور وجيه السمان- الدقة والغموض في المصطلح العلمي- مجلة مجمع دمشق ١/٤٩ ص ٨٥.
- ١٦- الدكتور وجيه السمان- مجلة المجمع ٣/٥٧: ص ٣٤٩.
- ١٧- الدكتور مصطفى الشهابي- المصطلحات العلمية- مرجع سابق ص ١٦.
- ١٨- الدكتور مصطفى الشهابي- المرجع السابق ص ١٩٦.
- ١٩- الدكتور مصطفى الشهابي- ملاحظات لغوية اصطلاحية- مجلة المجمع ١/٣٧: ١٠.
- ٢٠- الدكتور مصطفى الشهابي- المصطلحات العلمية- مرجع سابق ص ٧.
- ٢١- المرجع السابق ص ٢٥.
- ٢٢- الدكتور محمود أحمد السيد- التجربة السورية في وضع المصطلحات- ندوة المرصد اللغوي العربي للمصطلحات الموحدة- طرابلس- ليبيا ٧-٩/٧/٢٠٠٨ ص ٦.
- ٢٣- المرجع السابق.

الفصل الثامن

اللغة العربية بين نقل المعرفة واكتساب المهارات

محتويات الفصل:

أولاً- اللغة والمهارة.

ثانياً- اكتساب اللغة بين التريتين التقليدية والحديثة.

ثالثاً- شروط تكوين المهارة اللغوية.

رابعاً- مراحل تكوين المهارة اللغوية.

خامساً- المهارات اللغوية المنشودة.

سادساً- من مظاهر القصور في اكتساب المهارات اللغوية العربية.

سابعاً- عقبات تعترض تكوين المهارات اللغوية العربية.

ثامناً- من أساليب الارتقاء باكتساب المهارات اللغوية.

الفصل الثامن

اللغة بين نقل المعرفة واكتساب المهارات

نحاول في هذا البحث أن نتوقف عند مفهومي اللغة والمهارة أولاً، ثم نوضح نظرة كل من التريبتين التقليدية والمعاصرة إلى اكتساب اللغة، لنبين شروط تكوين المهارة اللغوية ومراحل هذا التكوين، ونوضح المهارات اللغوية المنشودة ومظاهر القصور في اكتساب المهارات اللغوية، مشيرين إلى عدد من العقبات التي تعترض تكوين المهارات اللغوية، لنخلص أخيراً إلى رسم بعض الصوى بغية الارتقاء بأساليب اكتساب المهارات اللغوية.

أولاً: اللغة والمهارة

اللغة من الفعل لغا ومضارعه يلغو أي تكلم، ولُغة على وزن فُعلة من الفعل لغوت، وأصل لُغة لُغوة، فحذفت واوها وجمعت على لُغات ولُغون.

وطالما يتردد على ألسنتنا مصطلح اللغة، وقَلَّما وقفنا على دلالاته المنظومية الشاملة المتكاملة، إذ ليست اللغة مقتصرة على الأصوات التي يعبر بها كل قوم عن أغراضهم كما ورد في لسان العرب، وليست مقتصرة على استطلاة النشاط البدني كله بما فيه من قسمات وتأثيرات بالأعضاء وتطورات تلك الاستطلاة حتى الوصول إلى تلك الصورة المجردة من الكلام كما جاء في دائرة المعارف الفرنسية (الانسيكلوبيديا الفرنسية)، كما أن اللغة ليست مقتصرة على لغة الأصوات وصور الاتصال الأخرى من كتابة وإيماءات وغيرها المتممة للغة الكلام كما جاء في دائرتي المعارف البريطانية والعلوم الاجتماعية، ولكن اللغة في ضوء الاتجاهات التربوية المعاصرة منظومة شاملة لجميع صور التعبير قاطبة (رسم، موسيقى، رقص، إيماءات، إشارات،... الخ)، وإن التعبير بأصوات مقطعية ما هو إلا أحد أشكال اللغة، إذ إن اللغة لا تقتصر على اللغة المنطوق بها، بل تشمل المكتوبة أيضاً، إضافة إلى الإشارات والإيماءات والتعبيرات الوجهية المصاحبة عادة سلوك الكلام، وإن كانت اللغة المنطوق بها تتبوأ الأهمية الكبرى بين سائر الجوانب المشار إليها.

ومن السمات التي تتميز بها لغة البشر كما يرى بعض الباحثين أنها اصطلاحية أو

تواضعية، وأن مفرداتها تشير إلى أشياء محسوسة في عالم الواقع، وإلى أفعال يؤديها الإنسان أو غيره من المخلوقات، كما أنها تعبر عن الأفكار الذهنية المجردة، وأن الخلف يتوارثها عن السلف، وتشير إلى أشياء وأحداث بعيدة عن المتكلم زماناً ومكاناً، ومن أهم سماتها قدرتها على الخلق أو الابتكار.

وفي بحثنا سنقتصر من المفهوم النظامي للغة على جانبي اللغة المنطوق بها واللغة المكتوبة أما بقية الجوانب والعناصر والمكونات وصور التعبير الأخرى فلن يتناولها البحث.

- والمهارة لغة من الفعل "مهر: يَمْهَرُ أو يمهر مهارة" بمعنى حذق، فهو ماهر، يقال مَهَرَ في العلم أي كان حاذقاً عالماً به، ومهر في صناعته بمعنى أتقنها. والمهارة مصطلحاً هي الأداء المتقن القائم على الفهم والاقتصاد في الوقت والجهد معاً، فالمهارة اللغوية هي الأداء اللغوي المتقن محدثة كان أو قراءة أو كتابة أو استماعاً.

- واكتساب المهارات اللغوية يعني امتلاكها وحيازتها واستخدامها في مواقف الحياة فهماً وتمثلاً وأداءً متقناً.

ثانياً: اكتساب اللغة بين التريتين التقليدية والحديثة

كانت التربية التقليدية تنظر إلى اللغة على أنها مجموعة من الحقائق والأحكام والقواعد تتمثل في مفرداتها وقوالبها اللغوية ومصطلحاتها النحوية والبلاغية والعروضية، وعلى المعلم أن يلحق المتعلمين هذه الحقائق تلقيناً، وما على المتعلمين إلا أن يحفظوها ويستظهروها، وبقدر درجة حفظهم لها يعدون متمكنين من اللغة. وكان أصحاب هذا الاتجاه يرون أن العملية الأساسية في النظام المعرفي للتعليم هي تحويل معلومات من أدمغة المعلمين وإيداعها في أدمغة المتعلمين. والمعلمون في هذه الحال هم المودعون، والمتعلمون هم المودع فيهم، وقد نجم عن هذا الأسلوب في العملية التعليمية التعليمية مجموعة من الممارسات منها:

- يَدْرُس المعلم ويلقن المتعلمين تلقيناً.
- يعلم المعلم كل شيء على حين يجهل التلاميذ كل شيء.
- يفكر المعلم بينما التلاميذ يُفَكِّرْ لهم.
- يتحدث المعلم في الوقت الذي يصغي فيه التلاميذ بخشوع وخضوع.

- يضبط المعلم النظام، وعلى التلاميذ أن يتمثلوا هذا النظام.
 - يختار المعلم ما يريد ويطبق رغبته، وعلى التلاميذ أن يخضعوا لتلك الرغبات.
 - يقوم المعلم بنشاط، إلا أن التلاميذ يعيشون في خداع مؤاده أنهم ينشطون من خلال نشاط المعلم.
 - يختار المعلم محتوى البرنامج الدراسي دون استشارة التلاميذ، وعليهم أن يتكيفوا مع هذا المحتوى.
 - يخلط المعلم بين سلطة المعرفة وسلطته المهنية التي يمارسها في حركة معاكسة لحرية التلاميذ.
 - يُعدُّ المعلم محور العملية التعليمية بينما يعد التلاميذ مجرد أشياء.
- أما اللغة بمفهومها الحديث فلا تخرج عن كونها نوعاً من العادة، ولما كانت العادات لا تكتسب إلا بطريق التدريب الواعي المنظم والممارسة المنظمة والمستمرة، كان اكتساب اللغة لا يختلف عن اكتساب أي عادة أخرى مثل الضرب على الآلة الكاتبة وقيادة السيارة والمشي والرمي والنوم... الخ.
- وهذا المفهوم نسخ ما كان سائداً في التربية التقليدية من حيث النظر إلى اللغة على أنها مجموعة حقائق، كما أنه مع التفجر المعرفي الذي يشهده عالمنا المعاصر لم يعد المعلم والكتاب المصدرين الوحيدين للمعرفة، إذ إن هناك مصادر عديدة لها، وأصبح دور المعلم يتناول تنظيم المعرفة التي يحصل عليها المتعلمون وتدريبهم على طريقة الحصول على المعرفة بأنفسهم.
- ومن الاتجاهات التربوية المعاصرة أن التعلم الجيد يعتمد على مدى ارتباط ما يتعلمه المتعلم بحاجاته ومتطلبات نموه ودوافعه، كما يعتمد على إيجابيته ونجاحه ومراعاة فرديته وصولاً به إلى أقصى ما تؤهله له قدراته ومواهبه واستعداداته، على أن يقتصر عمل المعلم على تهيئة البيئة والظروف المناسبة أمام المتعلم لكي يقوم بالدور الأساسي في تعليم ذاته ذلك لأن عصر التفجر المعرفي والانتشار الثقافي الخاطف يفرض مبدأ التعلم الذاتي ومبدأ التعلم المستمر مواكبة لروح العصر وانسجاماً مع متطلباته.

وقد أورد العالمان "بيجز وهنت Bigges and hunt" في كتابهما "الأسس النفسية للتربية"

أننا نتعلم بطريقة أفضل إذا:

- اشتركنا إيجابياً في تحديد الأهداف المنهجية للتعلم.
- مارسنا التعلم بالطريقة التي تناسبنا.
- توافرت لدينا الفرص للدراسة المتعمقة التي تجمع شتات العلوم المختلفة في فترة نستطيع تطبيقها في الحياة العملية.
- أدركنا أن لما نتعلمه فائدة مباشرة لحياتنا ومهنتنا.
- اشتركنا في العملية التعليمية التعلمية بحرية دون فرض أو إرغام.

وفي ضوء هذه التوجهات المعاصرة تغيرت النظرة إلى اكتساب اللغة إذ إن اكتسابها يختلف عن تعلم أكثر الموضوعات المدرسية الأخرى، فهو ليس قضية اكتساب معلومات معينة ولا مسألة استيعاب حقائق بعينها، ولا هو بناء معرفة في المواقف الأكاديمية أو العمليات الفكرية إذ من الممكن أن يحصل المتعلم على معرفة نظرية عن اللغة، ومعرفة عن قواعدها ومفرداتها وتراكيبها، ولكنه إذا أراد أن يستخدم اللغة وجب عليه أن يكتسب المهارات اللغوية والعادات اللغوية.

ولقد تأثر علماء اللغة بالمذهب السلوكي في علم النفس، والذي يهتم بدراسة ظاهر السلوك فقط على أساس أنه مكون من عادات تتكون عن طريق المؤثر والاستجابة والثواب، وتكرر حتى يثبت الصحيح أو المتعارف عليه.

واللغة في ضوء ذلك مجموعة من العادات كغيرها من العادات السلوكية الأخرى، إذ من الممكن دراسة تراكيبها من ناحية، وتعليمها من ناحية أخرى على هذا الأساس، وقد حمل العالم «سكينر Skinner» في جامعة هارفارد لواء هذا الاتجاه في كتابه المشهور «السلوك اللغوي Verbal Behavior» وقد تغير دور المعلم من ملقن إلى موجه وحات ومشجع ومعزز، كما تغير أسلوب التربية القائم على التحفيز والتسميع إلى أسلوب التمهير «التحلية، الأداء المتقن» أي إكساب المتعلم المهارات اللغوية.

ثالثاً- شروط تكوين المهارة اللغوية

ثمة شروط لابد من توافرها حتى تتكون المهارة اللغوية، وتتجلى هذه الشروط في:

أ- الممارسة والتكرار: فالممارسة لازمة، إذ إن على المتعلم أن يمارس اللغة محادثة واستماعاً وكتابة وقراءة حتى تتكون لديه مهاراتها، على أن تتم هذه الممارسة في مواقف حيوية متنوعة وبصورة طبيعية في مواقف الحياة المختلفة. وتبدر الإشارة إلى أن التكرار الآلي نفسه لا يكون المهارة، إذ لا بد أن يكون تكرار الممارسة في مواقف الحياة، ولقد أشار «ابن خلدون» في مقدمته إلى أهمية التكرار في تكوين الملكة اللغوية على حد تعبيره.

ب- الفهم: إذ من غير الفهم تغدو المهارة آلية لا تعين صاحبها على مواجهة المواقف الجديدة وحسن التصرف فيها. وإذا كان السلوكيون في علم النفس يركزون على الكلام في المقام الأول، ويرون أن موضوع المعنى غير هام في تعلم اللغة فإن أصحاب النظريات المعرفية اهتموا بقضية معاني الكلمات والعبارات والجمل في الفهم، ورأوا أن الفهم يمثل القيمة الحقيقية لاستخدام اللغة وسيلة للاتصال، وأن التراكيب اللغوية ذاتها لا يمكن تعلمها وبالتالي استخدامها ما لم تكن قائمة على الفهم التام، فالفهم مهما تختلف طرائق التدريس يظل العنصر الأساسي والالمهام في تعلم اللغة.

ج- التوجيه: مما يعين على اكتساب المهارة توجيه أنظار المتعلمين إلى أخطائهم ونواحي قوتهم وضعفهم وتعريفهم بأفضل الأساليب للأداء.

د- التشجيع والتعزيز: إن تشجيع المتعلم وتعزيز أدائه يؤديان إلى تقدم جلي في اكتساب المهارة، وللتعزيز الإيجابي دور كبير وفعال في التربية الحديثة إذ إنه يشكل عاملاً مهماً في نجاح العملية التعليمية التعلمية.

وتستند نظرية التعزيز في داخل الصف على عملية التقويم البنائي الذي يعرف المتعلم بصحة إجابته ويقوده تدريجياً إلى إتقان المعلومات والمفاهيم خطوة بعد خطوة، إذ لا ينتقل المتعلم من خطوة إلى أخرى إلا بعد إتقان الخطوة السابقة. ويبرز هذا التقويم البنائي دور التغذية الراجعة في عملية التعلم، ويربط بين عمليتي التعليم والتقويم في وحدة نشاط تقود المتعلم تدريجياً نحو الإتقان.

ولا تقتصر عملية التعزيز على معلمي اللغة وحدهم، إذ إن لمعلمي المواد الأخرى دوراً كبيراً في إكساب المتعلمين المهارات اللغوية عندما يتحدثون باللغة السليمة، ولا يقبلون من طلابهم إلا الإجابات باللغة السليمة، وعندما يشذبون هذه الإجابات.

كما أن للمناشط اللاصفية من إذاعة مدرسية ومجلات وصحف حائطية ومناظرات دوراً هي الأخرى في تعزيز اكتساب المهارات اللغوية. وللجو الخارجي العام من إذاعة وتلفزة وصحافة ومسرح ولافتات وإعلانات.. الخ دور في تعزيز اكتساب المهارات اللغوية عندما تكون البرامج باللغة السليمة.

وإذا كان التعزيز خارجياً في البدء بين المعلم والمتعلم وبين المتعلم والبيئة المحيطة به فإن التعلم الجيد هو الذي يؤدي إلى أن يعلم المرء نفسه في ضوء التعزيز الداخلي، إذ إن الرأي السائد حالياً هو أنه لا سبيل أمام الإنسان لكي يتعلم إلا طريق التعلم الذاتي.

هـ- القدوة الحسنة: وتوافر القدوة الحسنة من المعلمين أو من الزملاء المتميزين أو عن طريق التسجيلات والمخابر اللغوية، عامل هام في اكتساب المهارات اللغوية إذ من الأهمية بمكان أن يشاهد الدارسون من يتقنون المهارات اللغوية في أثناء أدائهم حتى يحاكو هذا الأداء وينسجوا على منواله، ويكون قدوة لهم ومثالاً يحتذون به.

رابعاً: مراحل تكوين المهارة اللغوية

ثمة مراحل لابد منها لتكوين المهارة اللغوية، وتعد المعرفة مرحلة أساسية في تكوين المهارة اللغوية، إلا أن الاختصار عليها وحدها لا يكون المهارة، إذ لو كان تعليم اللغة معنياً بالحقائق لكان تعليم المتعلمين مجموعة من مفردات معينة أو مجموعة من القواعد، يعد تعلماً للغة واكتساباً لها، إلا أن عملية استخدام التراكيب والأنماط اللغوية والسيولة النطقية من الأهمية بمكان لتكوين المهارة.

وقد ميز «بلييايف» بين اللغة Language والتي يسميها أداة التواصل، والكلام Speech الذي هو عملية التواصل منفذة بأدوات لغوية، إذ إن هذا التمييز يكشف عن إمكان دراسة اللغة من دون اكتساب القدرة على استخدامها في الكلام، وهذا يعني أن الإنسان بدراسة اللغة دراسة واعية يستطيع الظفر ببعض المعرفة النظرية فيها وعنهما، معرفة في قواعدها أو مفرداتها أو تراكيبها الصوتية، ولكن إذا أراد هذا الشخص أن يستعمل هذه اللغة في الكلام وجب عليه أن يكون العادات Habits والمهارات Skills الكلامية المناسبة.

وإذا كان ثمة مراحل لتكوين العادة اللغوية متمثلة في المعرفة أولاً والمهارة ثانياً فإن تعلم اللغة عن طريق التقدم من المعرفة إلى العادة هو عمل غير متفق مع الحقائق النفسية، ذلك لأن ممارسة المهارات، تلك الأفعال المؤداة بمشاركة الوعي، هي خطوة ضرورية لتكوين العادات التي تؤدى من دون حاجة إلى تفكير واع لأدائها مثل تلفظ أصوات معينة أو اختيار المفردات أو استخدام أنماط التنغيمات.

والمهارة تؤدى بصورة واعية ومقصودة، أما العادة فتؤدى بصورة عفوية تلقائية، والمعرفة والعادة تكون أساساً ضرورية للفعالية اللغوية، ولكن جوهر الكلام يكمن في الوظيفة الخلاقة للمهارات، ذلك أن الاستعمال الجيد للغة يعني استمرار خلق الإنسان لكلامه مستخدماً كلاً من العادات والمعرفة استخداماً إبداعياً، إذ إن الدراسات التربوية الحديثة كشفت عن أن المعرفة لا تقتصر على مستوى الحفظ والتذكر إذ إن هذا يشكل أدنى مستوياتها، وإنما تتضمن المعرفة عدة مستويات تتمثل إلى جانب التذكر في الفهم والتطبيق والتحليل والتركيب والتفاعل والنقد والتقييم والابتكار.

ويرى «جيروم برونر Bruner» من جامعة هارفارد بأمريكا أنه في ضوء الفهم الجديد لكل من «المهارة» و«العادة» و«المعرفة» لا بد من الاحتراز من وجهتي نظر مغلوطين شائعتين في تعلم اللغة:

الأولى: هي الطلب إلى المتعلم أن يبني تراكيبه اللغوية على أساس القواعد النحوية المستدكرة، والتوقع منه أن يضع المعرفة النظرية في التطبيق بصورة مباشرة، فهذا التوقع يعني مطالبته بسلوك خاطئ وهو التقدم من المعرفة إلى العادة وإغفال أهمية المهارة.

الثانية: هي أن مطالبة المتعلم بتكرار العبارات والجمل الصحيحة هي التي تكوّن العبارات اللغوية الصحيحة. نعم التكرار يكون عادات لغوية ولكن أي نوع من العادات يكونها عندما يلغي فرص ظهور المهارات اللغوية؟

أولى وجهتي النظر هاتين تخطئ من ناحية المعرفة. أما الثانية فتخطئ من حيث العادات، على حين أن الأهم من هذه وتلك هو تكوين المهارات.

وتجدر الإشارة إلى أن ما أشار إليه بليبايف في روسيا وبرونر في أمريكا كان قد سبقهما إليه

ابن خلدون في نظريته إلى اكتساب الملكة اللغوية، والملكة اللغوية في نظرة ابن خلدون هي العادة اللغوية في التربية المعاصرة، فلنستمع إليه يقول: «إن اللغات كلها ملكات شبيهة بالصفات، إذ هي ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني وجودتها وقصورها بحسب إتمام الملكة أو نقصانها، وليس ذلك بالنظر إلى المفردات، وإنما هو بالنظر إلى التراكيب، فإذا حصلت الملكة التامة في تركيب الألفاظ المفردة للتعبير بها عن المعاني المقصودة ومراعاة التأليف الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال، بلغ المتكلم حينئذ الغاية من إفادة مقصوده للسامع، وهذا هو معنى البلاغة».

ويضيف ابن خلدون إلى ذلك قائلاً وهذا بيت القصيد: «والملكات لا تحصل إلا بتكرار الأفعال لأن الفعل يقع أولاً، وتعود منه للذات صفة ثم تتكرر فتكون حالاً، ومعنى الحال أنها صفة غير راسخة، ثم يزيد التكرار فتتكون الملكة أي الصفة الراسخة».

فالحال على حد تعبير ابن خلدون هو المهارة، والملكة على حد تعبيره هو ما نقصد به العادة. وعندما تكون العادة لدى المتعلم نقول يتكلم على سجيته وسليقته.

خامساً: المهارات اللغوية المنشودة

إن ما نسعى إليه من تعليم اللغة وتعلمها يتمثل في إكساب المتعلم مهارات استعمال اللغة استعمالاً ناجحاً في الاتصال بغيره والتواصل معه محادثة واستماعاً وقراءة وكتابة، وذلك على النحو الآتي:

١- أن يكتسب مهارات الاستماع فهماً دقيقاً لما يقال، واستنتاجاً لما يود المتحدث قوله وما يهدف إليه، وتحليلاً لكلامه، وتلخيصاً لفكره واصطفاء وتقويماً ونقداً.

٢- أن يكتسب مهارات القراءة الجهرية متمثلة في نطق الكلمات نطقاً صحيحاً وتأدية المعنى أداءً حسناً، وتفاعلاً مع المقروء، وأن تكون سرعته في القراءة جيدة في الوقت الذي تكون فيه الدقة متوافرة.

٣- أن يكتسب مهارات القراءة الصامتة فهماً واستنتاجاً وتميزاً وتلخيصاً وموازنة ونقداً وتقويماً.

٤- أن يكتسب مهارات التعبير الوظيفي لقضاء حاجاته وتنفيذ متطلباته في تفاعله مع المجتمع الذي يحيا فيه من كتابة رسائل وإعداد محاضر جلسات وكتابة مذكرات،

وإلقاء كلمات في المناسبات.. الخ، إضافة إلى مهارات التعبير عن النفس وما يقع تحت الحس كلاماً وكتابة في أسلوب واضح منظم.

- ٥- أن يكتب كتابة صحيحة بأسلوب سليم خال من الأخطاء الإملائية والنحوية.
- ٦- أن يعبر شفاهياً عن فكره وحاجاته واهتماماته ورغباته وميوله تعبيراً سليماً خالياً من الأخطاء النحوية.
- ٧- أن يوظف ما يحصل عليه ويكتسبه من مفردات وتراكيب وفكر وقيم واتجاهات وصور وأخيلة من قراءاته في مواقف التعبيرين الشفاهي والكتابي.
- ٨- أن يكتسب مهارات التذوق الأدبي وإدراك الجمال والتناسق في النصوص الأدبية التي يتفاعل معها.
- ٩- أن يكتسب عادة الإقبال على القراءة الحرة بشغف ومحبة حتى يغدو الكتاب صديقه الذي لا يمل مصاحبته.
- ١٠- أن يكتسب عادة البحث عن الكلمات والتفتيش عنها في المعاجم والموسوعات بحثاً عن معانيها واستعمالاتها الحرفية والمجازية والاصطلاحية.

سادساً: مظاهر القصور في اكتساب المهارات اللغوية العربية

من الملاحظ أن الأداء في اللغة العربية يشكو الضعف، إذ لم تتمكن تربيتنا في الأعم الأغلب من تكوين المهارات اللغوية ولا العادات اللغوية. أما مظاهر الشكوى من الضعف في اللغة العربية فتتمثل في:

- ١- كثرة الأخطاء التي يرتكبها المتعلمون والمعلمون في داخل المدارس والمعاهد والجامعات، والعاملون في مختلف مرافق المجتمع في مناشطهم اللغوية من قراءة وتعبير شفاهي وكتابي.

وثمة صيحات تنطلق من هنا وهناك على نطاق الساحة العربية تشير إلى أن بعض طلبة الجامعات في أقسام اللغة العربية وآدابها، وبعض المتخرجين لا يدركون فصاحة القول ولسانهم يلحن، ومعارفهم اللغوية لا تتناسب وشهادتهم الجامعية على كل المستويات. ولم تكن الصيحات التي تشكو كثرة الأخطاء النحوية في التعبيرين الشفاهي والكتابي وفي

أثناء القراءة الجهرية لتقتصر على العاملين في مجال التربية والتعليم، وإنما جاوزتهم إلى كثير من الخريجين العاملين في وزارات الدولة ومؤسساتها «فاللغة التي تستعمل في الإذاعة حين تستعمل يشيع فيها اللحن والتحريف إلى درجة مثيرة حتى ليخيل إلى السامع في بعض الأحيان أن المتكلم يتعمد هذا التشويه، ويقصد إليه قصداً، لأنه مما لا يظن أن يتورط مثله فيه جهلاً، ولا نرى حاجة إلى ذكر أمثلة لما نقول، فالأمر متعالٍ مشهور بين المثقفين».

وفي مقدمة كتاب جامعي ورد الإهداء الآتي: «وأهدي هذا العمل المتواضع إلى الذين يعرفون معنى العطاء والتضحية والدي ووالدي ومن تشبه بهم.

وإلى الذين يعرفوا الحق ويناصروه، وللقراء المقدرة لأنهم كانوا ينتظروا أكثر مما قدم».

ففي أقل من ثلاثة أسطر ارتكب المؤلف ستة أخطاء، وأين؟ في الإهداء الذي يتعب أحدنا على إخراجه، ويحرص على الصحة فيه والسلامة في تراكيبه وجمله.

٢- القصور في عملية التعبير اللغوي: ومن الملاحظ على أحدنا أنه عندما يتقدم إلى دائرة أو مؤسسة يود مطلباً معيناً، ويوعز إليه بكتابة ما يوده تجد الارتباك بادياً عليه، ويبدو الارتباك أيضاً في أثناء المناقشات وإلقاء الكلمات في المناسبات المختلفة.

ولم تكن هذه الشكوى وليدة يومنا هذا، وإنما ترجع إلى الثلاثينات من هذا القرن، وأول من التفتوا إلى ذلك- فيما نعلم- هو الدكتور طه حسين في كتابه «في الأدب الجاهلي» إذ يقول: «إنك تستطيع أن تمتحن تلاميذ المدارس الثانوية والعالية، وأن تطلب إليهم أن يصفوا لك في لغة عربية واضحة ما يجدون من شعور وإحساس أو عاطفة أو رأي فلن تظفر منهم بشيء، ولن تظفر من أكثرهم بشيء، فإن وجدت عند بعضهم شيئاً فليس هو مديناً به للمدرسة، وإنما هو مدين به للصحف والمجلات والأندية السياسية والأدبية».

وها هي ذي بنت الشاطئ تقول: «قد يمضي المتعلم في الطريق التعليمية إلى آخر الشوط، فيتخرج في الجامعة وهو لا يستطيع أن يكتب خطاباً بسيطاً بلغة قومه، بل قد يتخصص في دراسة اللغة العربية حتى ينال أعلى درجاتها، ويعيبه مع ذلك أن يملك اللغة التي هي لسان قوميته ومادة تخصصه».

٣- القصور الواضح في مهارات الاستماع: إذ كثيراً ما تفوتنا بعض الأفكار مما نستمع إليه في محاضرة، وطالما طلبنا إلى قارئنا إعادة المقطع المقروء حتى نتبين فكره، وطالما كان استنتاجنا مما نستمع إليه ناقصاً لأن ثمة فكرة غابت عنا.

٤- القصور في تمثيل المقروء وإدراك فكره الأساسية والفرعية ومراميه وغاياته البعيدة، وعدم التمكن من تلخيص الفكر التي يتضمنها النص المقروء. ومما لاشك فيه أن تنمية هذه المهارات: مهارة القراءة المتأنية الواعية والمستوعبة والمتفاعلة مع المقروء والمميّزة لمضامينه تعد أمراً هاماً في مواكبة روح العصر المتوثب.

٥- العزوف عن القراءة الحرة في الأعم الأغلب وعدم الإقبال عليها: إذ قد يتخرج الطالب في الجامعة، ويمضي على تخرجه سنوات لم يطلع خلالها على كتاب أو يقرأ صحيفة أو مجلة، ويتباهى أمام الآخرين بصنيعه المتخلف. وثمة مدرسون تتناقص معلوماتهم ومعارفهم عاماً بعد آخر بسبب عدم قراءتهم للجديد في مجال تخصصهم ولا سيما أننا نعيش في عصر التفجر المعرفي.

وإذا كان هذا حال بعض المدرسين الذين يعدون أئودجاً يقتدى به، وقدوة أمام المتعلمين فما حال الدارسين الذين عزفت نفوسهم عن الاطلاع على كتاب من خارج المنهج؟ وغني عن البيان أن القراءة الحرة تمد صاحبها بشرة لفظية وفكر واتجاهات وخبرات فتتوسع مداركهم وتثقل لغتهم وتزيدها غنى شكلاً ومضموناً.

٦- الفقر في الرصيد الحفظي من الشواهد الشعرية والنثرية، وقد يعجب أحدنا عندما يفاجأ بأن ثمة من يحمل الإجازة في اللغة العربية ولا يحفظ أي شاهد شعري من العصور الأدبية كافة على الرغم من أهمية حفظ الشواهد في إغناء التعبير.

٧- عدم تمكن كثير من المتخرجين من البحث في المعجم عن كثير من الكلمات مما يدل على نقص في كفاياتهم وعدم امتلاكهم المهارة اللغوية في هذا المجال. تلك هي بعض مظاهر الشكوى من ضعف الأداء في اللغة العربية وتدني مستويات الدارسين والمتخرجين.

سابعاً: عقبات تعترض تكوين المهارات اللغوية العربية

ثمة عقبات عديدة تقف في طريق اكتساب المهارات اللغوية، وتكون عامل هدم في إعلاء بنياؤها وارتفاع صرحها، ويتمثل بعض هذه العقبات في:

١- طبيعة المادة اللغوية المقدمة في المناهج: إذ يشكو بعض الباحثين من أن هذه المادة بعيدة عن الحياة النابضة الزاخرة، مما يجبر المتعلمين بطريق غير مباشر على أن يهربوا من اللغة ويتركوها إلى لغتهم التي تخدم حاجاتهم خدمة مباشرة ما دامت معبرة وسريعة، بدل أن تستبديهم لغة صارمة عنيدة، وتسد عليهم مسالك الحياة فلا تنطلق بهم ولا تدعهم ينطلقون على حد تعبير الدكتور مراد كامل.

وكان الدكتور "طه حسين" قد أشار إلى أن لغتنا العربية لا تدرس في مدارسنا وإنما يدرس فيها شيء غريب لا صلة بينه وبين الحياة، ولا صلة بينه وبين عقل التلميذ وشعوره وعاطفته.

وهاجم المباحكات والتأويلات في المادة اللغوية النحوية التي تدرس في المدارس مشيراً إلى أنها سبب نفور طلبتنا من اللغة.

كما حمل الأستاذ المرحوم "عباس حسن" الاضطراب في المادة النحوية والخلافات فيها مسؤولية الضعف، وتدني مستوى التحصيل في اللغة العربية.

وأشارت "بنت الشاطئ" إلى موضوع الفصل بين الإعراب والمعنى، إذا رأت أن هذا العزل الشاذ بين الإعراب والمعنى هو الذي جار على جدوى تعليم العربية في كسب ذوق العربية ومعرفة منطقتها.

٢- طرائق التدريس: وإذا كانت الأنظار قد اتجهت إلى المادة اللغوية التي يتفاعل معها المتعلمون وما فيها من اضطراب وفوضى وبعد عن الحياة المعاصرة على أنها العامل المسؤول عن تدني مستوى الأداء فإن باحثين آخرين رأوا أن السبب لا يرجع إلى المادة اللغوية ولا إلى محتوياتها وتعدد الآراء فيها، وإنما يرجع إلى طريقة التدريس، إذ إن أي لغة في العالم مهما تبلغ درجة صعوبتها وتعقيدها ممكنة التعلم والإتقان حين توجد الطريقة التربوية الناجعة لتعلمها واكتسابها، ولغتنا العربية غير مخدومة تربوياً، وطرائق تعلمها متخلفة وغير علمية على حد تعبير الدكتور حسام الخطيب.

وكانت الدكتورة "بنت الشاطئ" قد أشارت إلى المنحى نفسه قائلة: «يبدو لي أن

عقدة الأزمة ليست في اللغة ذاتها، وإنما هي كوننا نتعلم العربية قواعد صنعة، وإجراءات تلقينية، وقوالب صماء، نتجرعها تجرعاً عقيماً بدلاً من أن نتعلمها لسان أمة ولغة حياة. وقد تحكمت قواعد الصنعة بقوالبها الجامدة فأجهدت المعلم تلقيناً والمتعلم حفظاً دون أن تجدي عليه شيئاً ذا بال في ذوق اللغة ولمح أسرارها في فن القول، وانصرف همنا إلى تسوية إجراءات الصنعة اللفظية بعيداً عن منطق اللغة وذوقها».

وفي مذكرة تقدم بها الدكتور محمد كامل حسين رحمه الله إلى وزارة التربية والتعليم في جمهورية مصر العربية أشار فيها إلى أن مشكلة الضعف في اللغة لا ترجع إلى تعقيد القواعد وصعوبتها لأن هذه الصعوبة قديمة، وإنما ترجع إلى طريقة التدريس، إلى هذه الطرائق الجديدة في تعليم اللغة إذ يقول: «وكننت أحسب أن ذلك - أي الضعف - مرجعه إلى ما في قواعد اللغة من تعقيد وبعد عن أسلوب التفكير الحديث، وكثرة ما فيها من تأويل وحذف وتقدير وتعليل لما لا يحتاج إلى تعليل، على أن ما نشهده اليوم من ضعف بالغ في العلم باللغة العربية لا يمكن أن نرجعه إلى هذه الصعوبات فهي قديمة. أما الجهل باللغة إلى الحد الذي نشكو منه اليوم فهو ظاهرة حديثة وسببها من غير شك الطرائق الجديدة في تعليم قواعد اللغة العربية».

ويهاجم الطريقة الجديدة في تعليم قواعد اللغة العربية، تلك الطريقة التي تعتمد النصوص أساساً في تقرير القاعدة، ويرى أن هذه الطريقة تعمل على إضعاف المتعلمين في اللغة العربية وجعلهم لأبسط قواعدها، ذلك لأن مبدأ التقدم بنص يناقشه المدرس مع تلاميذه، ثم يستخرج منه الأمثلة التي تعينه على استنباط القاعدة التي يراد تدريسها إنما هو ضياع للوقت، لأن الموضوع لا علاقة له بالقواعد النحوية التي هي موضوع الدرس الحقيقي، وأن الكتاب الذي تضمن هذه الموضوعات إنما هو كتاب نحو، ويجب قبل أي شيء أن يعلم كيف يقرأ قراءة صحيحة. وهذه الطريقة تشغل الطالب بموضوع الإنشاء فتصرفه عن قاعدة النحو المراد شرحها لأن ذلك يقوم على أساس افتراض أن المعنى أصل والنحو عرض.

يضاف إلى ذلك أن طرائق التدريس التلقينية تجعل الطلبة سلبين انفعاليين لا إيجابيين فعّالين مما يفوت فرص التعلم الذاتي واستخدام اللغة، ويحول بالتالي دون اكتساب المهارات

اللغوية.

٣- ضعف إعداد معلمي اللغة: فالمعلم الجيد يقدم طلاباً جيدين وفاقد الشيء لا يعطيه، فإذا كان مستوى الإعداد جيداً انعكس ذلك على الطلاب لأن الطلبة يحاكون أساتذتهم ويتمثلون لغتهم وينسجون على منوالها، فإذا ارتكب المدرس الخطأ انتقل الخطأ إلى ألسنة طلابه وأقلامهم وأصبح من الصعوبة بمكان محوه.

ومن الملاحظ أن إعداد معلمي اللغة على نطاق الساحة العربية غير كاف، ويشكو القصور إن من خريجي دور المعلمين أو من خريجي المعاهد والجامعات.

٤- العامية وآثارها السلبية في اكتساب المهارات اللغوية: إذ إن ما يبينه مدرس اللغة العربية معرض للهدم بسبب استثناء العامية في مرافق الحياة: في البيت والشارع والباحة وفي داخل الصفوف وفي أغلب المناشط، حتى إن كثيراً من المسلسلات التلفزيونية والإذاعية تعرض بالعامية.

ومن هنا نجد أن الناشئ لا يستمع إل العربية الفصيحة إلا في ساعات محددة، وهذه الساعات المحددة على افتراض وجودها صافية نقية، لا تكفي لاكتساب المهارات اللغوية.

ويضاف إلى ذلك أن أغلب المدرسين ضمن جدران المدارس والمعاهد والجامعات يستخدمون العامية في تدريسهم وشرحهم، ولا يعملون على تشذيب إجابات الطلبة إذا ما كانت بالعامية، فيترسخ الخطأ على الألسنة والأقلام، على حين أن هذا لا نلاحظه عند الأمم الأخرى، فقد أصدر المجلس القومي لمدرسي اللغة الإنجليزية في بريطانيا قراراً يقضي بأن على كل من يود أن يكون مدرساً سواء أكان مدرساً للفيزياء أو الرياضيات أو الاجتماع... أن يكون مدرساً للغة الأم أولاً، كما أن مدرس الرياضيات في فرنسا عندما يخطئ الطالب في أثناء حل المسألة الرياضية خطأ لغوياً يقول له: إن خطأك في لغتك أدهى وأمر من الخطأ في حل المسألة الرياضية.

٥- ضالة المناشط اللغوية غير الصفية: وإذا كانت المهارات اللغوية لا تكتسب إلا بالممارسة والتعزيز فإن قلة المناشط التي يقوم بها الناشئة لا تساعد على عملية اكتساب تلك المهارات، على حين أن الإكثار منها يسهم أيما إسهام في تثبيت

المعارف واكتساب المهارات فالعادات اللغوية السليمة.

٦- قلة إقبال الناشئة على القراءة الحرة: وهذا عامل آخر من عوامل التذني، إذ إن القراءة الحرة «المطالعة» معين ثر في اكتساب المهارات اللغوية لأنها تمد الناشئ بالمفاهيم والفكر والثروة اللفظية والتراكيب اللغوية والصور والأخيلة، وهذا ما يوسع آفاقه وينمي خبراته ويزين تعبيره وأسلوبه.

٧- القصور في أساليب التقويم: فأغلب هذه الأساليب لا تقيس إلا الحفظ والتذكر، وتحمل المهارات العقلية العليا من ربط وتعليل واستنتاج وموازنة وحكم... الخ، وهذا ما يجعل بناء الخبرة هشاً معرضاً للزوال والنسيان، على حين لو شمل التقويم مستويات المعرفة عامة من حفظ وفهم وتطبيق وتحليل وتركيب وحكم، وشمل في الوقت نفسه مستويات الجانب الوجداني من الخبرة ومستويات الجانب النفسي، الحركي أي الأدائي، لأصبح اكتساب المهارات اللغوية مبنياً على أسس متينة.

٨- ضالة استخدام التقنيات التربوية في تعليم اللغة وتعلمها خلافاً لما نلقاه في تعليم الأجانب لغاتهم، وهذا ما يجعل الدارس لدينا يحس بالفرق بين الأساليب الجذابة لتعليم اللغة الأجنبية وتعلمها، والفقر في الوسائل المعينة في تعليم لغته الأم وتعلمها، فيتكون لديه إحساس سلبي تجاه لغته يترسخ في لا شعوره، ويجعله عزوفاً عن الإقبال عليها بكل نفس راضية.

٩- الكتاب المدرسي: إذ عندما يكون سيء الطباعة، خالياً من وسائل الإيضاح، وغير مشوق، وغامضاً في أسلوبه، ولا ترابط بين موضوعاته ومشوشاً في فكره، فإنه ولا شك يسهم في عملية تذني المستوى.

١٠- عدم وضوح الأهداف في أذهان نفر من القائمين على تدريس اللغة وفي أذهان الدارسين أنفسهم، وهذه الضبابية في تمثل الأهداف لكل من المهارات اللغوية تؤدي إلى التخبط والفوضى في أثناء التدريس، وقد يتحول درس القراءة إلى إعراب، ودرس النصوص إلى بلاغة، ودرس القراءة إلى عملية ميكانيكية في القراءة الجهرية.. مما يحول دون تحقيق الأهداف المرسومة.

وثمة أسباب أخرى وعقبات أخرى وراء تدني مستوى الأداء في اللغة العربية ذلك لأن العوامل الكامنة وراء هذا التدني متشابكة ومتداخلة، فالإخفاق في القراءة مثلاً قد يرجع إلى أسباب جسمية أو اجتماعية أو نفسية أو عقلية أو تربوية. وفي أثناء حديثنا عن أسباب الضعف لابد من الأخذ بالحسبان هذه الجوانب كافة. فالنظرة الشمولية المتكاملة هي المنهج الأمثل في معالجة مشكلة النهوض باللغة.

ثامناً: من أساليب الارتقاء باكتساب المهارات اللغوية

طلما عقدت ندوات ومؤتمرات على نطاق الساحة العربية تناولت قضايا اللغة ومشكلاتها، وطلما دعت هذه المؤتمرات والندوات إلى تقديم التوصيات والمقترحات. وفي تقديري ورأيي المتواضع أن ثمة صدى يستهدى بها في الارتقاء باكتساب المهارات اللغوية ويمكن إجمال ذلك في:

١- تنقية البيئة من التلوث اللغوي وتوفير المناخ اللغوي الملائم والصحيح إن في المدارس وإن في خارجها، والعمل على الالتزام بالفصيحة وانتشارها على الألسنة والأقلام في مختلف مناحي الحياة، ذلك لأن تعليم اللغة مسؤولية جماعية. وعلى المدرسين جميعاً وفي مختلف التخصصات أن يلتزموا بالفصيحة وعلى وسائل الإعلام إذاعة وتلفزة وصحافة ومجلات وإعلانات ولافتات... الخ. أن تضطلع بدورها في الالتزام بالفصيحة، لأن أطفالنا يتسمرون ساعات طوالاً أمام أجهزة التلفزة، فإذا كان ما يقدم كله بالفصيحة اقتبس هؤلاء الأطفال كثيراً من المفردات والتراكيب والبنى مما يزيد في رصيدهم اللغوي وينمي قدرتهم التعبيرية، كما أن على أجهزة الدعاية والإعلان مسؤولية مراقبة اللافتات والإعلانات وتنقيتها من كل خطأ لغوي.

٢- العمل على مزيد من التيسير والتطوير في النحو والصرف والبلاغة مادة وطريقة تدريس وعرضاً، على أن يقتصر في تقديم المادة على ما هو أساسي ووظيفي منها بحيث يساعد المتعلم على قضاء حاجاته، ويسهل تفاعله الاجتماعي مع الآخرين في ضروب النشاط اللغوي استماعاً ومحادثة وقراءة وكتابة، والإكثار من التطبيقات والتدريبات العلاجية لتلافي الأخطاء النحوية.

- ٣- ضرورة الاهتمام بإعداد معلمي اللغة اختياراً وتأهيلاً وتدريباً، والعمل على جذب العناصر الكفية إلى التدريس بالحوافز المادية والمعنوية، والتركيز على الإعداد الوظيفي على المستوى الجامعي للمعلمين كافة بدءاً من رياض الأطفال وانتهاءً بالثانوي، بحيث لا تجر المواد التربوية على مواد التخصص.
- ٤- ضبط كتب المرحلة الابتدائية والأساسية كلها بالشكل، على أن يستمر هذا الضبط في المراحل التالية، ومع النمو الفكري في كل ما يخشى منه اللبس، ذلك لأن عملية الضبط بالشكل تساعد كلاً من المعلم والمتعلم في رؤية الشكل الصحيح للكلمة وفهم معناها.
- ٥- اعتماد الطرائق التفاعلية في التدريس وإكساب المتعلمين مهارات التعلم الذاتي الذي هو أساس للتعلم المستمر مدى الحياة، واستبعاد الطرائق التلقينية الإلقائية التي تجعل المتعلمين سلبيين منفعلين لا إيجابيين فعالين، والعمل على تنويع الطرائق والأساليب في ضوء المستويات.
- ٦- الإكثار من ضروب المناشط اللغوية غير الصفية: المناظرات، الندوات، الكتابة في مجالات الصف والحائط، إلقاء الكلمات في المناسبات المختلفة وفي الإذاعة المدرسية، تلخيص الكتب، المساجلات الشعرية.. الخ» تعزيزاً لاكتساب المهارات اللغوية.
- ٧- استخدام تقنيات التربية في تعليم اللغة وتعلمها من مخابر وأفلام وأشرطة وحواسيب.. الخ لأن في استخدامها إثارة لاهتمام الناشئة وجذباً لهم للإقبال على الدروس وتعلمها.
- ٨- الإكثار من ضروب التعزيز الإيجابي وتوفير البيئة الصفية التعليمية التعليمية لممارسة هذه الضروب نظراً لدورها الفعال في تكوين المهارات اللغوية.
- ٩- العمل على بناء أدوات موضوعية لتقويم أداء معلمي اللغة في مختلف المراحل، وأدوات موضوعية لتقويم الأداء اللغوي للمتعلمين استبعاداً للنظرة الذاتية.
- ١٠- غرس الشغف بالقراءة ومحبتها في نفوس المتعلمين وتخصيص جوائز لأحسن قارئ،

وإجراء مسابقات ومناظرات لتلخيص الكتب شفاهياً، وإغناء المكتبات المدرسية بالكتب والسلاسل الملائمة وتيسير سبل إعارتها.

١١- اختيار المادة اللغوية في ضوء الأهداف ومراحل النمو، والعمل على التدرج في تقديم المهارات اللغوية في ضوء تلك الأهداف والمراحل.

١٢- إقامة دورات تدريبية لمدرسي جميع المواد لتذكيرهم بأساسيات قواعد لغتهم حتى يكونوا قدوة أمام متعلميهم في استخدام اللغة السليمة وحتى يكونوا عوناً لمدرسي اللغة.

١٣- محاسبة الطلاب على أخطائهم اللغوية في جميع المواد.

١٤- البدء بتعليم اللغة الفصيحة السهلة والبسيطة محادثة في رياض الأطفال وذلك بطريقة غير مباشرة، واستخدام البنى اللغوية المناسبة والملائمة لهذه المرحلة بغية التدريب على استخدامها بصورة صحيحة ترسيخاً لها على الألسنة.

١٥- الاستفادة من تراثنا في منهجية تعليم اللغة وتعلمها واعتماد المنهج التكاملي في تدريسها على النحو الذي اتبعه المبرّد في الكامل، واختيار الموضوعات الأساسية والوظيفية من المادة اللغوية على النحو الذي دعا إليه كل من الجاحظ وأبي جعفر النحاس النحوي وخلف بن حيان الأحمر البصري في تراثنا العربي الإسلامي.

١٦- الإكثار من الأبحاث العلمية لمعالجة مشكلات تعليم اللغة العربية وتعلمها على أساس موضوعي لا على أساس الانطباعات الذاتية والاجتهادات الشخصية، والكشف عن الفعالية النسبية لطرائق تدريسها قبل اعتمادها.

١٧- التركيز على أهمية الحفظ في اكتساب المهارات اللغوية، على أن يكون هذا الحفظ مبنياً على الفهم، ومساعداً للمتعلم على توظيف ما يحفظه في مواقف الحياة الطبيعية والعفوية.

١٨- إيلاء أهمية للمحادثة في تعليم اللغة وتعلمها، وللتعبير الوظيفي شفاهياً كان أو كتابياً، على ألا يغفل التعبير الإبداعي كشفاً عن الموهوبين من الدارسين وتنمية لقدراهم اللغوية.

١٩- العناية بإخراج الكتب وتزويدها بالصور والرسوم التوضيحية والألوان الجذابة لما لها من

أثر في التشويق، وأن تستخدم الحروف ذات البنط الكبير في المراحل الأولى من التعليم الأساسي ثم يتم التدرج من حيث الحجم بتدرج مراحل التعليم.

٢٠ - العناية بتدريب الطلاب على البحث في المعاجم والموسوعات عن الكلمات والمصطلحات والأعلام إغناء لثقافتهم اللغوية وربطاً لهم بهذه الموسوعات وحرصاً على الدقة والسلامة والصحة في استخدام الكلمات.

٢١ - الإكثار من الموازنات الأدبية تنمية للحاسة الجمالية عند الدارسين وتبصيراً لهم بمراحل الجمال.

مراجع الفصل

- ١- ابن خلدون- المقدمة- طبعة عبد الرحمن محمد- القاهرة.
- ٢- أحمد حسن الزيات- في أصول الأدب- طبعة مصر- القاهرة ١٩٣٥.
- ٣- الجنيدى خليفة- نحو عربية أفضل- دار مكتبة الحياة- بيروت.
- ٤- الدكتور حسام الخطيب- اتحاد المعلمين العرب- المؤتمر التاسع- الخرطوم ١٩٧٦.
- ٥- الدكتور الدمرداش سرحان- المناهج المعاصرة- دار الفلاح- الكويت ١٩٨٣.
- ٦- الدكتور طه حسين- في الأدب الجاهلي- طبعة مصر.
- ٧- الدكتور طه حسين- مجلة المجمع اللغوي- الجزء السادس ١٩٥١.
- ٨- الدكتور طه حسين- يسروا النحو والكتابة- مجلة الآداب- السنة الرابعة العدد ١١١.
- ٩- الدكتورة عائشة عبد الرحمن «بنت الشاطئ»- لغتنا والحياة- دار المعارف القاهرة ١٩٧١.
- ١٠- عباس حسن- اللغة والنحو بين القديم والحديث- دار المعارف- القاهرة ١٩٦٦.
- ١١- الدكتور محمد كامل حسين- مذكرة عن الطريقة الحديثة في تعليم النحو- وزارة التربية والتعليم بمصر- القاهرة ١٩٦٦.
- ١٢- الدكتور محمد مندور في مقدمة كتاب «منهج البحث في الأدب واللغة» لانسون مائية دار العلم للملايين- بيروت.
- ١٣- الدكتور محمود أحمد السيد- في طرائق تدريس اللغة العربية- جامعة دمشق ١٩٩٧.
- ١٤- الدكتور محمود أحمد السيد- تعليم اللغة بين الواقع والطموح- دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ١٩٨٨.
- ١٥- الدكتور محمود أحمد السيد- شؤون لغوية- دار الفكر بدمشق ١٩٨٩.
- ١٦- الدكتور محمود أحمد السيد- الأداء في اللغة العربية- مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٩٧.
- ١٧- الدكتور محمود أحمد السيد- تعليم اللغة العربية في الجامعات العربية بين الطموح والواقع - ندوة اتحاد الجامعات العربية في جامعة الجزائر- أبريل ١٩٨٤.
- ١٨- الدكتور مهدي المخزومي- في النحو العربي- منشورات المكتبة العصرية- صيدا بيروت ١٩٦٤.

19- Biggs, M.J. and Hunt M.P. Psychological Foundation of Education, Second Edition, Harper and Rowe N.y 1962.

20- B.F. Skinner- Verbal Behavior- N.Y Appletons Century crofte 1957.

21- G. Goxes- L'enseignement du français par le parler et l'écrit. Edition del'ecole-paris.

22- Bruner, j.s- Toward A theory of instruction Bekamp press, Harvard university 1967.

23- Pierre clarac – L'enseignement du français- presse universitaires de France- paris 1969.

24- R.L. Iyman – Summary of investigations relation to grammar language and composition. Supplementary Educational monograph (Chicago- L.Linois).

الفصل التاسع

المدرس إعداداً وتأهيلاً للتدريس بالعربية

محتويات الفصل:

أولاً- تحديات العصر

ثانياً- التربية العربية المرجوة لمواجهة التحديات.

ثالثاً- إعداد المدرس وتأهيله.

رابعاً- إعداد المدرس للتدريس بالعربية.

خامساً- إجراءات مساعدة للتدريس بالعربية.

سادساً- خطة العمل الوطنية لتمكين اللغة العربية.

الفصل التاسع

المدرّس إعدادًا وتأهيلًا للتدريس بالعربية

نحاول في هذا البحث الموجز أن نتعرف طبيعة العصر الذي نحيا فيه والتحديات التي نواجهها فيه، وأن نتعرف أيضًا بعضًا من التحديات التي تواجه التعليم العالي العربي، وبعضًا من السمات التي ينبغي للتربية العربية أن تتسم بها لمواجهة التحديات، ودور التعليم العالي في مواجهتها، ومن ثمّ تبيان جودة التعليم العالي وواقع إعداد المدرسين فيه، ومستلزمات إعداد المدرس وتأهيله بصورة عامة، للإسهام في تقدم المجتمع ومواجهة التحديات التي يتعرض لها، ونقف وقفة مستأنية على إعداد المدرس للتدريس بالعربية، وعلى خطة العمل الوطنية للتمكين للغة العربية والحفاظ عليها والاهتمام بإتقانها والارتقاء بها، والإجراءات المتخذة في ضوءها في وزارتي التربية والتعليم العالي.

أولاً: تحديات العصر

يتسم العصر الذي نحيا فيه بسمات متعددة، منها أنه عصر العلم والتقانة والاتصالات وثورة المعلوماتية، وغزو الفضاء واقتحام المحيطات وسير أغوارها، وهو عصر التفجر المعرفي والتفجر السكاني... إلخ.

ويبرز في هذا العصر عدد من التحديات، منها التحدي الصهيوني والجانب المتوحش من العولمة، وسيطرة منطق حق القوة لا قوة الحق، إذ يهيمن الأقوياء على الضعفاء هيمنة اقتصادية وثقافية وسياسية، وباتت شريعة الغاب هي السائدة على الصعيد العالمي.

ومن تحديات هذا العصر أيضًا تلوث البيئة وجور الإنسان عليها، وتزايد موجات العنف، وانحسار القيم المعنوية وتفاقم الاجتياح المادي وسيورة قيم الاستهلاك، وارتفاع نسبة من يتعاطون المخدرات.

يُضاف إلى ذلك كله الهيمنة الثقافية ذات القطبية الأحادية في ظلال العولمة، وارتفاع نسبة الأمية على الصعيد العالمي، وانحياز الأوضاع الصحية.

وإذا كانت هذه التحديات عالمية، فإن ثمة تحديات أخرى تضاف إليها وتواجهها منطقتنا العربية تتمثل في الاحتلال الأمريكي للعراق، واستمرار الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين، ورفضه إقامة الدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس الشريف وعودة اللاجئين إلى فلسطين، ومحاولات أعدائنا في

تمزيق أواصر أمتنا بطريق الانقسامات الداخلية والصراعات العرقية والمذهبية والطائفية، وهذا الأمر أدى إلى موجات من العنف والتعصب الأعمى، رافق ذلك استمرار للصراعات العربية العربية، وخلخلة للانتماء القومي، حتى بات القابض على عروبتة كالقابض على الجمر، وازداد نرف العقول من الوطن العربي وتفاقت البطالة، وتزايدت الأمية حتى إن عددها وصل إلى مئة مليون أمي ونحن في العقد الأول من الألفية الثالثة، بحيث أن ثلث سكان الوطن العربي من الأميين، وتزايدت أحزمة الفقر والمناطق العشوائية ومدن الصفيح ومناطق الظل في بعض العواصم العربية. وفي مجال التعليم العالي أشار الإعلان العالمي للتعليم العالي للقرن الحادي والعشرين الصادر عن اليونسكو، إلى عدد من التحديات التي يواجهها هذا التعليم تتمثل في اضطراب المعايير في شروط الانتساب إلى التخصصات في التعليم العالي، وانخفاض الجودة ومستوى الخريجين في الأعم الأغلب، وانخفاض ظروف العاملين في التعليم العالي، والقصور في ملائمة البرامج لخطط التنمية وضعف البحث العلمي، وبطالة الخريجين، وضعف التمويل... إلخ.

ثانيًا: التربية العربية المرجوة لمواجهة التحديات

إن مواجهة التحديات المشار إليها على الصعيدين العالمي والعربي تستلزم تربية ذهنية جديدة، تعمل على أن تكون التربية العربية المنشودة متسمة بالتغيرية والتجديد المستمر لا تربية تدويمية راکدة، وتربية إبداعية لا تقليدية نمطية، وحوارية لا تلقينية، ومنفتحة لا مغلقة، ومستعملة التقانة وموظفة لها في العملية التعليمية التعلمية، لا مقتصرة على أن تكون يدوية، وديمقراطية في جميع مناحيها لا تسلطية، وعلمية ناقدة لا تربية نقل وتسليم وإذعان، وتعاونية تعتمد فريق العمل لا فردية، ومنظومية تنظر إلى الأمور والمشكلات نظرة شاملة لا نظرة جزئية ضيقة ومحدودة.

ومن الأمور التي لا بد من التركيز عليها في تربيتنا العربية لمواجهة التحديات الانتقال من التعليم إلى التعلم وتزويد المتعلم بالمهارات التي تساعد على أن يفكر ويبحث وينقب عن المعلومات، ويعمل على توظيفها، لا أن تُقدَّم إليه دون أن يكدَّ ذهنه في البحث عنها، وتزويده بمهارات التعلم الذاتي التي تساعد على مواصلة التعلم مدى الحياة، على أن يرافق ذلك كله تعميق للانتماء، إذ إن الإحساس العالي بالانتماء القومي في ظلال العولمة يجيء في مقدمة منظومة القيم، وإذا فتر هذا الانتماء أو ضعف، يتحلل الإنسان من قيمه ويتخلى عن كثير من دعائم إنسانيته، إلى جانب تخليه عن قوميته،

والتحلل من الانتماء سلسلة متى بدأت تلاحت تأثيراتها ومضاعفاتها، والنتيجة واحدة هي أن يخسر الإنسان نفسه، وتخسر الأمة هويتها. ومن هنا كان عمق الانتماء يذلل الصعاب، ويدفع إلى دعم مسيرة التعريب والدفاع عنها، وتقديم كل الإمكانيات لتجاوز العقبات التي تحول دون نجاحها، ويعزز الجمع بين الأصالة والمعاصرة في انطلاق أمتنا.

ويقوم التعليم العالي بدور فعال في مواجهة التحديات التي تتعرض لها أمتنا، وذلك بطريق إعداد أطرًا كَفِيَّة ذات مهارات عالية تُسهم في تقدم المجتمع وتنميته، وتزويد الدارسين بمهارات التعلم الذاتي، وتطوير المعارف ونشرها بطريق البحوث العلمية، وتزويد الدارسين بالكفايات التي تساعد على إتقان تخصصهم من جهة، وفهم الثقافة الوطنية والإقليمية والدولية من جهة أخرى، والمساعدة على حماية القيم الاجتماعية وتعزيزها، والإسهام في تطوير التعليم وتحسين مضمونه، والحرص على جودته.

«وتتمثل جودة التعليم العالي في جودة مستوى العاملين فيه علميًا وخلقيًا، وتوفير الحوافز والتدريب المستمر للعاملين وتشجيع الباحثين، كما تتجلى جودة التعليم العالي في جودة المناهج بمفهومها الشامل، وجودة الطلبة باعتماد مبدأ الجودة، وجودة البيئة الأكاديمية الداخلية والخارجية، وفي إشاعة ثقافتى التقويم والتطوير داخل مؤسسات التعليم العالي، وإشاعة ثقافة الاستقلال الذاتي وتحمل المسؤولية والخضوع للمساءلة»^(١).

ثالثًا: إعداد المدرس وتأهيله

يُعد المدرس قطب الرchy في العملية التربوية، وإليه يرجع الفضل في نجاحها غالبًا، أو يرجع إليه السبب في إخفاقها في الأعم الأغلب، إذ مهما تكن المناهج مبنية على أسس علمية فإنها لا تحقق أغراضها إلا إذا كان يقوم بتطبيقها مدرس كفي، ويمكن أن يرمم المدرس إذا كان كفيًا ومتمكنًا بعض الثغرات في المناهج حتى لو لم تكن مبنية على أسس علمية واضحة.

كما أن المدرس لا يدرّس بمادته فقط، وإنما بشخصيته وبمدى تعامله مع طلبته، وما يقدمه لهم من قدوة حسنة ومثل أعلى. وكم من مدرس جذب الطلبة إلى محبة مادته، وكانوا متعلقين بها من خلال تعلقهم به! وكم من مدرس نفّر الطلبة من مادته بسبب سوء معاملته وفضاظته وضعفه!

ولقد تغيرت الأدوار المرسومة للمدرس في عالمنا المعاصر، فلم يعد دوره مقتصرًا على نقل

المعرفة والخبرة إلى طلابه، وإنما أصبح إضافةً إلى ذلك موجهًا ومرشدًا اجتماعيًا ونفسيًا ومشجعًا ومعززًا وباحثًا ومعنيًا البيئة التعليمية التعليمية بمصادر المعرفة^(٢).

وثمة ملاحظات على واقع إعداد المدرس تتمثل في أن مدخلات الكليات أحيانًا ليست مختارة على أسس علمية ومعايير موضوعية، إذ إن أسلوب الانتقاء وشروط القبول وحواجز الالتحاق لا بد من أن تكون على أساس الاستعداد والرغبة بغية اجتذاب أفضل العناصر.

كما أن المخزجات ليست من النوع المرغوب فيه، ويحتم هذا إعادة النظر في نظم التقويم السائدة.

ومن الملاحظات أيضًا أن هنالك قصورًا في خطة الإعداد والتدريب وافتقارًا إلى الوظيفية في محتويات بعض المواد، وضعفًا في الاهتمام بالجوانب الثقافية الملائمة لروح العصر من مثل «التربية المجتمعية، التربية على المواطنة، التربية البيئية والسكانية، المعلوماتية، مهارات التواصل، اللغات... إلخ»، كما أن هنالك غلبة للطابع النظري في بعض المواد وافتقارها إلى التطبيق، وأن ثمة نمطية في أساليب التدريس وطرائقه، وقصورًا في استعمال تقنيات التعليم والتعلم، وقصورًا في أساليب التقويم المتبعة.

إن إعداد المدرس وتأهيله يستلزمان:

- تمكّنًا من المادة.
- تمكّنًا من مهارات التواصل باللغتين العربية والأجنبية.
- تمكّنًا من استثارة الدافعية لدى طلابه.
- تكاملاً معرفيًا في تكوينه.
- تمثلاً للمنهج التربوي بمفهومه المنظومي الشمولي المتكامل «المنهج نظام System».
- مرونة في اختيار الطرائق والأساليب في ضوء الأجواء والمستويات.
- ربطاً للمعارف النظرية بالعملية.
- تركيزًا على الجوانب التطبيقية.
- تركيزًا على كيفية التعلم وتعليم الطالب كيف يتعلم.
- تركيزًا على التعلم التعاوني وفريق العمل في إنجاز المشروعات.
- استعمالاً لأساليب التشجيع والتعزيز في التعامل مع الطلبة.

- قدرة على استعمال تقنيات التعليم الإلكترونية والمعلومات والاتصال، وتوظيفها لمصلحة العملية التعليمية التعليمية «الحاسوب، الشبكة، مخابر العلوم المتطورة... إلخ».
- قدرة على التمييز بين المعارف الجيدة والفاصلة مما تنشره الشبكة «الإنترنت».
- قدرة على فهم نفسية طلابه وتعرف حاجاتهم وميولهم واهتماماتهم.
- امتلاكاً لمهارات التعلم الذاتي، الذي هو أساس للتعلم المستمر مدى الحياة، وإذا كان أرقى أنواع التعلم أن يتعلم الطالب كيف يتعلم بإرشاده إلى أساليب التعلم الذاتي فإن أرقى أنواع التنمية المهنية للمدرس أن يتعلم كيف ينمي نفسه ويطور أدائه وكيف يحل مشكلاته المهنية.
- قدرة على استعمال أساليب تقويم متنوعة ومتعددة تقيس المهارات العقلية العليا لدى الدارسين.

- قدرة على توظيف نتائج التقويم في تطوير العملية التعليمية التعليمية انطلاقاً من الأسئلة الخمسة:

لماذا؟ ماذا؟ لمن؟ كيف؟ ما الأثر؟

استثناساً بتجارب الأمم الأخرى في عمليتي الإعداد والتأهيل من جهة والتدريب من جهة أخرى، ومن هذه التجارب تجربة ماليزيا في استراتيجيات التدريس من حيث اعتمادها أسلوب حل المشكلات والتعلم الذاتي وعصف الدماغ والمناقشة والتعلم بالاكتشاف، وأداء الأدوار وحلقات البحث وتقانة التعليم في العرض.

رابعاً: إعداد المدرس للتدريس بالعربية

تعد اللغة من أبرز سمات المجتمع الإنساني، إذ ما من حضارة عرفت البشرية إلا وصاحبها نخضة لغوية، وقد احتلت لغتنا العربية مكانة مرموقة في مسيرة الحضارة البشرية، وهي الآن من بين اللغات العالمية في الأمم المتحدة ومنظمتها المتخصصة. حاربها أعداء الأمة لأنها عامل توحيد بين أبناء أمتنا، وفرضوا لغاتهم مكانها في أثناء احتلالهم لوطنا العربي. وبعد أن حصلت بلادنا العربية على استقلالها وتحررت من الاحتلال الأجنبي، ظل أعداء الأمة ماضين في محاربتهم للغتنا ووصمها بالصعوبة من جهة، وبالتخلف وعدم مواكبة روح العصر من جهة أخرى، وعملوا على تشجيع العاميات لأنها عامل تفريق بين أبناء الأمة، كما عملوا على سيورة اللغة الإنجليزية واعتمادها مكان العربية في الجامعات ومعاهد التعليم العالي، على الرغم من مكانة لغتنا وأصالتها وتميزها

وعراقتها، وعلى الرغم من تميز التجربة السورية في اعتمادها اللغة الأم «العربية الفصحى» في التدريس في جميع مراحل التعليم، انطلاقاً من أن لغتنا هي هويتنا وعنوان شخصيتنا ورمز لكياننا القومي وذاكرة أمتنا ومخزوننا الثقافي، فضلاً عن أنها لغة قرآنا الذي نزل به الروح الأمين على قلب الرسول العربي الكريم ﷺ بلسان عربي مبين آية لنبوته، وتأييداً لدعوته، ودستوراً لأمته.

ومن هنا كان التعريب في سعيه إلى سيرورة اللغة العربية الفصحى، وانتشارها على جميع الصعد وفي جميع مجالات الحياة، قضية متعددة الوجوه والمستويات والمقاصد، فهو قضية قومية وقضية دينية، وقضية مجتمعية، وقضية تربوية، وقضية أمن ثقافي، وقضية إبداع وابتكار^(٣).

ولقد أدركت سورية هذه الجوانب كافة منذ أن تحررت من الاحتلال العثماني، فكان المدرسون في معهدي الطب والحقوق، نواة الجامعة السورية حينئذ عام ١٩١٩، يدرّسون بالعربية، واستمر التدريس بها في عهد الانتداب الفرنسي على سورية على الرغم من كل محاولاته فرض لغته مكانها، إلا أن الأمانة التاريخية تدفعنا إلى ذكر أن ثمة من كان منصفاً من العلماء الفرنسيين في تهنئته أساتذة الجامعة السورية على اعتمادهم اللغة العربية في التدريس، فهاهو ذا السيد «بونور» مدير المعارف العام في المفوضية العليا إبان الانتداب الفرنسي يخاطب أساتذة الجامعة السورية في احتفال أقيم فيها قائلاً: «لستم مخطئين في اختياركم اللغة العربية في التدريس، بل كونوا واثقين أنكم أحسنتم صنعا بانتقائها، فإن من يزعمون أن اللغة العربية غير صالحة للتعبير عن مصطلحات العلم الحاضر هم على خطأ مبين، فالتاريخ يثبت أن لغة الضاد كسائر اللغات الأخرى غنية باشتقاقها، وكافية بكثرة تراكيبها للتعبير عن الأفكار الجديدة والارتباطات الحديثة التي تربط تلك الأفكار، وأن فلاسفة العرب حينما نقلوا في القرن التاسع إلى لغتهم رسائل أرسطو طاليس تمكّنوا من نقل العلوم إلى لغتهم كما في عهد ابن سينا والغزالي وابن رشد، فما ينكر أحد والحال هذه أن اللغة العربية صالحة لمباشرة اللغات الأخرى وللتعبير عن الأفكار العلمية الحديثة، واعلموا أن اندفاعكم إلى إيجاد مؤسسة علمية كبيرة عربية اللسان، هو على ما أرى أكبر دليل على حذاقتكم، فظلو محافظين على هذه الأداة البديعة التي نحن مدينون لها بكثير من الأعمال الباهرة، وبعدد من الأشكال الجميلة التي تجلّى بها الفكر البشري».

ويتابع قائلاً: «إنني أهنيء العرب، وأتمنى ألا يضيعوا هذا الاحترام المقدر للغتهم، لأن من يدافع عن لغته، يدافع عن أصله وعن حقه وعن كيانه وعن لحمه ودمه، وإنكم تفهمتم هذا

الأمر جيداً»^(٤).

والواقع لقد تسلّح أساتذة الجامعة السورية في تدريسهم بالعربية بالإرادة القوية والانتماء القوي لأمتهم ولغة قرآنها الكريم، فكانوا يضعون المصطلحات العربية مقابل المصطلحات الأجنبية، مفتشين عن هذه المصطلحات العربية في بطون كتب التراث وفي المعاجم اللغوية من جهة، ومستعينين بقدرة اللغة العربية على الاشتقاق والنحت والمجاز من جهة أخرى، ومستأنسين بالمصطلحات التي وضعها أساتذة الطب في القصر العيني في القاهرة، عندما كانت العربية لغة التدريس في القصر العيني قرابة سبعين عامًا منذ أيام محمد علي باشا وقبل الاحتلال الإنجليزي لمصر الذي حوّل لغة تعليم الطب من العربية إلى الإنجليزية، ومستأنسين أيضًا بالكتب التي ألّفها في أواخر القرن التاسع عشر ثلاثة أساتذة أجانب من أساتذة الكلية الإنجليزية السورية في بيروت، حيث كانوا يدرسون الطب بالعربية في هذه الكلية التي أصبحت فيما بعد الجامعة الأمريكية، وغيّرت لغة التدريس فيها من العربية إلى الإنجليزية أيضًا.

وعادت إلى اللغة العربية مكانتها تأليفًا وترجمةً وتدرّيسًا ومصطلحًا «بفضل جهود رجالات التعريب من أعضاء الهيئة التدريسية في الجامعة وجهود مجامع اللغة العربية عامة، وجمع اللغة العربية بدمشق خاصة، وعاد إلى التأليف بالعربية كثير مما افتقدته في عصور الانحدار من عمق في المعاني، ووضوح في الأفكار وسلامة في اللغة، ونصاعة في البيان، وظهرت في اللغة العربية إلى جانب كتب اللغة والأدب كتب علمية جيدة في مختلف الميادين، استطاع مؤلفوها أن يجمعوا بين الغرض العلمي وسلامة اللغة وجودة العرض وحسن الأداء، وكان لطائفة من أساتذة كلية الطب بجامعة دمشق القدح المعلن في هذا المضمار»^(٥)، على حدّ تعبير العالم اللغوي الأستاذ الدكتور مازن المبارك.

ولا يخفى على أحد تميز التجربة السورية في التعليم باللغة الأم في مختلف المراحل، وهما هو ذا قد مضى عليها قرن تقريبًا، وهما هم أولاء خريجوها في الجامعات السورية وفي مختلف التخصصات، لاسيما الطبية منها يَبْرُون أقرانهم الذين درسوا باللغة الأجنبية، إذ إنهم يتقلّدون أرفع المناصب العلمية والأكاديمية في المشافي الأوربية والأمريكية ولم يَحُلْ تلقيهم العلم في الدرجة الجامعية الأولى بلغتهم الأم دون التفوق والتميز في دراساتهم العليا وعملهم المهني، وإنما كان دافعًا لهم لحيازة ذلك التفوق، فلقد تلقى هؤلاء المتخرجون علومهم باللغة العربية الفصيحة، واستعمل أساتذتهم اللغة العربية الفصيحة في

تعليمهم معتمدين في المجال الطبي المصطلحات التي تضمنها المعجم الطبي الموحد.

ولنستمع إلى ما يقوله الباحث المصري الأستاذ الدكتور عبد الصبور شاهين عن التجربة السورية في تعليم الطب بالعربية في العدد الرابع والثلاثين من مجلة «ديوجين مصباح الفكر» الصادرة عن اليونسكو: «تبرز مأساة اللغة العربية بوضوح إذا ما رأينا أن العلوم التي تقوم عليها الحضارة الحديثة كالمهندسة والطب والصيدلة والطبيعة والرياضيات كلها تدرس باللغة الإنجليزية في جامعاتنا، لا لأن العربية عاجزة عن تمثل حقائقها ومصطلحاتها تمثلاً ما، بل لأن هيئات التدريس في هذه المجالات هي العاجزة عن استعمال اللغة العربية أداة لنقل المعارف الحديثة ومتابعة ما ينشر في الخارج بفكر ولسان عربيين»^(٦).

ويتابع قائلاً: «لقد حضرت أخيراً مناقشة لرسالة في علم الطفيليات لنيل درجة الدكتوراه كانت أنموذجاً للمأساة التي نعيشها نحن في الوطن العربي، ومعبرة عن التمزق العميق في أعلى مستويات البحث العلمي الحضاري، الرسالة محررة بالإنجليزية، وقدمت الباحثة ملخصاً عنها بالإنجليزية أيضاً، وبدأت المناقشة، فتحدث المشرف بالعربية، وناقش أحد الأعضاء الطالبة بالإنجليزية، وناقش العضو الآخر الطالبة بالعربية، وكانت الطالبة ترد وتناقش بالإنجليزية وبالعربية في لغة مختلطة كاحتلاط الرقع في الثوب المهلهل، وذلك في كلية الطب بإحدى الجامعات المصرية العريقة، ولو أن هذا الموضوع كان مطروحاً بجامعة دمشق لكتب بالعربية ولنوقش بالعربية دون أدنى صعوبة في الأداء أو في المصطلحات.

لنقلها بصراحة ودون مواربة - يقول الدكتور شاهين - إن اللغة العربية غير عاجزة، وإنما العاجز بعض بنيتها سواء أكان العجز من النوع الثقافي المتمثل في ضعف إلمام بعض أساتذة جامعة القاهرة باللغة العربية ومصطلحاتها، أو كان من النوع النفسي إذا افترضنا فيهم القدرة على استعمال اللغة الأم، ولكنهم يحجمون عن خوض التجربة لفقر في الإحساس بالكرامة القومية، ذلك الإحساس الذي يدفع الجندي الأمين إلى اقتحام الأهوال، وقد كان خليقاً أن يدفع هؤلاء الأساتذة إلى صنع المحال»^(٧).

هذا ما ورد في مقال الدكتور عبد الصبور شاهين في النصف الثاني من سبعينيات القرن الماضي، وكان مجلس وزراء الصحة العرب والتعليم العالي قد أوصى في اجتماعه في مطلع

الثمانينيات من القرن الماضي في دمشق أن يكون عام ٢٠٠٠ هو الانتهاء من تعريب الطب في الجامعات العربية، وها نحن أولاء في نهاية العقد الأول من الألفية الثالثة نجد أن الصورة ما تزال أكثر قتامة ويا للأسف في الوقت الذي استطاع فيه أساتذة الجامعات السورية أن يثبتوا قدرة اللغة العربية على استيعاب العلوم والطب، فوضعوا عددًا من الكتب العلمية تناولت مختلف الموضوعات، وقدمت لنا أمثلة حية على قدرة اللغة العربية على التعبير عن دقائق العلوم، فوضعت المصطلحات العربية، وعرّبت المصطلحات الأجنبية، وظهرت أمهات الكتب العلمية في الجراثيم الطفيلية والكيمياء الحيوية والفسولوجيا النباتية وعلم النبات وعلم النسيج والتشريح، وعلم تشخيص العقاقير والكيمياء العامة، فسَدَّت الكتب العلمية التي أُلِّفت حاجات كلية الطب وطب الأسنان والصيدلة والعلوم في أقسام الفيزياء والرياضيات والكيمياء والحيوان والنبات... إلخ.

وأسهم الأساتذة السوريون في معركة التعريب التي خاضتها الجزائر بعد استقلالها، كما أسهموا في عملية التعريب في السودان، فدرسوا وقدموا المراجع العلمية وأمهات الكتب تأليفًا وترجمة في مختلف الميادين العلمية وكان لهم إسهام في الجامعات الليبية واليمنية والأردنية وفي أغلب الجامعات العربية، منطلقين من إيمانهم بأن استعمال اللغة العربية في العملية التعليمية التعلمية ليس مهنة، وإنما هو قبل ذلك قضية وطنية ورسالة قومية في الوقت الذي ابتلينا فيه على نطاق الساحة القومية بإهمالنا للعربية بغرورنا أن سواها أعف وأبجى وأفتى وأقرب إلى مقومات الحضارة الحديثة.

خامسًا: إجراءات مساعدة للتدريس بالعربية

أبان رئيس مجمع اللغة العربية في القاهرة الأستاذ الدكتور محمود حافظ: «أن قضية التعريب في التعليم العالي والجامعي تركز على محاور أو اهتمامات ثلاثة هي الأستاذ والكتاب والطالب، وأنه لا سبيل إلى تعريب التعليم العالي والجامعي ما لم يؤمن بذلك الأستاذ وعضو هيئة التدريس، وما لم يترسخ في ذهنه قناعة قوية بأهمية التعريب باعتباره قضية قومية ووسيلة فعالة للارتقاء بمستوى التعليم ودفع حركته خطوات بناء فسيحة إلى الأمام، وأن تتوفر بجانب هذه القناعة وهذا الإيمان أحدث المراجع العلمية باللغة العربية، وله في ذلك دور كبير ترجمة وتأليفًا وتعريبًا للمصطلحات مع تأهيله للتدريس بالعربية لتحسين لغته واستقامة لسانه، فإذا اقترنت هذه

المقومات بقرار سياسي ملزم بتعريب التعليم الجامعي لاعتبارات قومية وعلمية واجتماعية فلا شك أن عضو هيئة التدريس سيمضي في تأدية رسالته التعليمية في الجامعة بلسان عربي مبين»^(٨).

أما فيما يتعلق بالطالب فإن فهمه للمحاضرة والشرح بلغته القومية يعنيه عن بذل مجهود مضاعف لو درس بالأجنبية، إذ ينصرف نصفه لفهم اللغة وتعرف المفردات الصعبة في اللغة الأجنبية التي يدرس بها، وينصرف النصف الآخر من الجهد لاستيعاب المادة العلمية نفسها، فضلاً عما يعتري ذهن الطالب أحياناً من غموض في المعنى، أو نقص فيه، يختل معه بناء المعلومات أو تُنقل إليه بغير الصورة المقصودة من المحاضر.

وفي الندوة السنوية لتعريب التعليم العالي في الجامعات العربية^(٩)، التي عقدها المركز العربي للتعريب والتأليف والترجمة والنشر عام ١٩٩٥ كان من التوصيات التي خرجت بها الندوة الحرص على إعداد المدرّس الجامعي القادر على أن يلقي دروسه باللغة العربية السليمة الفصحى الميسرة، ووضع خطة لتحويل مدرسي الجامعة بمختلف التخصصات من التدريس باللغة الأجنبية إلى التدريس بالعربية في الأقطار الجاري بها استعمال اللغة الأجنبية في التعليم العالي، وذلك بإقامة دورات تأهيلية منظمة ومكثفة لكل فئة منهم، وبذل كل تشجيع لهم لتحقيق هذا التحول والإفادة منه.

ومن الباحثين من لخص الإشكالات التي تعترض استعمال اللغة العربية في العلوم والآداب والفلسفة ومبتكرات الحضارة وغيرها، فرأى «أن هذه الإشكالات تعود لأسباب لا تتعلق باللغة نفسها، وإنما بطرائق تعليم اللغة فهي قديمة وعقيمة تعقد الأمور أمام المتعلم، وهذه مشكلة تربوية، كما تعود إلى عدم وجود المدرسين الأكفاء المالكين لزمام العربية وهي مشكلة تربوية أيضاً، ومنها ما يعود إلى عدم توحيد المصطلحات المستجدة في اللغة في هذا العلم أو ذاك، وهذا يعود إلى عدم التنسيق بين المشتغلين في العلم الواحد في مختلف الأقطار العربية، وعدم قيام المؤسسات الثقافية العربية بدورها في هذا الميدان إلا في نطاق ضيق، وهذه مشكلة سياسية، ومنها ما يعود إلى أن مبتكرات الحضارة وتطور العلوم والتطور المعرفي عمومًا يسير في العالم بخطوات سريعة لا يمكن اللحاق بها دون جهود مخططة ومبرمجة ومدروسة، وهو أمر لم نعد أنفسنا له، وهذه مشكلة حضارية في اعتقاد الباحث معن زيادة»^(١٠).

وفي سورية كانت الجامعات بفضل جهود أساتذتها رائدة في جعل اللغة العربية لغة التدريس في كل المواد وجميع الكليات مقيمة بذلك الدليل على أصالة لغتنا وقدرتها الفائقة على استيعاب كل جديد ومواكبة كل تقدم علمي، وهذا أمر تشهد به المؤلفات العربية العديدة التي تزخر بها المكتبات، إلا أن ثمة صيحات انطلقت تشكو انحدار مستوى الطلبة ومدرسيهم في اللغة العربية وذلك في ثمانينيات القرن الماضي، وهذا ما دفع الرئيس الراحل حافظ الأسد إلى أن يصدر المرسوم الجمهوري ذا الرقم ٧٥٩ بتاريخ ١٠/٦/١٩٨٣ الذي ينص على تدريس اللغة العربية في المرحلة الجامعية الأولى في جميع سنوات الدراسة في الكليات والمعاهد العليا في سورية، ما عدا قسم اللغة العربية والسنوات الأخيرة في كلية الطب البشري، ويدرس هذا المقرر على مدار السنة في النظامين الدراسيين الفصلي والسنوي، وألفت الكتب الخاصة بتعليم اللغة العربية لغير المختصين، ونُفذت التجربة منذ ثمانينيات القرن الماضي.

أما فيما يتعلق بالمدرسين فقد صدرت توصية اللجنة الثقافية في مجلس الوزراء لعام ١٩٨٤ بضرورة العناية باللغة العربية في جميع الكليات واختيار المعيددين وأعضاء الهيئة التدريسية من الذين يحسنون اللغة العربية في التدريس، واعتماد شرط إتقان اللغة العربية في ترقية أعضاء الهيئة التدريسية وذلك في مؤلفاتهم وبحوثهم وتدريسهم.

ولقد صدر بلاغ من رئاسة مجلس الوزراء موجه إلى وزارة التعليم العالي ينص على أن تقوم وزارة التعليم العالي في صدد تعيين الأساتذة حديثاً بما يأتي:

ألا ينقل الأساتذة الجدد المتمرنون في جميع الاختصاصات من المرحلة الأولى إلى مرحلة أعلى قبل أن يتقدم هؤلاء بامتحان في اللغة العربية.

أن يكون من شروط التعيين لعضو الهيئة التدريسية في جامعات القطر ومعاهدها المتوسطة وفي جميع الاختصاصات شرط النجاح في امتحان شفهي وكتابي في اللغة العربية. إحداث دورات تأهيلية في اللغة العربية للأساتذة.

وتتكون لجنة اختبار اللغة العربية من رئيس قسم اللغة العربية في كلية الآداب، ومن رئيس القسم المختص الذي يود أن يتعين فيه عضو هيئة التدريس، ومن أحد أعضاء هيئة التدريس في قسم اللغة العربية يسميه رئيس فرع نقابة المعلمين في الجامعة، ومهمة اللجنة:

- إجراء امتحان شفهي وكتابي للمعينين أول مرة من أعضاء الهيئة التعليمية.

- إجراء امتحان لأعضاء الهيئة التعليمية المتميزين عند تأصيلهم.

ولم تكتفِ الجامعة بهذه الإجراءات للنهوض باللغة العربية، وإنما عملت على أن جعلت سلامة اللغة العربية شرطاً ينص عليه في تقوم الإنتاج العلمي للترقي في سلم هيئة التدريس، كما أنها اتخذت إجراءات في ضرورة مراجعة الأمالي والكتب الجامعية بحيث تضمن سلامة اللغة ووضوح الأسلوب في كل ما تقع عليه عين الطالب.

واشتطت الجامعات السورية أيضاً أن يعمل عضو هيئة التدريس عند تعيينه على ترجمة أطروحته في الدكتوراه إلى اللغة العربية إغناء لعملية التعريب، إذ إن هنالك بجوئاً عن اللغة العربية في جامعات أجنبية تجري باللغة الإنجليزية، ومنها رسائل ماجستير ودكتوراه وتعلق بدراسة التراكيب العربية وعلم الدلالة في اللغة العربية، وهي رسائل حديثة في جامعات أمريكا وفرنسا وإنكلترا، وهؤلاء الذين يقدمون هذه الرسائل لا يقومون بترجمة هذا الإسهام العلمي إلى العربية إلا أن الجامعات السورية اشتطت ترجمتها.

ومن ناحية أخرى ثمة جامعات عربية لا تعد الترجمة عملاً علمياً يدخل في ترقية عضو هيئة التدريس من مرتبة إلى أعلى، وهذا ما أثار سلباً في حماسة أعضاء الهيئة التدريسية نحو الترجمة مادام الجهد المبذول لا يدخل في الترقية، وهذا ما تلافته الجامعات السورية.

كما أن الجامعات السورية تشترط عند تأصيل المدرس بعد إخضاعه للتمرين أن يخضع لدورة في التأهيل التربوي يتدرب خلالها على أصول التدريس واستعمال التقنيات التربوية وأساليب التقويم.... إلخ.

ذلك لأن المدرس قد يكون متمكناً من مادة تخصصه ومن لغته، إلا أنه قاصر عن إيصال مادته إلى طلابه بالأساليب التربوية الشائقة مما يؤثر في تحقيق الأهداف. ومن هنا كانت عملية التأهيل التربوي لأعضاء الهيئة التدريسية في جامعات الوطن العربي من الأهمية بمكان، ولها دور في مسيرة التعريب عندما تجري عملية نقل المعلومات والمعارف والتفاعل معها باللغة العربية وبأساليب تربوية شائقة.

ومن الإجراءات التي تساعد على عملية التعريب في مجال إعداد المدرسين الأكفاء القادرين على التعليم بالعربية أن يُنتدب أساتذة من الجامعات التي تنفذ التعريب للتدريس بالعربية في جامعات تسعى إلى التعريب، وإلقاء محاضرات في هذه الجامعات مُدداً كافية تشجيعاً للأساتذة المحليين وكسراً للحاجز النفسي الذي يحسون به تجاه إلقاء محاضراتهم بالعربية. ولا بد من تشجيع

هؤلاء على الكتابة وإلقاء الدروس والمحاضرات والمشاركة في الندوات باللغة العربية الفصيحة، وكتابة البحوث باللغة العربية أيضاً.

ومن بين هذه الإجراءات أيضاً تنظيم برنامج لتبادل الزيارات بين مدرسي المادة الواحدة في الجامعات العربية، وحضور الأساتذة الذين يدرّسون بالأجنبية إلى الجامعات العربية التي تدرّس بالعربية للاطلاع على تجاربها والإفادة منها.

ولابد من العمل على تخفيف الأعباء التدريسية والإدارية عن أعضاء الهيئة التدريسية، وتوجيه جزء من نشاطهم إلى التعريب الذي سيؤدي بدوره إلى رفع مستواهم العلمي رفعاً غير مباشر.

ومن الإجراءات المساعدة أيضاً تشجيع الأساتذة على مطالعة كتب التراث ذات العلاقة بتخصصاتهم لمدهم بمصطلحات علمية ومفردات تعينهم على إغناء لغتهم في مجالات تخصصهم.

ومما يساعد على تعزيز عملية الإعداد، الاستمرار في تحقيق التراث العلمي العربي، وكشف النقاب عن المخطوطات العلمية العربية في داخل الوطن العربي وفي خارجه، في مكتبات المتحف البريطاني في لندن والمكتبة الأهلية بباريس والأسكوريال في إسبانيا والسليمانية في إستانبول... إلخ. أما فيما يتعلق بتعلم اللغات الأجنبية فإن التجربة السورية غنيت بتعليم اللغات الأجنبية، فقررت وزارة التربية بدءاً من عام ٢٠٠١ تدريس لغتين أجنبيتين في مرحلتي التعليم الأساسي والثانوي، بعد أن كانت سابقاً تدرس لغة واحدة، على أن يبدأ تدريس اللغة الإنجليزية بدءاً من الصف الأول من مرحلة التعليم الأساسي، وتدرس اللغة الفرنسية بدءاً من الصف السابع بحيث يتخرج الطالب في نهاية المرحلة الثانوية وهو يعرف اللغتين الإنجليزية والفرنسية.

ولم يكن الاهتمام باللغة الأجنبية في مراحل التعليم العام فقط، وإنما كان ثمة اهتمام بها في المرحلة الجامعية وفي الدراسات العليا، بحيث لا يتمكن الطالب من تسجيل رسالته لنيل درجة الماجستير إلا بعد التحاقه بدورة في معهد اللغات الذي أنشأته الجامعة لتعليم اللغات الأجنبية، وذلك في ضوء مستوى الدارس وإثبات نجاحه فيها. ولا يتمكن الطالب من تسجيل رسالة الدكتوراه إلا بعد نجاحه في امتحان اللغة الأجنبية، وينطبق ذلك على المعيدین الموفدين في بعثات خارجية.

ولم تكن هذه الإجراءات إلا سعيًا من التجربة السورية إلى بناء نظام تربوي ثنائي اللغة ينسجم ومقتضيات العصر من جهة، ويحقق الربط الوثيق بين الأهداف القومية والإنسانية معًا.

سادسًا: خطة العمل الوطنية للتمكن من اللغة العربية

عندما أدى السيد الرئيس بشار الأسد القسم الدستوري أمام مجلس الشعب لولاية دستورية جديدة في السابع عشر من تموز عام ٢٠٠٧ ألقى خطابًا شاملاً بهذه المناسبة، وقد أشار في جانب منه إلى إيلاء اللغة العربية المرتبطة بالتاريخ والثقافة كل الاهتمام والرعاية، كي تعيش في مناهجنا وإعلامنا كائنًا حيًا ينمو ويتطور ويزدهر، وتكون في المكانة التي تستحقها جوهريًا لانتمائنا القومي، ولكي تكون قادرة على الاندماج في سياق التطور العلمي والمعرفي في عصر العولمة والمعلومات لتصبح أداة من أدوات التحديث، ودرعًا متينة في مواجهة محاولات التغريب والتشويش التي تتعرض لها ثقافتنا، ويقول في هذا الصدد: «يجب إيلاء اللغة العربية وهذا الموضوع هام جدًّا، اللغة العربية التي ترتبط بتاريخنا وثقافتنا وهويتنا كل اهتمامنا ورعايتنا، بدأت بهذا الموضوع ووضعت في خطاب القسم لأن هناك تراجعًا بالنسبة للغة العربية المرتبطة بالهوية العربية.

ويجب إيلاء اللغة العربية التي ترتبط بتاريخنا وثقافتنا وهويتنا كل اهتمامنا ورعايتنا كي تعيش معنا في مناهجنا وإعلامنا وتعليمنا كائنًا حيًا ينمو ويتطور ويزدهر، ويكون في المكانة التي يستحقها جوهريًا لانتمائنا القومي، ولكي تكون قادرة على الاندماج في سياق التطور العلمي والمعرفي في عصر العولمة والمعلومات، لتصبح أداة من أدوات التحديث ودرعًا متينة في مواجهة محاولات التغريب والتشويش التي تتعرض لها ثقافتنا.

لقد أعطينا في سورية اللغة العربية كل الاهتمام وتبوأنا موقعًا رفيعًا في حياتنا الثقافية منذ وقت مبكر، ومطلوب منا اليوم استكمال جهودنا للنهوض بها ولاسيما في هذه المرحلة التي يتعرض فيها وجودنا القومي لمحاولات طمس هويته ومكانته، والذي يشكل التمسك باللغة العربية عنوانًا للتمسك بهذا الوجود ذاته.

ويجب أن نتذكر أن دعمنا لتعلم اللغات الأجنبية للوفاء بمتطلبات التعليم والتواصل الحضاري مع الآخرين ليس بديلاً عن اللغة العربية، بل محفز إضافي لتمكينها والارتقاء بها».

ويتابع قائلاً: «أنا مهتم بتطوير نفسي في اللغات الأجنبية، وأتحدث بطلاقة بعض اللغات، ولا توجد لدي مشكلة، ومتحمس لهذا الشيء، ولكنني في الوقت نفسه حريص على اللغة العربية، وأول سؤال أسأله بعد كل خطاب، ما عدد الأخطاء اللغوية التي وقعت فيها قبل أن أسأل عن مضمون الخطاب، علينا أن نركز بشكل مستمر على هذا الموضوع، في كل خطاب ننسى الكثير من الأفكار ولكن لا أحزن، ولكن إذا كانت هناك أخطاء لغوية، فمع كل خطأ أشعر بالخجل».

ويقول: «عندما تضعف اللغة العربية من السهل أن يضعف أي ارتباط آخر لنا سواء بالنسبة للوطن، بالنسبة للقومية، أو بالنسبة للدين، فهذه الأمور ترتبط باللغة».

وكان السيد الرئيس قد أصدر القرار الجمهوري ذا الرقم ٤/ بتاريخ ٢٦/١/٢٠٠٧ بتشكيل لجنة للتمكين للغة العربية والمحافظة عليها والاهتمام بإتقانها والارتقاء بها. وحدد القرار الجمهوري مهمة اللجنة بوضع خطة عمل وطنية للتمكين للغة العربية والحفاظ عليها والاهتمام بإتقانها والارتقاء بها ومتابعة تنفيذها.

وقامت اللجنة المشكلة والتي كان لي شرف رئاستها، بوضع خطة العمل الوطنية للتمكين في الأشهر الثلاثة الأولى من عام ٢٠٠٧، وما تزال تتابع تنفيذها مع الجهات المعنية، وتشتمل الخطة على أربعة أقسام يتناول أولها المسوغات التي دعت إلى وضعها، ويتناول القسم الثاني الواقع اللغوي والعوامل المؤثرة فيه، ويقف القسم الثالث على سبل المواجهة، ويركز القسم الرابع والأخير على القضايا الملحة التي تتطلب المعالجة السريعة. وأبانت الخطة ما الذي ينبغي للجهات المعنية القيام به «وزارة التربية، وزارة التعليم العالي، وزارة الثقافة، وزارة الإعلام، وزارتا الاقتصاد والسياحة، وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل، وزارة الأوقاف، اتحاد الكتاب العرب، مجمع اللغة العربية، الجمعية العلمية السورية للمعلوماتية... إلخ».

وتتابع اللجنة عملية التنفيذ محاوله تذليل العقبات المعترضة وتجتمع اللجنة شهرياً وتقدم تقارير المتابعة إلى السيدة الدكتورة نجاح العطار نائب رئيس الجمهورية للشؤون الثقافية.

أما فيما يتعلق بوزارتي التربية والتعليم العالي فقد أشارت الخطة إلى أن على وزارة التربية أن تعمل على تنفيذ ما يأتي:

١- إجراء دورات تدريبية لمرييات رياض الأطفال على استعمال العربية المبسطة، والسعي التدريجي لأن تكون الرياض جزءاً من السلم التعليمي وتوفير مستلزمات هذا المسعى من برامج

وأنشطة وكراسات... إلخ.

٢- إجراء دورات تدريبية للمعلمين كافة لتدريبهم على استعمال أساسيات لغتهم استعمالاً سليماً وتوظيف دورات التدريب المستمر في جانب منها لهذا المسعى.

٣- التزام جميع المعلمين وفي مراحل التعليم كافة باستعمال العربية في العملية التعليمية التعلمية، وألا يخضعوا للترقية في وظائفهم إلا إذا أثبتوا إتقانهم أساسيات لغتهم.

٤- تنويع طرائق التدريس والمرونة في استعمالها بحسب الأجواء، بما يفسح المجال فيها لاستشارة المهارات العقلية العليا من فهم وتطبيق وتركيب وتحليل ونقد وتقويم... إلخ.

٥- تدريب معلمي اللغة على أساليب تعليم اللغة العربية وطرائق تدريسها، والعناية بالتعلم الذاتي والمطالعة الحرة.

٦- تشجيع المتعلمين كافة على استعمال العربية المبسطة في مناقشتهم اللغوية، والتشدد في عدم قبول إجاباتهم بالعامية.

٧- تخصيص جوائز للناشئة المتميزين في استعمال لغتهم الأم في مناشطهم اللغوية.

٨- إعادة النظر في مضمون المناهج ولغتها لتكون لغة للحياة النابضة الزاهرة.

٩- التركيز على النحو الوظيفي وعلى التعبير الوظيفي في المناهج التربوية اللغوية.

١٠- التركيز على القوالب والبنى اللغوية في عملية تعليم اللغة في المراحل الأولى قبل الدخول في المصطلحات النحوية، وتجنب استعمال المصطلحات النحوية في المراحل المبكرة من التعليم.

١١- الإكثار من حفظ النصوص من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والأشعار والخطب البليغة في مراحل التعليم كافة وخاصة المراحل الأولى، وعلى قدر حفظ النصوص في المراحل الأولى يستقيم اللسان، فتتأثر بذلك صحة القلم في التعبير الكتابي واللسان في التعبير الشفهي.

١٢- ضبط جميع الكتب المؤلفة بالشكل في الحلقة الأولى من مرحلة التعليم الأساسي، وضبط ما يخشى منه اللبس في المراحل التالية.

١٣- التدريب المستمر على الكشف في المعاجم.

١٤- إنتاج كتب إلكترونية مبسطة بالعربية.

١٥- تصميم دروس العربية بالحاسوب والشابكة «الإنترنت».

١٦- تطوير أساليب الامتحانات في جميع المراحل التعليمية وعدم الاقتصار في التقويم على الامتحانات الكتابية، مع ضرورة بناء أدوات موضوعية لتقويم الأداء اللغوي، على أن تتضمن في بعض جوانبها الضبط بالشكل.

١٧- إجراء بحوث علمية لمعالجة المشكلات اللغوية في العملية التعليمية التعلمية.

١٨- العناية بالمكتبات المدرسية وتزويدها بدوائر المعارف والمعاجم وأمّهات الكتب والكتب الالكترونية والسلاسل المتنوعة، على أن تكون اللغة المستعملة فيها سليمة لغوياً، وعلى أن تكلف أطر متخصصة بالمكتبات العناية بها.

١٩- إغناء البيئة التعليمية التعلمية بمصادر التعليم المختلفة من كتب وصحف ومجلات ووثائق وصور ومجسمات وتسجيلات ورسوم وأشكال وشرائح وخطوط بيانية وحواسيب...إلخ.

٢٠- تفعيل النشاط اللغوية اللاصقيّة من صحافة مدرسية ومجلات وإذاعة مدرسية وكتابة إعلانات ولافتات، وإجراء مناظرات ومسابقات لاختيار الأداءات المتميزة وتخصيص جوائز لها.

٢١- تفعيل المسرح المدرسي، والإكثار من عرض المسرحيات الناطقة بالعربية الفصيحة المبسطة، وإشراك الناشئة في تمثيل أدوارها.

٢٢- زيادة الاهتمام بذوي الحاجات الخاصة، وتوفير البرامج اللغوية والوسائل التعليمية الملائمة لهم تحقيقاً لدمجهم في المجتمع دمجاً فعالاً.

٢٣- الإشراف الفعال على المدارس الخاصة والارتقاء بواقع اللغة العربية فيها.

٢٤- التركيز على وضع مناهج خاصة لتعليم المغتربين وأبنائهم وغير الناطقين باللغة العربية بغية إكسابهم مهاراتها.

٢٥- التركيز على اللغة العربية السليمة والشائقة في البرامج التعليمية التلفزية.

٢٦- التنسيق مع وزارة الإعلام لإنتاج برنامج تلفزيوني متقن لتعليم العربية لأبنائها وللمغتربين ولغير الناطقين بها في ضوء الاتجاهات التربوية المعاصرة.

وتعني وزارة التعليم العالي بتنفيذ ما يلي:

١- اختيار الطلبة الراغبين في الانتساب إلى الكليات الجامعية كافة على أساس إتقان

أساسيات اللغة العربية.

٢- التزام جميع أعضاء الهيئة التدريسية في الجامعات والمعاهد استعمال اللغة العربية في العملية التعليمية التعلمية.

٣- إعادة النظر في مناهج تدريس اللغة العربية في كلية الآداب لتكون وظيفية.

٤- إعادة النظر في مناهج تعليم اللغة العربية لغير المختصين في ضوء اختصاص الطالب في كليته استشارة للدفاعية وتحقيقاً للمنحى الوظيفي.

٥- إعادة النظر في برامج إعداد مدرسي اللغة اختياراً وتأهيلاً وتدريباً.

٦- تعميم تدريس اللغة العربية مطلباً جامعياً في كل الكليات الجامعية وفي الجامعات الرسمية والخاصة.

٧- وضع خريطة بحثية بالتنسيق مع وزارة التربية لمشكلات تعليم اللغة العربية وتعليمها بغية معالجة هذه المشكلات بالأساليب العلمية.

٨- الأخذ بالحسبان أن يكون من بين شروط ترقية أعضاء الهيئة التدريسية إتقانهم أساسيات اللغة.

٩- اعتماد المصطلحات التي أقرها مجمع اللغة العربية في التدريس وفي الترجمة.

١٠- تفعيل حلقات البحث لتؤدي الأهداف المرسومة لها من حيث تعويد الطالب البحث والتلخيص والعرض والمناقشة باللغة العربية السليمة في جميع الكليات الجامعية.

١١- إعادة الامتحانات الشفهية إلى أساليب تقويم الدراسين، وعدم الاكتفاء بالامتحانات التحريرية في الصفوف الأخيرة من الدراسة الجامعية.

١٢- الإكثار من ضروب النشاط اللغوي بالعربية الفصيحة في النشاط اللاصفية في الإذاعة والصحافة الجامعية والمجلات والمسرحيات والمناظرات والمساجلات.... إلخ.

١٣- تخصيص جوائز للمتفوقين من الطلاب في أدائهم اللغوي وفي جميع المجالات اللغوية.

١٤- تطوير قسم الصحافة في جامعة دمشق ليغدو كلية للإعلام بأقسامها المختلفة من صحافة وإذاعة مسموعة ومرئية غايتها إعداد الأطر الإعلامية .

١٥- تفعيل الترجمة الآلية وإعداد الأطر المتخصصة في ميدانها.

حواشي الفصل:

- ١- المنظمة الدولية للتربية والعلوم والثقافة «اليونسكو»- الإعلان العالمي للتعليم العالي للقرن الحادي والعشرين- باريس ١٩٩٨ ص٣.
- ٢- الدكتور محمود أحمد السيد- في قضايا التربية المعاصرة- دار الندوة للدراسات والنشر- دمشق ١٩٩٢ ص١٦٣.
- ٣- الدكتور محمود أحمد السيد- اللغة العربية وتحديات العصر في التعريب- المؤتمر السنوي لمجمع اللغة العربية في القاهرة لعام ٢٠٠٨ ص٩.
- ٤- مجلة المعهد الطبي العربي- السنة الثامنة- ١٩٣٠ ص٤٥.
- ٥- الدكتور مازن المبارك- اللغة العربية في التعليم العالي والبحث العلمي- دار النفائس ط٤ عام ١٩٩٨ ص١٤.
- ٦- الدكتور عبد الصبور شاهين- ديوجين مصباح الفكر «اليونسكو»- العدد الرابع والثلاثون السنة العاشرة ١٩٧٦ ص١٠.
- ٧- الدكتور عبد الصبور شاهين- المرجع السابق ص١١.
- ٨- الدكتور محمود حافظ- تعريب التعليم العالي والجامعي في ربع القرن الأخير- ندوة الرباط ١٩٨٥ ص١٢.
- ٩- المركز العربي للتعريب والتأليف والترجمة والنشر بدمشق- الندوة السنوية لتعريب التعليم العالي في الجامعات العربية سنة ١٩٩٥ ص١٤.
- ١٠- معن زيادة- فتاوى كبار الكتاب والأدباء في مستقبل اللغة العربية- وزارة الثقافة السورية سنة ٢٠٠٣ ص٢٢٧.